حيـــاة

عمر بن عبد العزيز

محمود شلبي

حياة عمر بن عبد العزيز

دار الجيل
بيروت - لبنان

الطبعـــة الثالثة
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الإهـــداء

اللهم ... منك ... وإليـك

محمود شابي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أشهد أن لا إله إلا الله ..

وأشهد أن محمداً رسول الله . صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم ..

وبعد ..

لا أستطيع .. لا أستطيع ..

أن أكتب عن رجل .. فاجأتني في حياته .. معجزة ..

والرجل .. ليس بنيّ .. ولا صحابيّ !!

وتلك المعجزة هي ؟

مدة خلافته .. سنتان ونصف ..

سنتان ونصف ؟!

هذه هي « حياة عمر بن عبد العزيز » التي يتحدث عنها .. كل الناس .. ويتحدثون عنها الى أن يبعث الناس !

سنتان ونصف .. كيف تكون فيها .. تلك العجائب كلها ؟!

هل عندكم من تفسير لهذا ؟

هل أوتي الرجل .. الطيّ .. فطُويَ له الزمـان .. فوقع منه في سنتين ونصف .. ما لا يقع في مائة عام ؟!

أي معجزة .. من رجل من الرجال .. هي أعظم من هذا ؟

تنبئوني .. بعلمٍ .. إن كنتم عالمين !

أمِنَ الممكن .. أن يحكم رجل العالَم كله .. في زمانه .. بعد أن انتشرت المفاسد والمظالم في كل مكان .. ثم يأتي ذلك الرجل فيقضي على جميع المظالم .. في دولة .. تمتد من أقصى الشرق .. الى اقصى الغرب .. ثم يبدّل كل ذلك ، الى عـــدل تام ، وأمان تام ..

قائمان ، على كتاب الله .. وسُنّة .. رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

وعلى رأس تلك الدولة الأعظم .

خليفة ، يُنفق على نفسه في اليوم درهمين اثنين ..

وله ثوبٌ واحد ، اذا غسلوه له .. قعد في بيته عارياً ، حتى يجف الثوب ..

واذا جاءوه بمراكب الخلافة أبى ..

واذا جاءوه بوردة نشمها ، تباعد عن ريحها ..

من هو هـذا الكوكب العظيم ؟

من هو هذا الانسان الكريم ؟

الذي طَوَى ، له ربه ، الزمان ؟!

انه .. عمر .. بن .. عبد العزيز !

١٤٠٢ هـ
١٩٨٢ م

محمود شلبي

الخطوط العريضة من حياة ..

عمر بن عبد العزيز ..؟

١ ـ مولد البطل

في سنةِ احـــدى وستين منَ الهجرة .. وُلِدَ عمرْ بن عبد العزيز .

كان مولدهُ بالمدينة المنوّرة ، وكانتْ والدته هي أم عاصم بنت عاصم بن عمرَ بن الخطّاب رَضي اللهُ عنه .

وفي ذات يوم وهو يلعب ، ضربهِ فرَسٌ من أفراس أبيـه فشجّه في رأسه .

وكانت هذه هي العلامة التي تنبّأ بها جَدُّه عمرُ بن الخطاب حيث قال : « انّ من وَلدي رُجلاً بوجهه شجان يلي فيملأ الأرض عدلاً »

٢ ـ ولاية أبيه لمصر

وترعرعَ عمرُ في بيوت الخلافة الأموية ، وكان لأبيه عبد العزيز بن مروان دار فخمة بدمشق .

وفي سنة خمس وستين من الهجرة عُين والده عبد العزيز بن مروان والياً على مصر .

فجعل عبد العزيز يعد العدة للسفر الى ولايته الجديدة ، وكان ابنه الصغير عمر يرقب ما يفعل أبوه من قريب •

وقال الوالد لولده : والآن يا عمر ، ستسافر معنا الى الفسطاط عاصمة مصر ؟

فغضب الصبي غضباً شديداً وقال : •• بل سأسافر الى مدينة رسول الله •

فقال الوالد وهو في عجب : وماذا تفعل في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر ؟

قال عمر : أطلب العلم يا أبي •• حيث يوجد علماء الأرض وفقهاؤها •

قال عبد العزيز : نعم الابن ونعم الرأي ، لك ما شئت يا بني •

قال عمر : الحمد لله الذي وفق أبي الى الخير

٣ ـ سفره إلى المدينة

وقبل أن يرحل ابوه الى مصر ، أعد العدة ليرحل عمر الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم •

ونادى عبد العزيز ابنه : يا بني •• ستسافر ان شاء الله الى المدينة ، وسابعث معك خدماً يحرسونك ويخدمونك ويحفظونك •

وبدا التأثر على الصبي وقال : يا أبتي أفعل ما تحب ، وسوف أمضي على بركة الله •

وقال الوالد : اذهب حفظك الله ورعاك ، واطلب العلم في مدينة رسول الله ، أهلت عليك أنوارها ، وتلألأت في قلبك نفحاتها •

قال عمر : وانت يا أبي ماذا تفعل ؟

قال عبد العزيز : السمع والطاعة لأمير المؤمنين ، انى ذاهب الى مصر سريعاً ، نزولاً عند رغبته •

فقال عمر : أدخلوا مصر ان شاء الله آمنين

٤ ـ في مسجد رسول الله

وفي المدينة المنورة ، في مسجـــد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في مجلس من مجالس العلم التي كانت تعقد دائمـــاً بالمسجد النبوي الشريف ، جلس قوم يتباحثون ويتسامرون ٠

قال قائل منهم ـ وقد رأى عمر بن عبد العزيز قـــادماً من بعيد :

ـ انظروا ماذا يفعل الصبي ؟

وعجب القوم من عمر بن عبد العزيز ، يذهب الى ركن من المسجد ، ويصلي ركعتين تحيـــة للمسجد ، لا تسل عن حسنهن وطولهن .

وقالوا جميعاً : وجه حسن لصبي حسن !

وقال كبيرهم : وأغرب من ذلك أن عمر بن عبد العزيز وهو الصبي النـــاشىء في الورد من أيامه ، الذي لم تكتمل له السنة العشرون ، ما عهدناه من يوم أن جاءنا ، الا مقبلاً علينا ، تاركاً لهو الشباب ، آخذاً بالعلم ، دارساً للفقه ، حافظاً للحديث ، وان من أحدٍ الا ويثني على ورعه وعفته ، وحرصه على اتباع الآداب النبوية الكريمة ٠

٥ ـ وفاة ابيه

وأقبل عمر ينهل من العلم ، وكان عجيباً في سرعة فهمه ودقة حفظه

وفي ذات يوم ، وهو يدارس العلماء في مسجد رسول الله ، ناداه منادٍ من قبل الخليفة : يا عمر .. يا عمر .. هل فيكم عمر ؟

وقام عمر الى المنادي يسعى قائلاً : ماذا أيها الرجل ؟

فقال الرجل : انا لله وانا اليه راجعون

قال عمر : ماذا حدث ؟

قال : توفي والدك الأمير عبد العزيز بن مروان حاكم مصر .

فقال عمر : انا لله وانا اليه راجعون ، كل من عليها فان .

قال الرجل : أنا رسول أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان بعثني اليك وقال لي : ان أخي عبد العزيز قد توفي ، وان ابنه عمر في المدينة يطلب العلم ، فعليك أن تركب اليها سريعاً وتحضره معك ، لنكرمه في جوارنا ، حتى لا يظنن أننا بموت أبيه قد نسيناه .

فقال عمر : يا أسفاً على نفسي .. أأترك مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي تفوح علماً وذكراً وتسبيحاً وأذهب

الى الشام حيث أجد مظالم آبائي وأجدادي ؟ ولكن الأمر لله من قبل ومن بعد ؟

٦ ـ مستشار أمير المؤمنين

وسافر عمر بن عبد العزيز الى دمشق ، عاصمة الأمويين ، ومجلس أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان .

وذهب الى عبد الملك فور وصوله فسلم وجلس .

قال أمير المؤمنين : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. البقاء لله يا عمر .. لقد اختار الله أباك الى جواره .

قال عمر : رحمه الله .. انه الآن يسأل عما فعل .

قال أمير المؤمنين : ستكون في جوارنا ، وتنزل في قصورنا .

قال عمر : لقد كنت في المدينة في جوار رسول الله وهو خير منك ، وفي مسجد رسول الله وهو خير من قصورك .

فقال أمير المؤمنين : ألم تسمع الى الحديث القائل « ان لربك عليك حقاً ، وان لبدنك عليك حقاً ؟

فقال عمر : أخشى أن يحال بيني وبين اتمام تعليمي ، وان الإنسان اذا لم يتعلم في الصغر ، خاب في الكبر ، لأن العلم في

الصغر كالنقش في الحجر .

قال أمير المؤمنين : اني قائل لك قولاً لم أقله لأحد غيرك ، ان وفاة والدك أحزنتني ، فقد كان عبد العزيز أخي ووزيري ، ولقد استقدمتك لتكون لي مستشاراً أميناً .

– يا عمر ان الحاكم أحوج النـاس الى من يخلص له النصح ويبصره بعيوبه .

عمر – نعم .. ان الحكم فتنة وستار يحجب الحقيقة عن عيني الحاكم .

وفجأة نادى المنادي بالصلاة فهب عمر مذعوراً ، وهو يتمتم ، لبيك اللهم لبيك .

وناداه أمير المؤمنين : مهـلاً يا عمر ..

فأجابه عمر : ان الله يناديني .. ان الله يناديني .

٧ – تفكير في الزواج

وفاتح أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، ابن أخيه عمر بن عبد العزيز في أمر زواجه .

وعرض عليه أن يزوجه ابنته ، فتردد عمر بادىء ذي بدء ، ثم طلب المهلة ليفكر في الأمر طويلاً

فوافق أمير المؤمنين على امهاله ، ثم ذهب عنه وتركه ونفسه ليفكر •

وصلى عمر بن عبد العزيز ركعتين ودعا ربه « اللهم ان كان هذا الأمر خيراً لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي ، وان كان هـذا الأمر ستراً لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري فبـــاعدني عنه وباعده عني •• اللهم ان عبـــد الملك بن مروان يعرض علي زواج ابنته فوفقني الى ما تحب وترضى •

ونزلت السكينة على قلب عمر ، وانشرح صدره للامر ، فعلم أن الله قد اراد له ان يتزوج •

٨ ـ زوج بنت أمير المؤمنين

ثم دخلت عمته فاطمة بنت مروان واخت أبيه عبد العزيز وعمه عبد الملك •

دخلت عليه تلومه على اقباله على امر دينه واهماله أمر دنياه •

وقالت له ؛ اعلم يا عمر أن رسول الله كان اتقى النـــاس وأحسنهم اخلاقاً ، ولكنه كان يتزوج النساء ، ويشيع الجنازة ، ويأكل الطعام ، ويمشي في الاسواق •

فقال عمر ؛ وما نفعل غير ذلك يا عمتاه ؟

قالت عمته ؛ انت تتباعد عن طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال عمر ، أعوذ بالله أن أكون كذلك !

قالت عمته : إذاً لماذا تعرض عن الزواج ؟

قال عمر : علم الله ما أعرضت قط ، وإنما أريد أن اتعلم أولاً ثم اتزوج ثانياً .

قالت عمته : وهل يمنع الزواج من العلم ؟

قال عمر : كلا .. ولكن ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه . وعلى كل حال يا عمتاه .. لو تعلمين انني منذ لحظة كنت أدعو الله أن يوفقني إلى ما يُحب ويرضى من ذلك الأمر لاطمأن منك الفؤاد .

قالت عمته فاطمة بنت مروان : هل كلمك أخي عبد الملك في الأمر ؟

قال عمر : نعم .

قالت : وهل حدّد لك العروس ؟

قال : نعم ..

قالت : هل قال لك أنها فاطمة ؟

قال : لم يقل وإنما قال هي ابنتي .

قالت : هي فاطمة بنت عمك أمير المؤمنين عبد الملك . هي أحلى النساء ، وأعلاهم نسبا ، هي الحسناء .

قال عمر : وإني قد قبلت زواجها .

٩ ـ فاطمة بنت عبد الملك

وتزوج عمر بن عبد العزيز من فاطمة بنت عبد الملك التي قال فيها الشاعر :

بنت الخليفة والخليفة جدها
أخت الخلائف والخليفة زوجها

فهي بنت الخليفة عبد الملك بن مروان .

والخليفة جدها مروان بن الحكم .

وأخت الخليفة الوليد بن عبد الملك .

والخليفة زوجها عمر بن عبد العزيز .

١٠ ـ وفاة عبد الملك بن مروان

وفي سنة ست وثمانين من الهجرة حضرت الوفاة أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان .

وعندما أشرف على الموت قال ارفعوني ، فأقعده عمر بن عبد العزيز ومن معه ، حتى استوى في جلسته ، ثم أخذ نفساً من الهواء العليل الطيب ، وكأنما ايقن أنه آخر أنفاسه في الدنيا فقال :

ـ يا دنيا ما أطيبك ! إن طويلك لقصير ، وإن كثيرك لحقير ، وإن كنا بك لفي غرور ، ثم تمثل بهذين البيتين :

إن تناقش يكن نقاشك يا رب
عذاباً لا طوق لي بالعذاب
أو تجاوز فأنت رب صفوح
عن مسيء ذنوبه كالتراب

ولما بلغ الخبر ابنته فاطمة زوج عمر بن عبد العزيز ، جعلت تبكي وعمر يواسيها وينهاها أن ترفع صوتها في البكاء !

وتولى الخلافة من بعده ابنه الوليد بن عبد الملك ، وهو شقيق فاطمة زوجة عمر .

١١ ـ مستشار الوليد بن عبد الملك

ونزل عمر بن عبد العزيز من أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك نفس المنزلة التي كانت له عند أبيه .

واختاره الوليد مستشاراً واتخذه أخاً له ومعيناً .

ثم عينه الوليد حاكماً عاماً على المدينة ومكة والطائف ، وأمره أن يحكمها بما يرضي الله ورسوله .

وقال عمر ؛ ولكن من أنا لأحكم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها كبار الشيوخ ، وأنا لم اجاوز الخامسة والعشرين ؟!

قال الوليد ؛ أنت موضع ثقتنا جميعاً ، وسوف تكون موضع ثقة الحرمين والطائف كذلك ، فسر على بركة الله .

وعلمت فاطمة الخبر ، فاستقبلته غير مسرورة ، وأيقنت أن عمر الآن لم يعد لها ، وإنما وقته وقلبه أصبحا ملكاً للناس .

١٢ ـ حاكم الحجاز

وفي سنة سبع وثمانين من الهجرة ، في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جمع عمر بن عبد العزيز أهل الشورى وهم : عروة ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو بكر بن سليمان بن خيثمة ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد بن حزم ، وسالم ابن عبدالله ، وعبدالله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد

ابن ثابت ، وسعيد بن المسيب .

وكان عمر لا يقطع أمراً دونهم .

وقال لهم : إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعواناً على الحق . لا اريد ان اقطع امراً إلا برأيكم ، او برأي من حضر منكم ، فإن رأيتم احداً يتعدى ، او بلغكم عن عامل لي ظلامة فبلغوني ذلك .

وقال سعيد : اتينا نعلمك فتعلمنا منك .

وقال عبد الله بن كثير : متى أنبت إلى الله يا عمر ؟

قال عمر : في يوم من الأيام كان لي غلام وهممت ان اضربه ، ورفعت يدي لالكمه ، فقال لي يا عمر ، اذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة . فسرت الكلمة في عروقي ، وتصورت يوم القيامة واهواله ، وتركت الغلام ، ولم اضربه ، ومن يومئذ وتلك الكلمة ترن في اذني .

١٣ - يبني مسجد رسول الله

وفي سنة ثمان وثمانين من الهجرة ، بعث امير المؤمنين الوليد ابن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز ان يوسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكتب له كتاباً يامره فيه بادخال حجر ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن يشتري ما في نواحيه حتى يكون مـائتي ذراع في مائتي ذراع .

وبعث الوليد بالعمال من الشام ليعاونوا في توسيع المسجـد النبوي .

وكتب الوليد إلى ملك الروم وأنبـأه انه اعتزم توسيع المسجد النبوي ، فبعث ملك الروم اليه مائة الف مثقال من ذهب ، ومائة عامل ، واربعين جملاً من الفسيفساء .

وشارك عمر في بناء المسجد الشريف ، واشرك معه في ذلك العمل الجليل خلق كثير .

١٤ ـ مستجاب الدعاء

وفي سنة ثمان وثمانين من الهجرة ، عين امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز اميراً للحج .

وخرج عمر بالحجاج وكان الحر شديداً ، والماء منعدمـاً ، مما تعرض بسببه الناس للهلاك .

وقيل لعمر ، ماذا تفعل ، الناس كادوا يهلكون .

وقال عمر : لماذا ؟

قالوا : جاءت الأخبار ان مكة ليس فيها ماء ، والحر شديد شديد ، والحجاج عدد عديد ، ثلاثين مليوناً او يزيـد .

قال عمر : ثقوا في الله .. لقـد جئتم تزورون بيت الله ولن يخيبكم الله ابداً .

واوقف عمر موكب الحجاج في الطريق ، وصلى بالنـاس ، وصلى الناس معه

ودعا عمر ودعا الناس من ورائه : يا رب اسقنـا . يا رب اسقنـا .

فإذا بالسماء ترعد وتبرق ، ثم يرسل اله السماء مدراراً ، حتى فاضت وديان مكه بالمـاء .

وهكذا استجاب الله دعاء عمر عبـد العزيز .

١٥ ــ موقف خالد لسعيد بن المسيب

وفي سنة تسعين من الهجرة ، حج بالناس امير المؤمنين الوليد ابن عبد الملك .

ورغب الوليد في زيارة النبي صلى الله عليه وسلم . فاخـلي المسجد النبوي من الناس ، إلا رجلاً لم يستطع احـد إخراجه .

فقيل للرجل ؛ قم واخرج ، امير المؤمنين سيقدم الى المسجد ليشهد بنفسه بناء المسجد الجديد .

فرفض الرجل واصر إصراراً .

وجاء الوليد يتجول في انحاء المسجد النبوي ، وأعجب ايما اعجاب ببنائه وهندسته .

وقال لعمر ؛ جزاك الله احسن الجزاء يا عمر ، لقد وسعت واحسنت البناء .

فقال ؛ ولكن ما بناه النبي صلى الله عليه وسلم بيده افضل مما بنينا بأيدينا .

واحس عمر ان امير المؤمنين قد قارب في جولته ذلك الرجل الذي أبى ان يخرج من المسجد ، فأراد ان يتحول به عن المكان الذي هو فيه ، الا ان الوليد لمح الرجل جالساً ووجهه الى القبلة ، ولم يحول وجهه قط الى الخليفة ومن معه ، كأن هناك شيئاً اقوى من الخليفة يشغله عن الخليفة .

ودفع بمسلك الرجل الوليد ان يسارع اليه ويقترب منه .

فلما تبينه ادرك انه سعيد بن المسيب .

وقال عمر ؛ ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك وهو ضعيف البصر .

فقال الوليد وقد ادهشته حالة الرجل ؛ قد علمنا حاله .

ثم يتجه الوليد حتى يواجهه ويقول ؛ كيف حالك أيها الشيخ ؟

فيرد عليه سعيد وهو لم يتحرك ولم ينظر اليه ؛ بخير والحمد لله ، فكيف امير المؤمنين وكيف حاله ؟

فلم يزد الوليد على ان قال ؛ هذا بقية الناس .

ثم انصرف !

١٦ ـ عزله عن حكم المدينة

وفي سنة ثلاث وتسعين من الهجرة تقاطر الناس على المدينة من العراق ، فراراً من ظلم الحجاج بن يوسف الثقفي ، يلوذون بعمر ابن عبد العزيز ، وينزلون في حماه .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى امير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، ينصحه ان يعزل الحجاج عن حكم العراق ، رحمة بالناس ، وحفاظاً لدمائهم ، واحقاقاً للحق واذهاباً للباطل .

وعلم الحجاج بما كتبه عمر في شأنه الى الخليفة ، فسارع وكتب الى الخليفة يقول ؛

ـ بلغني ان عمر بن عبد العزيز بعث اليـــك يحرضك على عزلي ، واحب ان اقول لك إن من عندي من المراق واهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولحقوا بالمدينة ومكة ، وهذا هو اول الوهن الذي يدخل الى مُلك بني أمية . ورأيي ان يعزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة ومكة ، حرصاً على سلامة ملككم ، فإن الأمور اذا لم تؤخذ بالحزم خرج الأمر من يدكم .

فكتب اليه الوليد ان يشير عليه بمن يتولى المدينة ومكة .

فأشار الحجاج ان يتولى خالد بن عبد الله مكة ، وعثمان بن حيان المدينة .

فعينهما الوليد هذا على مكة وذاك على المدينة وعزل عمر بن عبد العزيز عن امارتهما !

١٧ ـ وخرج عمر من المدينة وهو يبكي

وفي سنة ست وتسعين من الهجرة مات أمير المؤمنين الوليد ابن عبد الملك .

وفي نفس السنة تولى سليمان بن عبد الملك .

فاتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز مستشاراً ووزيراً .

وجلس امير المؤمنين سليمان بن عبد الملك يشاور وزيره في

الأمر فقال ؛ انا قد ولينا ما ترى وليس لنا علم بتدبيره ، فما رأيت من مصلحة العامة فمر به فليكتب .

واشار عمر عليه بعزل نواب الحجاج ، واخراج اهل السجون منها ، واطلاق الأسرى .

واشار عليه كذلك بغزو القسطنطينية ، فـأخبره سليمان بن عبد الملك انه جمع لغزوها مائة وعشرين الفاً في البر ، ومثلها في البحر ، والف مركب في البحر من اهل مصر وافريقية ، وامّر عليهم اخاه مسلمة .

فقال له عمر ؛ وبم اوصيتهم ؟

قال ؛ اوصيتهم بتقوى الله .

١٨ ـ يعظ أمير المؤمنين

وفي سنة سبع وتسعين من الهجرة ، حج امير المؤمنين سليمان بن عبد الملك بالناس ، ومعه ابن عمه عمر بن عبد العزيز .

ووقف امير المؤمنين ينظر ويتعجب من الآلاف المؤلفة التي تدعو الله على جبل عرفات .

ثم قال لعمر بن عبد العزيز ؛ الا ترى هذا الخلق الذي لا

يحصي عددهم الا الله ، ولا يسع رزقهم غيره ؟

فقال عمر ؛ يا امير المؤمنين هؤلاء رعيتك اليوم ، وهم غداً خصماؤك عند الله .

فبكى سليمان بكاء شديداً وقال ؛ بالله استعين .

١٩ ــ في صحبة أمير المؤمنين

وفي عودة امير المؤمنين سليمان بن عبد الملك من الحج ومعه عمر بن عبد العزيز ، ارعدت السماء وبرقت ، وعم الفضاء ظلام شديد ، وريح عاصفة ، فخاف القوم وفيهم سليمان وتنكدوا اشد التنكد .

اما عمر بن عبد العزيز فذهب يضحك ويسر سروراً .

فقال له سليمان في ذلك ، فقال ، يا امير المؤمنين هذه آثار رحمته فيها شدائد ترى فكيف بآثار سخطه وغضبه ؟!

٢٠ ــ الناصح الأمين

وبينا سليمان بن عبد الملك يسير ليلاً يتفقد جنده ومعه عمر ابن عبد العزيز ، سمعا صوتاً ينبعث من بعيد وهو يغني

حيِّ طيفــا من الأحبـة زارا
بعدمـــا صرّع الكرى السُّمارا

طارقا في المنـــام تحت دُجى الليـ
ـل ضنينـا بأن يزورَ نهـارا

قلت ما بالنا ُجفينا وكنا
قبـلَ ذاك الأسماعَ والأبصارا ؟

فغضب سليمان اشد الغضب ، وبعث في طلب المغنين يترل بهم اشد العقاب .

وأحضروا جميعاً امام امير المؤمنين فقال لهم : إن الرجل إذا غنى اشتاقت له المرأة ، وانهم بذلك يثـــيرون الجنود ، وهم الآن بعيدون عن زوجاتهم .

ثم امر امير المؤمنين بخصائهم ونفيهم .

فقال عمر المستشار الأمين : يا أمير المؤمنين ، هـذا تعذيب نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن كان ولا بـــد فلينفوا من الأرض .

٢١ ـ اوصى له بالخلافة

ومرض سليمان بن عبد الملك مرض الموت ، وجعل يستشير وزيره رجاء بن حياة فيمن يكون الخليفة من بعده ، سيما وأن أولاده جميعاً صغار السن لا يصلحون ؟

وكان مما قاله سليمان : فما رأيك في عمر بن عبد العزيز ؟

فقال رجاء : أعمله والله خيراً فاضلاً يحب الخير وأهله ، ولكني أخشى من اخوتك ، إنهم لا يقبلون ذلك أبداً .

فقال سليمان : إنه والله خير من يصيح لها .

فقال رجاء : إذا كان الأمر كذلك ، فاجعل ولاية العهد من بعد عمر بن عبد العزيز ليزيد بن عبد الملك ، ليرضى بنو مروان .

فقال سليمان ، اعطني ورقة وقلماً .

فكتب سليمان وصيته بيده ، بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد الله سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز ، إني قد وليته الخلافة من بعدي ، ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم عدوكم .

ثم تناول سليمان ختم الخلافة وختم على الوصية بيده .

ثم قال لرجاء ، نادني بكعب بن حامد العبسي ، أمـــير الشرطـة .

وجاء أمير الشرطة فقال له أمير المؤمنين : إجمـع أهل بيتي جميعاً ، ومرهم يبايعوا على ما في هذا الكتاب مختومـاً ، ومن أبى فاضرب عنقه بالسيف .

وصنع أمير الشرطة كما امر أمير المؤمنين وجمع أهل بيته ، وأخذ عليهم البيعة على مشهد من امير المؤمنين . ثم تفرقوا عنـه وتركوه ليستريح .

وعلم عمر عبد العزيز بالخبر ، وخشي أن يكون هو المختـار في الوصية ، فذهب إلى رجاء بن حياة بعد البيعة وقـــال له : أنشدك الله ، هـــل أوصى الخليفـة بالخلافـة لعمر بن عبـد العزيز ؟

فقال رجاء : والله لا آخبرك حرفاً واحداً مما أسرّه إليّ أمير المؤمنين .

٢٢ ــ وفاة سليمان بن عبد الملك

وحضرت الوفاة سليمان بن عبد الملك ، ودخل عليه رجاء بن حياة امير الشرطة ، فوجده ينازع الموت وهو يقـول : لم يحضر الأجل المحتوم بعد ، أنفاس معدودة في أماكن محدودة . اشهد أن لا إله إلا الله واشهد ان محمداً رسول الله .

ثم لفظ سليمان انفاسه ، وانتقل إلى العالم الآخر .

فوجهه رجاء نحو القبلة ، وغطاه بالقطيفة الخضراء ، وخرج وأغلق الباب .

٢٣ ــ اختيار امير المؤمنين

وذهب رجاء إلى المسجد ، حيث اجتمع الناس للبيعـة .

ونودي في النـاس : الآن تبايعون على ما في هذا الكتـــاب المختوم ، كما أخذ عليكم أمير المؤمنين العهد بذلك .

فتصايحت أصوات : لقد بايعنا قبل ذلك .

قال رجاء : تبايعون مرة اخرى على ما في هذا الكتـاب .

فبايع الناس على ما في ذلك الكتاب وعلت اصواتهم بذلك .

ثم يفض رجاء الكتاب ويتلوه : هذا كتاب من عبـــد الله سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز .

فصاح هشام بن عبد الملك : والله لا نبايعه ابداً ، كيف تخرج الخلافة من بني مروان ؟!

رجاء : ... ومن بعده يزيد بن عبد الملك .

فصاح صائح : هكذا يصبح الأمر مقبولاً شيئاً ما .

رجاء : ... فـاسمعوا له واطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا ، فيطمع فيكم عـدوكم .

فصاح هشام : والله لا نبايعه ابداً .

فنادى رجاء بأعلى صوته : والله إن لم تبايع يا هشام لأضربن عنقك بسيفي هذا .. تلك وصية امير المؤمنين .

وضاع اعتراض هشام وسط فرحة الأغلبية المطلقة باختيار عمر ابن عبد العزيز !!

وهرع الناس يبحثون عن الخليفة الجديد يهنئونه فوجـــدوه هناك ، في آخر المسجد .

وكم كان غريباً حقاً أن يستقبل عمر بن عبد العزيز تهنئة الناس بقوله : إنا لله وإنا اليه راجعون !

وكاد عمر يغمى عليه من شدة الزحام ، ثم حمله الناس حملاً ووضعوه على المنبر .

ونزل هشام على رأي الناس ، وصعد المنبر وبايع عمر بن عبد العزيز .

فنهض عُمر وخطب موجهاً الكلام إلى هشام ، نعم إنا لله وإنا اليه راجعون ، الذي صرت انا وانت نتنازع هذا الأمر !

ثم سكت عمر سكتة طويلة .. وعمّ المسجد جو رهيب من الصمت العميق .

وكان الجميع ينتظرون ماذا يقول الخليفة عمر بن عبد العزيز وقد حمل الأمانة ؟

ثم قال عمر : ايها الناس ، إني لست بمبتدع ولكني متبع ، وإن من حولكم من الأمصار والمدن ان اطاعوا كما اطعتم فأنا واليكم ، وإن هم ابوا فلست لكم بوال .

ثم قال : ايها الناس إن لي نفساً تواقة لا تعطي شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أعلى منه ، وإني لما أعطيت الخلافة تاقت نفسي إلى ما هو أعلى منها وهي الجنة ، فاعينوني عليها يرحمكم الله .

ثم نادى رجاء بن الحياة في الناس ان هلموا إلى جنازة امير المؤمنين سليمان بن عبد الملك الخليفة الراحل .

٢٤ ـ يأبى ركوب دواب الخلافة !

وفرغ الناس من دفن الخليفة الراحل وعلى رأسهم عمر بن عبد العزيز ، وجعلوا ينصرفون .

وجيء بمراكب الخلافة وقال رجاء : تفضل يا امير المؤمنين فاركب .

قال عمر : ماذا اركب ؟

قال رجاء : إركب ليركب من وراءك .

فقال عمر : ما شاء الله لا قوة إلا بالله . لا اركب شيئاً من هذه الدواب ، إني خليفة ولست ملكاً . إصرفوا هذه الخيول جميعاً ، إني معي دابتي الخاصة ، بغلتي التي اشتريتها من مالي ، هذه هي التي اركب .

واعتلى عمر ظهر دابته الخاصة وهو يقول :

ـ سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين . وإنا إلى ربنا لمنقلبون .

وأمر عمر الناس ان يسرعوا الخطى ليستطيعوا دخول دمشق سريعاً .

٢٥ ـ ويأبى النزول في دار الخلافة

وعندما اشرف الركب على دمشق ، حاولوا أن يميــلوا بدابة عمر بن عبد العزيز نحو قصر الخلافة فأبى عمر بن عبد العزيز إباء لا امل معه ان يتزحزح عنه .

وقال له رجاء : انت الآن امير المؤمنين ، وللمنصب لوازمــه ، فينبغي ان تنزل في قصر الخلافة .

فرفض عمر رفضاً باتاً وقال : دعوني انزل في منزلي الخاص .

قال رجاء وقد تولاه اليأس : لك ما شئت يا امير المومنين .

٢٦ ـ يبكي لانه اصبح اميراً للمؤمنين !

وجلس عمر بن عبد العزيز في منزله مغموماً مهموماً ، ودخـــل عليه احد غلمانه فوجده على هذه الحال .

فقال له : ما بك يا امير المؤمنين ؟

فقال عمر : كيف لا احزن وليس هناك من احد من اهـــل المشارق والمغارب من هذه الأمة إلا وهو يطالبني بحقه ان اوديه اليه ، كتب اليّ في ذلك او لم يكتب ، طلبه مني او لم يطلبه !

ودخلت عليه فاطمة بنت عبد الملك زوجته لتهنئه ، فراعها ان تجده في كربه يتاوه ، وحاولت ان تخفف عنه ، إلا انها لم تستطع في ذلك شيئاً ، وإذا بعمر يقول :

قد جاء شغل شاغل وعدلت عن طرق السلامة
ذهب الفراغ فـــلا فرا غ لنا إلى يوم القيـــامة .

٢٧ ـ الشعراء ينفضون عنه والعلماء يقبلون عليه ؟

ثم ذهب عمر إلى المسجد بدمشق ، وصعد المنبر وكان مما قال : ايها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس وإلا فليفارقنا . يرفع الينا حاجة من لا يستطيع رفعها ، ويعيننا على الخير بجهده ، ويدلنا من الخير على ما لا نهتدي اليه ؛ ولا يتغابن عندنا احداً ، ولا يعرض فيما لا يعنيه .

وكان المسجد ممتلئاً بالعلماء والشعراء كعادته ، قد جاءوا ينظرون ماذ يقول الخليفة الجـديد .

فما ان سمع الشعراء قوله حتى انفضوا عنه ، واقبل عليـــه العلماء .

فقال عمر : قد ترون ما ابتليت به ، ومـــا قد نزل بي ، فمـا

عنـدكم ؟

فقال محمد بن كعب : إجعل الشيخ أباً ، والشاب أخاً ، والصغير ولداً ، وبرّ أباك ، وصل اخـاك ، وتعطف على ولدك .

وقال رجاء : ارض للناس ما ترضى لنفسك ، ومـــاكره أن يؤتى اليك ، فلا تأته اليهم ، واعلم انك اول خليفة تموت .

وقال سالم : اجعل الأمر واحداً ، وصم فيه عن شهوات الدنيا ، واجعل آخر فطرك فيه الموت .

فقال عمر : لا حول ولا قـوة إلا بالله .

٢٨ ـ زهده في الخلافة

وكان عبد العزيز بن الوليد غائباً عندما بويع لعمر بعـد موت سليمان ، ولم يعلم ببيعة عمر ، فعقد لواءً ودعا إلى نفسه ، فبلغه بيعة عمر بعهد سليمان فاقبل حتى دخل عليـه .

فابتدره عمر قائلاً : بلغني انك بايعت من قبلك ، واردت دخول دمشق .

فقال عبد العزيز بن الوليد : قد كان ذاك ، وذلك أنـه بلغني أن سليمان لم يكن عهد لأحد فخفت على الأمـوال ان تنهب .

فقـــال عمر : لو بايعت وقمت بالأمر لم انازعك فيه ولقعدت في بيتي .

فقال بن الوليد وقد تأثر بسمو عمر واعراضه عن الدنيا : مـــا أحب انه ولى هذا الأمر غيرك . ابسط يدك ابايعـك ، الله يتولاك ويرعـاك .

٢٩ ــ ويصادر اموال زوجته الخاصة

وفي منزل عمر بن عبد العزيز ، بدء الخليفة يحاسب زوجتـــه حساباً عسيراً.

قـــال عمر : يا فاطمة بنت عبد الملك ، إذا كنت ترغبين في معاشرتي ، وتستمري زوجة لعمر بن عبد العزيز فإني اشترط عليك شرطاً واحداً .

قالت فاطمة في قلق بالغ : وما هو يا أمير المؤمنـين ؟

قال عمر : تردين كل ما عندك من أموال ومصوغات وجواهر إلى بيت مـال المسلمين ؟

قالت فاطمة : ولمَ ؟ اليس كل ذلك من أموالي الخاصة !

ــ كلا يا بنت عبد الملك ، لولا أنك بنت الخليفة واخت الخليفة ،

ما كنت تستطيعين لذلك امتلاكاً . كل مـــا تملكين ملك للمسلمين ، وأنا لا اجتمع أنا وأنت وهذه الأموال ، في بيت واحد ، فمـــا رأيـك ؟

فاطمة : الأمر لله !!

٣٠ ـ اعتزاله لنسائه

وقال عمر لفاطمة زوجه : تعلمين إنني وليت الخلافة ، اعني انني حكمت العالم كله تقريباً . .

فقالت فاطمة . أسأل الله أن يعينك على حمل الأمانة .

قال عمر : ليس ذاك هو الأمر ولكن الأمر أن لك حقوقاً زوجية ، وللناس جميعاً حقوقاً في عنقي ، وإني أقدم حق الجمـــاعة على حقي وحقك .

قـالت فاطمة : لست أدري ماذا تريد أن تقول يا أمـــير المؤمنين .

قال عمر : أريد أن اقول انني من الآن لا أستطيع الجمع بينك وبين الخلافة . لا أستطيع أن اوفيـــك حقك كاملاً كما كنت من قبل . فإما أن تعيشي معي على ما أنا عليه ، وإمـــا أن تلحقي

بأهلك .

فاختارت فاطمة البقاء مع عمر بن عبد العزيز على مـا هو عليه .

وقال عمر نفس المقالة لجواريه ، وخيرهن بين الدنيا وبين ما عند الله ، فاختاروا البقاء إلى جواره .

وسمع لهن جميعاً بكاء ونحيباً ، وكان يوماً عليهن عبوساً قمطريزاً .

وكان ذلك بلاء لهن اي بلاء .

٣١ ـ الغاء سب علي بن ابي طالب

وواصل أمير المؤمنين تطهير الأمبراطورية من المفاسد .

نظر فوجد المنابر كلها تسبّ علياً رضي الله عنه في خطبـــة الجمعـة .

فكتب إلى جميـع الامصار ان يكفوا عن ذلك الفعــــل القبيح ، وأن يقولوا بدلاً من ذلك (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتـاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) .

وحمد الناس لعمر بن عبد العزيز ذلك الجميل ، ومدحه الشاعر في ذلك فقال :

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف

برّيا ولم تتبع مقـــالة مجرم

تكلمت بالحق المبين وإنمـا

تبين آيات الهـــدى بالتكلم

وصدقت معروف الذي قلت بالذي

فعلت فاضحى راضياً كل مسلم

فلما سمع عمر مقالة الشاعر سر سروراً بالغاً وقال : افلحنـــا إذاً يا كثير عزّة .. جزاك الله خيراً .

٣٢ ـ عزل الولاة الظالمين

وواصل عمر بن عبد العزيز حملة تطهير الدولة ، واصدر الأوامر العليا في ذلك

يعزل يزيد بن المهلب عن العراق ويعين مكانه عدي بن ارطأة الغزاري على البصرة ، ويعين على الكوفـــة عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب .

يعين على خراسان الجراح بن عبد اللـه الحكمي .

يعين على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

يعين على المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم .

يعزل عن ولاية مصر عبد الملك بن أبي وداعة ويولى عليها ايوب ابن شرحبيل .

يعين للافتاء جعفر بن ربيعة ، ويزيد بن أبي حبيب ، وعبيدالله بن ابي جعفر .

يعين على افريقية وبلاد المغرب اسماعيل بن عبدالله المخزومي .

فكانت هذه الحركة ثورة عارمة اطلقها عمر بن عبد العزيز إحقاقاً للحق وازهاقاً للباطل..

٣٣ ـ مصادرة اموال امراء بني امية

ثم دعا امير المؤمنين امراء بني امية ، وناقشهم نقاشاً عسيراً في أمر أموالهم وثرواتهم .

وقالوا له انها من حقهم لأنهم جمعوها بالكد والتعب .

فقال عمر : انشدكم الله ، اكنتم تجمعونها لو لم تكونوا في هذا السلطان ؟

قالت فاطمة بنت مروان عمة امير المؤمنين ، وكانت ذات الكلمة النافذة في بني امية : لكن يا عمر انت صاحب ثروة كذلك .

قال عمر : تعلمين يا عمتاه انني وليت الخلافة ودخلي الخاص أربعين الف دينار سنوياً ، فتنزلت عنها كلها لبيت المال ، فضلاً عن انني لا آخذ شيئاً من بيت المال .

فاطمة ـ ولكن غيرك لا يريد ان يتنزل عن شيء من ماله .

ـ المسالة ليست بالرأي والهوى .. ستتنزلون عن أموالكم كلها يا بني أمية ، وسترد هذه الأموال إلى بيت المال ، رضيتم ام لم ترضوا .

ونظر الجميع إلى بعضهم البعض ، إلا أنهم لم يستطيعوا أن ينطقوا حرفاً .

إنهم يعلمون أن عمر إذا أراد شيئاً سيفعله .

وتامل عمر وجوههم ملياً ثم قال : والله لو أقمت فيكم خمسين عاماً ما أقمت فيكم إلا ما اريد من العدل !

٣٤ ـ عمر يبكي في الليل

وقام أمير المومنين ذات ليلة كعادته يصلي من الليل ، فلما فرغ من صلاته وتسبيحه الطويلين ، جلس في مصلاه في منزله يستريح قليلاً .

ودخلت عليه زوجته فاطمة بنت عبد الملك فوجدته واضعاً يده

على خده يبكي بكاء شـديداً .

فنادته من خلفه : ما يبكيك يا سيدي ؟

ـ من ؟ فاطمة ؟

فـاطمة : نعم سيدي .

ـ قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت ، فتفكرت في الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعـــاري المجهود ، واليتيم المكسور ، والأرملة الوحيدة ، والمظلوم المقهور ، والغريب ، والأسير ، والشيخ الكبير ، وذي العيال الكثير ، والمال القليل ، واشباههم في أقطـار الأرض ، وأطراف البلاد ، فعلمت ان ربي عز وجـل سيسألني عنهم يوم القيامة ، وأن خصمي دونهم محمد صلى الله عليـــه وسلم ، فخشيت أن لا يثبت لي حُجة عنـد خصومتـه ، فرحمت نفسي فبكيت !

٣٥ ـ مؤامرة النساء ضد عمر

ورأت فاطمة زوج امير المؤمنين وجواريها أن سياسة عمر معهن لا تطاق ، وأنه يعرض عنهن وينشغل بأمور الخلافة ، مما لم يدع له وقتاً يقضيه معهن ، وقد كنّ من قبل موضع رعايته وحنوه ولطفه وكرمه .

فأتمرت فاطمة مع إحدى جواريهـــا على عمر . وكانت تلك الجارية ممن سبق لعمر قبل أن يلي الخلافة ان طلب إلى زوجته أن تنزل عنها له ، حيث كانت فاطمة تملكها ، فـــابت عليه ذلك ، حيث كانت بارعة الجمال ، خارقة الكمال ، وكان ذلك غيرة من فاطمة أن تستهوي الجارية عمر بن عبد العزيز فيكون ذلك على حسابها .

فلما رأت فاطمة الحال قد تغير ، والأمر لها قد تنكّر ، والخليفة معرض عنها وعن جواريها ، مقبل على أمور الخلافة ، معتزل لنسائـه رأت ان توقعه في شباك تلك الجارية ، لعلهـــا تستدرجه إلى النساء ولو قليلاً .

قالت فاطمة : تعلمين ان عمر كان قـــد طلب مني أن أنزل له عنك ؟

الجارية : ولم يا سيدتي ؟

فاطمة : قال لي أحب ان تنزلي لي عنها .

الجارية : يبدو أنني جميلة يا سيدتي .

فاطمة : طبعاً .. وأحب ان احوله عن تفكيره وتكوني أنتِ الشبكة التي أطرحها لصيده ، سأزينك أجمـــل زينة ، واجعلك أحسن نساء الدنيا ، ثم تدخلين عليه ، وليكن بعد ذلك مـــا يكون .

وصنعت فاطمة بالجارية الحسناء ما أرادت ، ودفعتهـــا الى عمر ليلاً .

ودخلت ميمونة إلى أمير المؤمنين ، وجعلت تداوره وتحـــاوره قالت : لقد وهبتني سيدتي لأمير المؤمنين .

عمر ـ قبلنا الهدية ولكن لا حاجة لنا اليها .

ميمونة ـ الم تكن تحبني يا مولاي قبل الخلافة ؟

ـ نعم يا ميمونة .. ولكن أصبحت في شغل شاغل عنكنّ .

ميمونة ـ أمري إلى الله ..

ـ أخبريني يا ميمونة .. كيف أتيتِ إلى هنا ؟

ميمونة ـ آه يا سيدي .. لقد بعثت في قلبي آلاماً واحزاناً لقد ارتكب أبي جريمة ببـــلاد المغرب ، كان من آثارها أن صادر موسى بن نصير أموال أبي ، وأخذوني ضمن هذه الأموال ، وبعثني إلى الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين السابق ، فوهبني الوليـــد إلى أخته فاطمة زوجتك .

فانتفض عُمر وقال : إنا لله وإنا اليه راجعون ، كـــدنا والله نفتضح ونهلك ، أنتِ من الآن حرّة لوجه الله . إرجعي إلى بلادك مكرمة معززة ، ما كان لنا ان نستعبدك يا ميمونة .

فبكت ميمونة وقالت : لقد ازددت لك حباً واكباراً يا أمير المومنين ، حقاً إنك لأنت خليفة المسلمين !

٣٦ ـ رحمة عمر للأطفال

وفي ذات يوم كان لعمر بن عبد العزيز طفل صغير ذهب يلعب مع الأطفال ، فهجم عليه طفل غريب وضربه بحجر سال بسببه الدم من رأس ابن عمر غزيراً .

وتناهى الخبر إلى فاطمة ام الطفل ، فبعثت من احضر لها الطفل المهاجم .

وجاءوها بالطفل المعتدي ، وفي رفقته امه وكانت تسمى مُريئة ، وكانت الأم وابنها في فزع ورعب شديدين .

قالت فاطمة : ابنك يضرب ابني ؟ موتاً يموت ابنك .. تأديباً له وتهذيباً .

فبكت الأم وبكى صغيرها ، وقالت الأم : إبني لا تقتلوه ، إنه يتيم .. ولا عقل للأطفال .

قالت فاطمة : ابنك يضرب ابني ؟ الويل لكما .

وهددت وارعدت وأزبدت .

كل ذلك والأم تزداد رعباً وولدها يزداد انكماشا .

وكان عمر يسمع ويرى ، وكانت فاطمة ترتقب أمير المؤمنين ماذا يفعل وابنه يسيل الدم من رأسه .

إلا أن عمر الرحيم لم يلتفت إلى ما حدث لابنه ، والتفت إلى شيء آخر .

قال : تقولين ان ابنك يتيم ؟

الأم : نعم

ـ إن له في بيت المال اعانة مقررة فهل يصرفها .

الأم : لا .. لا نصرف شيئاً .

ـ اكتبوه في المستحقين !!

فاشتد غضب فاطمة ، بينا فرح الطفل وأمه فرحاً عنيناً ، وكادا يطيران من السرور .

٣٧ ـ ثوب واحد

وفي دات يوم اشتاقت زوجته إلى العنب وطلبت اليه ان يشتري لها شيئاً منه .

قال عمر : يا فاطمة .. أعندك بعض الدراهم اشتري لك بها عنباً ..

فاطمة : وهل ابقيت على شيء في المنزل ..

ـ هذا أهون من الأغلال والانكال غداً في نار جهنم .

فاطمة : هـذا شيء عجيب .

ـ دعينا الآن من العنب .. أريد أن أخلع قيصي لتغسليه .

فاطمة : كيف ذلك وليس عندك غيره !

ـ خذيه واغسليه وانشريه ، وسامكث هنا في المنزل لا أخرج حتى يجف !!

٣٨ ـ راهب يعظ عمر

وفي ذات يوم خرج عمر بن عبد العزيز يتنزه في بساتين دمشق الجميلة ، فوجد راهباً يفكر .

فقال له : عظني .

فقال الراهب : عليك بقول الشاعـر :

يجرد من الدنيا فإنك إنمـــا

خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد

فقال عمر : وفقنا الله الى العمل بمـا سمعت .

٣٩ ـ ورع عمر بن عبد العزيز

وفي ذات ليلة كان عنده بعض خاصته يسمرون في حوائج المسلمين فقال احدهم : أرى لك مصباحين يا امير المؤمنين ، فلم هذا الاسراف ؟

قال عمر : أحدهما ملك لبيت المال ، والثاني ملك خاص لي من مالي الخاص . أما الأول فاكتب عليه حوائج المسلمين ، وأما الثاني فاقضي عليه اعمالي الخاصة .

ثم هبت ريح شديدة فاطفات السراج ، وأظلم المنزل ، فذهب امير المومنين يوقد السراج بنفسه ، فقيل له ايقظ غلامك يقوم بهذا بدلاً منك .

فقال عمر : لا أحب أن اجمع عليه عملين ، دعه ينام .

فقال أحد الضيفان : إذاً اوقد انا السراج .

قال عمر : ليس من المروءة استخدام الضيف ، انا اصلحه بنفسي .

ثم سمعوا من بعيد أصواتاً تدل على أن هناك قوماً يبكون ميتهم ..

فخرج اليهم عمر وقال لهم : إن صاحبكم لم يكن يرزقكم ،

وإن الذي يرزقكم حي لا يموت ، وإن صاحبكم لم يسد شيئاً من حفركم ، وإنما سد حفرة نفسه ، ألا وإن لكل أمرىء منكم حفرة لا بد والله أن يسدها ، إن الله عز وجل لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب ، وعلى أهلها بالفناء ، وما امتلأت دار خبرة إلا امتلأت عبرة .. ولا اجتمعوا إلا تفرقوا ، حتى يكون الله هو الذي يرث الأرض ومن عليها ، فمن كان منكم باكياً فليبك على نفسه ، فان الذي صار اليه صاحبكم كل الناس يصيرون اليه غداً .

ثم دعا عمر أصحابك ليذهبوا معه إلى زيارة القبور .

٤٠ ـ عمر في قبور بني امية

وانطلق عمر وصحبه يزورون القبور ليلاً ، ودخلوا إلى قبور بني أمية .

فقال عمر : هذه قبور آبائي بني أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم ، أما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلات ، واستحكم فيهم البلاء ؟

ثم أخد يبكي حتى أغشي عليه .

فلما أفاق قال : انطلقوا بنا فوالله لا أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور ، وقد أمن من عذاب الله ، ينتظر ثواب الله ..

فقال أحد اصحابه : كأن التراب يا عمر يقول مزقت الأكفان ، وأكلت اللحوم ، وشدخت المقلتين ، واكلت الحدقتين ، ونزعت الكفين من الساعدين ، والساعدين من العضدين ، والعضدين من المنكبين ، والمنكبين من الصُلب ، والقدمين من الساقين ، والساقين من الفخذين ، والفخذين من الورك ، والورك من الصلب .

قال عمر : صدقت .

فقال صاحبه : أدلك على اكفان لا تبلى ؟ تقوى الله والعمل الصالح .

٤١ ـ خشيته لله

وقالت فاطمة زوج عمر بن عبد العزيز :

ـ ما رأيت احداً اكثر صلاة ولا صياماً منه ، ولا احداً أشد فرقاً من ربه منه ، كان يصلي العشاء ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عيناه ، ثم ينتبه فلا يزال يبكي حتى تغلبه عيناه . ولقد

كان يكون معي في الفراش فيذكر الشيء من امر الآخرة فينتفض كما ينتفض العصفور في الماء ، ويجلس يبكي ، فاطرح عليه اللحاف ..

رحمه الله ..

٤٢ ـ ابشر يا عمر

ونام عمر قليلاً من الليل ، ثم هب من نومه ينادي ؛

فاطمة .. فاطمة .

قالت زوجته ؛

ـ خير إن شاء الله يا امير المؤمنين ؟

ـ رأيت كاني دُفعت إلى أرض خضراء واسعة كأنها بساط اخضر ، وإذا فيها قصر كانه الفضة فخرج منه خارج فنادى اين محمد بن عبد الله ، أين رسول الله ! إذا اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل ذلك القصر .

ثم خرج آخر فنادى : أين أبو بكر الصديق .. فاقبل فدخل .

ثم خرج آخر فنادى اين عمر بن الخطاب .. فاقبل فدخل .

ثم خرج آخر فنادى أين عثمان بن عفان .. فاقبل فدخل .

ثم خرج آخر فنادى أين علي بن أبي طالب .. فاقبل فدخل .

ثم خرج آخر فنادى ابن عمر بن عبد العزيز ! فقمت فدخلت فجلست إلى جانب أبي عمر بن الخطاب ، وهو عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر عن يمينه ، وبينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل ، فقلت لأبي : من هذا ؟ قال : هذا عيسى بن مريم

ثم سمعت هاتفاً يهتف بيني وبينه نورٌ لا اراه ، وهو يقول . يا عمر بن عبد العزيز تمسك بما انت عليه ، واثبت على ما انت عليه ، ثم كانه اذن لي في الخروج فخرجت ، فالتفت فاذا هو عثمان بن عفان ، وهو خارج من القصر وهو يقول : الحمد لله الذي نصرني ربي ، وإذا عليّ في إثره وهو يقول : الحمد لله الذي غفر لي ربي .

٤٣ ــ امير المؤمنين يروّح جاريته

وفي يوم شديد الحر قالت فاطمة لاحدى جواريها ، قومي فروّحي بالمروحة على امير المومنين ليستطيع النوم شيئاً ما .

فقامت الجارية فروّحت على أمير المؤمنين ، وظلت على هذه الحال حتى غلبها النعاس .

فقام امير المؤمنين ، وتناول المروحة ، وجعل يروّحها كما روّحته وهو يقول :

ـ اصابك ما اصابني !

٤٤ ـ ملك الهند والسند يعلن اسلامه عندما سمع بعدل عمر

وشاع وذاع عدل عمر بن عبد العزيز في انحاء الأرض ، وتناقلت سيرته العامة والخاصة ، وعلم ملوك الهند بسيرته فأعلن كبيرهم إسلامه ، وبعث كتاباً إلى عمر يعلنه بذلك .

« من ملك الهند والسند ، ملك الأملاك ، الذي هو ابن الف ملك ، وتحته ابنة الف ملك ، والذي في مملكته نهران يُنبتان العوذ والكافور ، الذي يوجد ريحها من اثني عشر فرسخاً ، والذي في مَرْبطه الف فيل ، وتحت يده الف ملك ، إلى ملك العرب .

اما بعد ، فإن الله قد هداني إلى الاسلام ، فابعث إليّ رجلاً يعلمني الاسلام والقرآن كشرائع الاسلام ، وقد اهديت لك هدية من المسك والعنبر والندّ والكافور فاقبلها ، فإنما انا اخوك في

الإسلام ، والسلام » !!

٤٥ ـ وفاة ابنه عبد الملك

وجاءته فاطمة زوجته وهي تبكي تعلنه بموت إبنه عبد الملك ، البالغ من العمر تسعة عشر عاماً ، فقال : امر رضيه الله فلا اكرهه !!

٤٦ ـ دعوته الناس الى الاسلام

وامر امير المؤمنين ، ان يكتب إلى ملوك السند ، إلى كل واحد منهم ، خطاب يدعى فيه إلى الاسلام ، على ان يبقى ملكاً كما هو ، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم .

وجاءت البشائر تحمل اليه نبأ دخول الناس في دين الله افواجاً .

واعلن ملوك الهند اسلامهم ، اسلم جيشبة بن داهر ، وعدة ملوك غيره ، وتسموا باسماء العرب !

٤٧ ـ اخلاقه

كان عمر بن عبد العزيز يكنس بيتـه بنفسه وكان يقول : لست خيراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان يخـدم نفسـه ويعين اهله في حوائج المنزل !

وما ان ولي الخلافة حتى رد المظالم إلى اهلها .

و كان له فص خاتم حين آلت اليه الخلافة ، فرده إلى بيت المال قائلاً : أعطانيه الوليد بغير حقه .

وكان قبل الخلافة شاباً ذا مال وترف ، فترك كل ذلك ، واعتزل زوجته الحسناء فاطمة ، حتى جهازها ردّه إلى بيت المال !

فكان دخله اربعين الف دينار في كل سنة ، فنزل عنـه لبيت المال واستبقى له اربعمائة دينار !

وكان قبـل الخلافة يلبس القميص الرفيـع اللين .

فلمـا اصبح اميراً للمؤمنين لبس القميص الغليظ المرقّـع ، والفراء الغليظ القديم !

واهدى اليه احد اصدقائه ذات يوم تفاحة ، فشمها وردّها اليه ، فقيل له في ذلك فقال : قل له وَصَلَت .

فقيل : يا امير المؤمنين إن رسول الله كان يقبل الهدية .

فقال : إن الهدية كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هـدية فأما نحن فهي لنا رشوة !

وبعث ذات يوم غلامه يشوي له دجاجة ، ففعل كما امره وعـاد بالدجاجة يحملها اليه .

فقال له : اين شويت الدجاجة .

قال : في المطبخ .

ـ في مطبخ المسلمين العام !

قال : نعم

ـ إذا تأكلها أنت !!

٤٨ ـ امير المؤمنين يمرض مرضاً شديداً

وفي سنة إحدى ومائة من الهجرة مرض أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز مرضاً شديداً ، فبعث يوصي نوابه على سائر الأقطار .

« أما بعد .. إن الذي ولاّني الله من ذلك وقدر لي ليس عـليّ بهـيّن ، ولو كانت رغبتي في اتخاذ ازواج أو اعتقاد اموال لكان في الذي أعطاني من ذلك ما قد بلغ بي افضل ما بلغ باحد من خلقه ، وأنا اخاف فيما ابتليت به حساباً شديداً ومسألة غليظة : إلا ما عفـا اللـه ورحم !

٤٩ — يرد وردة اهديت اليه

ودخلت عليه ذات يوم فاطمة بنت عبد الملك تحمل اليه وردة قد قطفها له احد اصحابه من حدائق دمشق ، فابتعد عنهـا ، وأبى ان ياخذها وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله .

فاطمة ـ بعثها اليك احد أحبائك .

فجعل أمير المؤمنين يشد منخريه باصبعيه ويشير اليها ان تبتعد بها عنه ، فعجبت فاطمة من فعله .

فقال عمر : وهل يستفاد من الورد إلا برائحته !

٥٠ — يرغب في لقاء الله

ودخل عليه وهو في مرضه مسلمة بن عبد الملك ، فقال لأخته فاطمة بنت عبد الملك : كيف حال عمر ؟

قالت فاطمة ـ الأمر كما ترى .

عمر ـ خير خير ..

فاطمة ـ نأتيك بطبيب ياامير المؤمنين

عمر ـ وإذا مرضت فهو يشفين .

مسلمة ـ ألم يأمر رسول الله صلى الله عليـــه وسلم بالتداوي يا عمر !

عمر ـ لو كان دوائي في مسح اذني ما مسحتها ، نعم المذهوب اليه ربي !

ثم نظر مسلمة في عمر وتفرّس فيه فرأى عجباً . رأى قميصه قد اتسخ ، فلام فـاطمة في ذلك .

فقالت : ليس ذاك عن اهمال ، ولكن عمر لا يملك إلا القميص الذي عليه ، فكيف افعـل .

مسلمة ـ إذاً نشتري له قميصاً .

عمر ـ الأمر قد اقترب ، فلا لزوم لذلك .

فاطمة ـ اتظن ان من ينفق في اليوم درهمين اثنين يبقى له ما يشتري به ثوباً يا مسلمة !.

عمر ـ هنـــاك قوم من المسلمين لا يجدون الدرهمين في اليوم يا فاطمة !!

٥١ ـ تحضره الوفاة

وفي رجب سنة إحدى ومائة من الهجرة اشتكى عمر ، واشتد عليه الداء .

وفي ذات ليلة اشتد قلقه فسهر معه اهله ، وجعلت فـــاطمة والجواري يبكين فنهاهنّ عمر عن ذلك وقال : من يبكي فليبكِ على نفسه .. ميت يشيع ميتاً .

فقالت فاطمة : انت صغير السن يا عمر ، لم تبلغ الأربعين بعد !

وما زال اهله من حوله حتى اقترب الفجر ، واخذ التعب منهم ماخذه ، فقالت فاطمة لغلامه مرثد : تبقى انت معـــه ، إن اراد شيئاً تكون قريباً منه ، وسنذهب نحن نرقد لحظات في الدور الأسفل .

وذهب الجميع ، ولم يتركوا مع عمر إلا غلامه مرثد .

٥٢ ـ صحوة الموت

وفي الفجر صحا عمر بن عبد العزيز صحوة الموت ، ورأى الملائكة تنزل وتحفه ، فنادى غلامه : مِرثد .. اخرج حـــالاً .. دعني وحدي .

مرثد ـ لا استطيع ان اخرج وانت على هذه الحـــال يا سيدي ..

عمر ـ اخرج اخرج .. إني ارى شيئاً ما هو بانس ولا جنّ .

فخرج مرثد .. وسمع عمر بن عبد العزيز يردّد

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض

ولا فساداً والعاقبة للمتقين » .

ثم فاضت روحه الكريمة ، وذهبت إلى خالقها ، تحملها الملائكة ، ويحفها النور .

تقول فاطمة بنت عبد الملك وقد دخلت عليه بعد موته ؛

ـ فدخلت فوجدته بعد ما دخلت قد وجّه نفسه للقِبلة وهو ميت !!

ان الله .. لا يضيع .. أحداً ..

في مدينة ..

رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

وها هو الليل الدامس .. يخيم على العاصمة المركزية ..

وها هو أمير المومنين .. عملاق الحق والحقيقة ..

عمر بن الخطاب .. يطوف في أرجائها سرّا .. ومعه مولاه « أسلم » ..

يتفقد شئون الرعية .. كما هو شأنه طيلة خلافته ..

وحين يمشي « عمر » على الأرض .. إنما تهتز طرباً .. ان مشى عليها .. اعدل خليفة .. مشى على ظهرها !

واستند عمر إلى جدار بيت ، في جوف الليل .. ليهدأ قليلاً من جهد الطواف ..

فسمع إمرأة داخل ذلك البيت تقول لابنتها

« يا ابنتاه .. قومي الى اللبن فامذقيه[1] بالماء ..
« فانك قد أصبحت » !

قالت الفتاة

« أو ما علمت يا أماه بما كان من عزمة[2] أمير المؤمنين اليوم » ؟

قالت الأم

« وماذا كان من عزمته يا بنيتي » ؟

قالت الفتاة

« لقد أمر مناديه .. فنادى في الناس . الا يشاب[3] اللبن بالماء » !

فقالت الأم

« قومي يا ابنتي الى اللبن .. فامذقيه بالماء .. فانك بموضع لا يراك فيه عمر ولا منادي عمر » !

فاحمرّ وجه الفتاة غضباً ، وقالت لأمها

« يا أماه .. والله ما كنت لاطيعه في الملا .. واعصيه في الخلا ..
« وان كان عمر لا يرى ..

---

(١) أخلطيه .
(٢) أمر .
(٣) يخلط .

« فرب عمر يرى ..

« والله ما كنت لأفعله .. وقد نهى عنه » !

وسمع عملاق الحق والحقيقة الحديث .. فبكى !

وقلوب هؤلاء العظماء .. على أعلى ما يتصور من الادراك ..

بكى العملاق .. الذي لم تلد النساء مثله ..

وعزم في نفسه على أمر خطير !

وقال لـ « أسلم » همساً ، اعرف هذا المكان .. ومَيِّز هـــذا البيت ..

ثم واصل عملاق العدل .. تفقد الشعب .. الذي سعد بحكمه ..

فلما أصبح الصباح قال لأسلم

« امض إلى ذلك الموضع .. فانظر من القائلة .. ومن المقول لها .. وهل لهما بعل » ؟!

قال أسلم

« فأتيت الموضع .. فنظرت فاذا الجارية أيم لا بعل لها .. وإذا تيك أمها .. وإذا ليس لها رجل .. فأتيت عمر بن الخطاب فأخبرته » !

فماذا صنع أعدل خليفة مشى على ظهرها !

جمع اولاده .. فقال لهم

« هل فيكم من يحتاج الى امرأة ازوجه ؟

« ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه احد منكم إلى هـــذه الجارية » !

تلألأ .. تلألأ .. يا عمر !

إن عمر .. حاكم العالم كله .. على استعداد تام .. ليـــتزوج بائعة لبن .. لا تملك شيئاً !!

فماذا تشهدين فيه يا دنيا !

هل مشى على الأرض .. مِثل عمر !

وإذا ذُكر عمر .. فليُسحق الناس جميعاً .. فما هم بالنسبة اليه إلا هبـاء !!

قال ابنه عبدالله

« لي زوجة » .

وقال عبد الرحمن مثل هذا ..

وقال عاصم

« يا ابت .. إنه لا زوجة لي .. فزوجني » !

فقال عمر :

« إذهب يا بني .. فتزوجها .. فما احراها ان تاتي بفـــارس

يسود العرب !»

وارسل عمر الى الفتاة ..

فإذا هي من بني هلال ..

فعقد لها على عاصم ابنه ..

انظر إلى تكريم .. عمر .. للمواهب العليا في الانسان !

إنه يتحقق بقوله تعالى

« إن اكرمكم عند الله اتقاكم .. » !

فهذه الفتاة .. بائعة اللبن .. التي لا تجد قوت يومها ..

يرفعها إلى اعلى مقام اجتماعي .. وتصبح زوجة عاصم .. ابن امير المومنين !

فلتتعلم الدنيا .. فإنها أمام عمر !

وولدت الفتاة لعاصم بنتاً .. اسمها « ليلى » ..

وكنيتها المشهورة « أم عاصم »

وتزوج عبد العزيز بن مروان .. ليلى ..

فولدت له .. عمر بن عبد العزيز !

تامل .. وتعجَّب .. وتعلَّم !

التقط الفاروق الحوار .. بين المرأتين ..

وادرك على الفور .. أن الابنة من أهل مقام الإحسان

« أن تعبد الله كأنك تراه .. فان لم تكن تراه فانه يراك » ..

وانها لذلك جديرة بأعلى أنواع التكريم ..

فرفعها فوراً .. إلى أعلى مستوى اجتماعي ..

فعلة . يا لها من فعْلة !

تتصاعد .. عند الله .. إلى ما شاء الله ..

وَقَرَّت عيون قلوب اهل الله ..

وكان لسان حالهم يقول ؛

« إن الله لا يُضيع أهله » !

عليك .. سلام الله .. يا عُمـر !

من هذا الذي ..

من ولد عمر ..

يسمى عمر ..

يسير بسيرة عمر ..

يولد كل يوم ملايين ..

ويموت كل يوم ملايين ..

ولا وزن لهم .. حين ُولدوا ولا حين ماتوا ..

لأن الأمر ليس ان تولد .. او ان تموت ..

وإنما الأمر .. مَن انت حـــين ُولدت .. ومَن انت حين تموت ؟!

تجد الإشـارة إلى ذلك في قوله

« وسلام عليه يوم ُولد .. ويومَ يموتُ .. ويوم ُيبعث حيّاً » !

أي ؛ هو عظيم يوم ُولِد .. وعظيم يوم يموت .. وعظيم يوم ُيبعث حيّاً !

ومن تلك الاشارة .. كان مولد عمر بن عبد العزيز .. وكان موته .. وكان يوم ُيبعث حيّاً ..

ُولد عظيماً .. ومات عظيماً .. وسوف ُيبعث عظيماً !

ُولد عظيماً ..

لأن العالم كله .. كان ينتظر هذا الذي يرفع عنه مظالم بني أميّة .،

كان العالم كله في انتظاره ..

ومات عظيماً ..

لأن التاريخ لم يشهد رجلاً يحكم مشارق الأرض ومغاربها .. ويموت لم يترك شيئاً يورث !

وسوف ُيبعث عظيماً ..

لأنه اقام كتاب الله .. وُسنّة رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. بعد ان بَعُد الناس عنها ُبعداً سحيقاً !

في حَلوان .. تلك المدينة التي اختطها أبوه عبد العزيز ابن مروان .. حين كان اميراً على مصر .. في قصر أبيه بحلوان ..

او في المدينة .. عند اخواله ..

على خلاف في الروايات .. وهذا لا يقدم ولا يؤخر ..

ُولد عمر بن عبد العزيز !!

قال ابن كثير :

« وقد كان منتظراً فيما يؤثر من الأخبار ..

« قال ابن عمر :

« يا عجباً ، يزعم الناس أن الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من آل عمر ، يعمل بمثل عمل عمر . »

« عن نافع قال :

« بلغنا أن عمر بن الخطاب قال :

« إن من ولدي رجلا بوجهه شجّان ، يلي فيملأ الأرض عدلاً . »

« وعنه أنه قال :

« إن ابن عمر يقول : ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر ، في وجهه علامة ، يملأ الأرض عدلاً ؟ »

« عن عمر بن عبد العزيز انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في روضة خضراء .

« فقال له :

« إنك ستلي امر أمتي ، فزَع[1] عن الدم ، فزَع عن الدم ، فان اسمك في الناس عمر بن عبد العزيز ، وإسمك عند الله جابر . »

« عن رباح بن عبيدة ، قال :

---

(١) أي : كف عن الدم .

« خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة .

« وشيخ متوكىء على يده

« فقلت في نفسي : إن هذا الشيخ جاف !

« فلما صلى ودخل لحقته

« فقلت : أصلح الله الأمير ، مَن هذا الشيخ الذي اتكأته يدك ؟

« فقال . يا رياح ، أرأيته ؟

« قلت : نعم .

« قال : ما احسبك يا رياح إلا رجلا صالحاً ، ذاك اخي الخضر ، اتاني فاعلمني اني سالي امر هذه الأمة ، واني ساعدل فيها . »

هذه مبشرات .. ساقها ابن كثير ..

وقيل .. ان عمر بن الخطاب استيقظ من نومه ، فمسح النوم عن وجهه ، وعرك عينيه وهو يقول :

« مَن هذا الذي من ولد عمر

« يسمى عمر

« يسير بسيرة عمر . » ؟!

وجعل يردد هذا مرات !

وكان يقول ايضاً ؛

« ليت شعري ، مَن ذو الشج من ولدي الذي يملأ الأرض عدلاً

كما ملئت جوراً . »

وفي رواية
« إن من ولدي رجلا بوجهه اثر يملأ الأرض عدلاً . »

وقالوا
« الفراسة فراسة العزيز في يوسف النبي عليه السلام حين قال : « ائتوني به استخلصه لنفسي ، فلما كلمه قال : إنك اليوم لدينا مكين امين ..

« وفراسة عمر بن الخطاب في الهلالية ، حين قال لولده : تزوجها والله ليوشكن ان تأتي بفارس يسود العرب ، فأتت بعمر بن عبد العزيز ..

« وفراسة سليمان بن عبد الملك في عمر بن عبد العزيز حيث قال : والله لأعقدن عقداً ليس للشيطان فيه نصيب .. فعقد لعمر بن عبد العزيز . » !

وُولد عمر بن عبد العزيز سنة إحدى وستين للهجرة ..
وتحقق ما كان يبشر به . جده عمر بن الخطاب !

أتي .. بني .. أمية !.

دخل الفتى ..

عمر بن عبد العزيز .. مع أخ له غير شقيق .. اسمه « الأصبغ » .. اصطبل الخيل .. الذي يملكه أبوه عبد العزيز بن مروان .. يستعرضان الخيل .. ويداعبونها ..

فرمحت إحدى الخيل . عمر ، فاصابته في جبينه .. فشجّته ..

وسال الدم من جبينه ..

فصاح الأصبغ : « الله اكبر .. هذا أشجّ بني مروان .. الذي سيملك » !

وأخذ الدم يتفجر من جبين الفتى .. وأخوه يضحك ثم يضحك .. كما هو شان الشباب .. يتخذون كل شيء لهواً ولعباً !

وجاءت أم عمر .. على فزع .. تنظر ماذا اصاب فتاها ؟

وغاظها ان اخاه يواصل الضحك . رغم مـاساة أخيه ..

وأقبلت في غيظ على زوجها تلومه وتقول :

« **أما الكبير فيخدم**

« **وأما الصغير فيكرم**

« **وأما الوسط فيضيع** (أي عمر) !

ثم صاحت :

« **لم لا تتخذ لابني حاضنة حتى اصابه ما ترى » ؟!**

وسال عبد العزيز : ماذا حدث .. ولماذا هذا الدم في وجه عمر ؟

فلما علم بالقصة قال للأصبـغ :

« يسقط أخوك فيشجّ .. فتضحك مسروراً منك بما اصابه » ؟

فضحك الأصبـغ وقال :

« **ليس ذلك كذلك ايها الأمير .. لم يضحكني شماتـــة به .. ولا سرور بسقوطه .. ولكني كنت ارى العلامات من اشجّ بني اميـة مجتمعة فيه الا الشجّة .. فلما سقط وشجّ .. سرني ذلك .. لتكامل العلامات فيه .. فاضحكني .. وهو والله اشجّ بني امية » !**

فانقلب عبد العزيز مسروراً .. وتمتم

« ما ينبغي لمن كان يرجى لما يرجى له .. ان يكون تأديبه إلا بالمدينة » !

وقال لأم عمر

« ويحك .. انه اشجّ بني مروان .. وانه لسعيد » !

ثم وجه حديثه إلى عمر

« سعدت ان كنت اشج بني اميّة » !

ومن يومها .. شاع وذاع في الناس ما حدث .. وجعل الناس يرددون عن عمر ؛ أشجّ بنى أميـــة .. اشجّ بني مروان ... اشج قريش !

وكان عبد الملك بن مروان .. يكرم عمر وهو غـــلام .. ويقدمه على اولاده .. فإذا عجبوا من ذلك .. قال لهم :

« او ما تعلم لم فعلت ذلك » ؟

ثم يوضح لهم سبب اكرامه لعمر

« انه سيلي الخلافة يوماً .. وهو اشج بني مروان .. الذي يمـلأ الأرض عدلاً .. بعد ان تملأ جوراً .. فما لي لا احبه ولا ادنيه ؟

وهكذا .. تحققت العلامة .. التي بشّر بها عمر بن الخطاب .. من عمر بن عبد العزيز .. حين كان يقول :

« مَن هذا الذي يكون اشج من ولدي .. ويسير بسيرتي » ؟

وابنه عبد الله بن عمر .. يردد بعد أبيه

« ليت شعري .. من هذا الذي من ولد عمر .. في وجهه علامة يملأ الارض عدلاً » ؟

وقد وقعت العلامة .. في وجه عمر بن عبد العزيز .

لتكون آية أخرى .. من حياة الخليفة الخامس !

« عن سفيان الثوري :

« الخلفاء خمسة .. ابو بكر .. وعمر .. وعثمان .. وعلي .. وعمر ابن عبد العزيز » !

قال ابن كثير :

« واجمع العلماء قاطبة

« على انه من ائمة العدل

« واحد الخلفاء الراشدين

« والائمة المهديين » !؟

يلتقي العالم بالمدينة

قال ابن كثير :

« عن ابي قبيل

« ان عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير ، فبلغ امه

« فارسلت اليه ، فقالت : ما يبكيك ؟

« قال : ذكرت الموت

« فبكت امه .. » !

ثم يقول ابن كثير :

« وكان قد جمع القرآن وهو صغير » !

ويقول :

« كان ابوه قد جعله عند صالح بن كيسان يؤدبه

« فلما حج ابوه اجتاز به المدينة

« فسأله عنه قال : ما خبرت احدا الله اعظم في صدره من هذا الغلام .. » !

هذه شهادة مؤدبه .. وهو غلام !

ثم يروي ابن كثير :

« ان عمر بن عبد العزيز تأخر عن الصلاة مع الجماعة يوماً

« فقال صالح بن كيسان : ما شغلك ؟

« فقال : كانت مرجلتي تسكن شعري

« فقال : قدمت ذلك على الصلاة ؟

« وكتب الى ابيه – وهو على مصر – يعلمه بذلك

« فبعث ابوه رسولاً ، فلم يكلمه حتى حلق شعره . » !

انظر .. كيف تربى عمر بن عبد العزيز ؟

ما دام شعره كان سبب تأخره عن شهود الصلاة في جماعة .. فليُسحق ذلك الشعر الذي حجبه عن فضل شهود الصلاة في جماعة !

قارن بين هذا وبين حالنا الآن ..

ساعات طويلة نقضيها امام التلفيزيون .. نضيعها في شهود تفاهات .. ويُؤذن للصلاة ، ولا نبالي .. سكارى امام اجهزة التليفيزيون كأننا خُشُب مسنَّدة !

الفارق بيننا وبينهم بعيد بعيد ..

واخرى .. اعظم واكبر يرويها ابن كثير :

« وكان عمر بن عبد العزيز يختلف إلى عبيد الله بن عبدالله

يسمع منه

« فبلغ عبيدالله ان عمر ينتقص علياً .

« فلما اتاه عمر اعرض عبيدالله عنه

« وقام يصلي

« فجلس عمر ينتظره

« فلما سلم اقبل على عمر مغضباً ، وقال له : متى بلغك ان الله سخط على اهل بدر بعد ان رضي عنهم ؟

« قال فهمها عمر

« وقال : معذرة إلى الله ، ثم اليك ، والله لا اعود

« قال : فما سُمع بعد ذلك يذكر علياً إلا بخير . » !

وصادم عمر .. في هذا ما هو شائع في زمانه .. بالارهاب من بني امية .. لحمل الناس على لعن علـيّ .. حتى جعلوه في خطبة الجمعة ..

رضي الله عن الامام وارضاه .. فما كان هـذا إلا منكراً من القول وزوراً ..

ولم يقف عند كفّ نفسه عن ذلك ..

بل كان اول اعماله حين ولي الخلافة .. ان ابطل لعن عليّ .. من خطبة الجمعة ..

وهكذا .. كل يوم درس ثمين .. وادب رفيع .. يتلقـاه الفتى عمر عبد العزيز ، من علماء المدينة .

ثم يقول راوية الاسلام العظيم ابن كثير :

« عن داود بن ابي هند قال :

« دخل علينا عمر بن عبد العزيز من هذا الباب

ـ وأشار إلى باب من أبواب مسجـد النبي صلى الله عليـه وسلم ـ

« فقال رجل من القوم : بعث الفاسق لنا بابنه هذا يتعلم الفرائض والسنن

« ويزعم انه لن يموت حتى يكون خليفة

« ويسير بسيرة عمر بن الخطاب !

« قال داود : والله ما مات حتى رأينا ذلك فيه . » !

إن الاحساس العام في الناس .. انه من الصعب ان يكون من بني أميّة وقد اشتهروا بالمظـالم .. مَن يسير بسيرة عمر

فذلك الرجل تعبير صحيح عما كان يدور في افكار النـــاس يومئذ حين قال : بعث الفاسق لنا بابنه .. ويزعم أنـــه .. كذا وكذا ..

ومن هنا ندرك إلى اي مدى كانت عظمة عمر بن عبد العزيز .

فليست العظمة ان يكون عظيما نبت في جوّ يمهد لظهور العظماء ..

ولكن العظمة ان تنزع عظمتك .. في جو مظلم يسود فيه الفساد والظُلم .. فتأتي أنت .. وتثور على تلك الأوضاع كلها وتغيرها ، وتحدث انقلاباً عاماً من الشر إلى الخير !

فيا لعمر بن عبد العزيز !

كم كانت عظمته ؟

لقد كان عمر بن عبد العزيز في المدينة طالب علم ..

ولكنه كان استاذ الأساتذة بشهادة اولئك الأساتذة ..

وتلك دلائل عبقرية من عمر أخرى !

« عن ميمون بن مهران :

« اتينا عمر بن عبد العزيز فظننا انه يحتاج الينا

« فاذا نحن عنده تلامذة » ؟

العبقريّ موهوب

يهبه الله صفات ليست في سفساف الناس .

طالب ذهب يتتلمذ على جهابذة علماء المدينة ..

فلما جالسوه وجالسهم .. صغروا في أعين أنفسهم ، وشهدوا له

بالأستاذية عليهم !

كل اولئك ، وعمر بن عبد العزيز .. فتى لم يبلغ العشرين من عمره المبارك !

وكان ميمون يقول عنه :

« حدثنا عمر بن عبد العزيز معلم العلماء » !

معلم العلماء ؟

عالم عظيم .. يقول عن طالب يطلب العلم على يديه ..

معلم العلماء !

ذلكم الفتى .. عمر بن عبد العزيز ..

وتلك إشارات العبقرية .. منه صبيّاً !

« قال سفيان :

« كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة »

« وعن مجاهد :

« اتينا عمر بن عبد العزيز ونحن نرى انه سيحتاج الينا

« فما خرجنا من عنده حتى احتجنا اليه » !

شهادة أخرى .. من عمالقة العلم .. فكيف كان هذا

الفتى ؟

فهل دفع الامتيـــاز .. الفتى إلى إحساسه بعظمته .. فتكبّر على اقرانه أو اساتذته .. كما يحدث من مهاويس الشباب ؟

كلا .. قالوا :

« وكان عمر مثال الطاعة والاحترام لمؤدبه ..

« قال عمر بن عبد العزيز لمؤدبه :

« كيف كانت طاعتي إياك وانت تؤدبني ؟

« قال : احسن طاعة

« قال : فاطعني الأن كما كنتُ اطيعك

« خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك .. ومن ثوبك حتى يبدو عقباك » !

اولئك الذين هدى الله .. يصنعهم على عينه .. ويتولاهم بولايته لأنه يعـدهم لأمر عظيم !

ثم يقول ابن كثير :

« إن اول ما استبين من رشد عمر بن عبد العزيز حرصه على العـــلم

« ورغبته في الأدب

« إن اباه ولى مصر

« وهو حديث السن يشك في بلوغه

« فأراد ابوه إخراجه معه إلى مصر من الشام

« فقال : يا ابت .. او غير ذلك .. لعله يكون انفع لي ولك ؟

« قال : وما هو ؟

« قال : ترحلني إلى المدينة .. فاقعد الى فقهائها .. واتأدب بآدابهم ..

« فعند ذلك ارسله ابوه إلى المدينة

« وارسل معه الخدام

« فقعد مع مشايخ قريش

« وتجنب شبابهم

« وما زال ذاك دأبه حتى اشتهر ذكره .

« فلما مات ابوه ، اخذه عمه امير المؤمنين عبد الملك بن مروان .

« فخلطه بولده

« وزوجه بابنته فاطمة . . »

رُشد من الصغر !

غلام لم يبلغ بعد .. أي في العاشرة أو قبل الثالثة عشر ..

يريد أبوه أن يأخـــذه معه إلى مصر ، ليرتع ويلعب إلى جواره .. وقد كان ملكاً على مصر .. أو واليـــاً بلغة زمانهم !

فيوجّـه اباه .. ملك مصر توجيهاً عجيباً :

او .. غير .. ذلك .. لعله يكون انفع لي ولك ؟

هل يُعقل هذا من غلام في العاشرة ؟

اللهم لا .. إلا ان يكون موهوباً .. منك امتيازاً !

وأخرى من الغلام ابدع وأعجب ؟

« فقعد مع مشايخ قريش .. وتجنب شبابهم » ؟

ماذا يصنع غلام بصحبة كبار السنّ .. اليس المنطق أن ينجذب إلى مثل سِنّه ؟

ولكن الغلام عمر ، ابن العـــاشرة او الحادية عشر .. يلوذ بالشيوخ ، ويبتعد عن الشباب !

إشارة اخرى .. تشير إلى مواهب خارقة في الشخصية ؟

ويتحدث العظيم عمر عن ذلك فيقول :

« لقد رأيتني وانا بالمدينة غلام مع الغلمان

« ثم تاقت نفسي إلى العلم

« إلى العربية فالشعر

« فاصبت منه حاجتي . . » ؟

وقال عمر بن عبد العزيز كذلك :

« كنت اصحب من الناس سراتهم

« واطلب من العلم شريفه

« فلما وليت امر النـاس ، احتجت إلى ان اعلم سفـاف العلم . .

« فتعلموا من العلم جيده ورديئه وسفسافه » !

هـذا كلام الخبرة . . بعد أن عاش تجربة الخلافة . .

جميع أنواع العلوم النافعة مطلوبة ولازمة لقيـام الدولة العظمى . .

هـذا هو . . الفتى عمر . .

جاء المدينة طالبا . . إلا انه كان استاذاً . .

وذلك فضل الله . . يؤتيه من يشاء !

فلا تحسبنّ أن العبقرية . . تسقط فجـأة من السماء . . على

غبيّ ، فيتحول إلى عبقريّ .

كلا .. فإن السماء لا تمطر عباقرة على الأغبياء ..

وإنما العبقرية ، صفة عليا .. مكونة في شخص ما .

ثم تاتي الحوادث ، فتظهر هذه الصفة للعيان !

بنت الخليفة، والخليفة جدها ..

اخت الخلائف والخليفة زوجها

قصة زواجه ..

اقصوصة جميلة ..

قال ابن كثير :

« فلما مات ابوه اخذه عمه امير المؤمنين عبد الملك بن مروان

« فخلطه بولده

« وقدمه على كثير منهم

« وزوجه بابنته فاطمة

« وهي التي يقول الشاعر فيها

« بنت الخليفة والخليفة جدها

اخت الخلائف والخليفة زوجها

« ولا نعرف امرأة بهذه الصفة إلى يومنا هذا سواها

« .. ولم يكن حاسداً عمر بن عبد العزيز ينقم عليه شيئاً سوى متابعته في النعمة ، والاختيال في المشية

« وقد قال الأحنف : الكامل من عـــدت هفواته ، ولا تعد إلا من قلة

« وقد ورث عمر عن ابيه من الأموال والمتاع والدواب — هو وإخوته — ما لم يرثه غيره فيما نعلم » .

وقالوا :

« كان عمر قبل الخلافة من اعظم الأمويين ترفهاً وتنعماً ، تعصف ريحه فتوجد رائحته في المكان الذي يمر فيـــه ، ويمشي مشية تسمى « العمرية » فكان الجواري يتعلمنها من حسنها وتبخترهِ فيها ، وقد ترك هذا التنعم بعد الخلافة ، إذ زهد في الدنيا ورفضها » !

والآن .. كيف كانت قصة الزواج ؟

اولاً .. يجب ان نعلم ان عمر كان امـــيراً من امراء بني أمية .. وابن ولي العهد ، عبد العزيز بن مروان .. الذي تؤول اليه الخلافة .. ولكنه مات قبل ان يلي الخلافة ؟

قال ابن الأثير :

« كان عبد الملك بن مروان اراد ان يخلع اخاه عبـــد العزيز من ولاية العهد ويبايع لابنه الوليد بن عبد الملك » .

ثم مات عبد العزيز .. فتحقق للخليفة ما يريـد .. بدون تدبير منـــه .

وكانت وفاة عبد العزيز في مصر .

فبعث الخليفة إلى عمر وهو بالمدينة يستقدمه بعد وفاة أبيه ، واكرمه وقدّمه على كثير من أولاده ..

وكان عمر يومئذ في نحو العشرين من عمره .

شاباً قوياً .. فيه ملامح العزّة ، وقوة الشخصية ، وآثار النعمة الواسعة ..

فلما قدم عمر على الخليفة عبد الملك بن مروان .. قال له في صيغة الأمر ، كما هو شأن الملوك :

« قد زوجك امير المؤمنين .. فاطمة بنت عبد الملك

« فقال عمر بن عبد العزيز : وصلك الله يا امير المؤمنين .. فقد اجزلت العطية .. وكفيت المسألة

« فاعجبهُ به عبد الملك

« فقال بعض اولاد عبد الملك : هذا كلام تعلمه فأدّاه

« فدخل عمر على عبد الملك يوماً فقال : يا عمر كيف نفقتك ؟

« قال : الحسنة بين السيئتين يا امير المؤمنين

« قال : فما هما ؟

« قال : والذين إذا انفقوا لم يُسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً »

« فقال عبد الملك لأولاده : مَن علمه هذا ؟ » !

تأمّل إجابة فتى في العشرين .. الحسنة بين السيئتين .. عبقرية

عجيبة من الصغر .

لقد كان يرغب في نفسه في زواج ابنة عمه .. فاطمة بنت عبد الملك بن مروان . الجميلة النسيبة .. بنت الخـــلائف .. ربيبـة القصور ..

وفي نفس الوقت كان الخليفة يرغب في زواج ابنته من عمر ، لما يلمس فيه من امتياز .

فلما عرض الخليفة على عمر .. في صيغة الأمر زواجها ..

تلقفه عمر .. فرحاً بتحقيق ما يدور في نفسه ..

وكانت ليلة الزفاف .. ليلة تناسب أبهة أمراء بني اميــــة .. اوقدت فيها المسارح .. ومدت الموائد ..

قالوا :

« لما اولم عمر بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبد الملك

« اسرج في مسارجه تلك الليلة الغالية » !

وقضى عمر اياماً جميلة مع فاطمة .. في « دابق » ..

ظل يذكرها على انها اسعد ايامه ، قبـل ان يلي الخلافة ..

فلما كانت سنة خمس وثمانين من الهجرة .. وكان عمر في العشرين من عمره .. ولاه عبد الملك ولاية « خناصرة » .. وهي بلدة صغيرة

من اعـمال حلب ..

وقد بقي والياً عليها • حتى مات عبـد الملك ..

هذه قصة زواجه بفاطمة بنت عبـد الملك ..

التي كان ابوها خليفة .. واخوها خليفة .. وزوجها خليفة ..

كان يحبها .. وكانت تحبه ..

وهذا ما جعلها تصبر عليه بعد ذلك ، عندما حدث الانقلاب في شخصيته .. وتحول إلى زاهد في الدنيا والنساء ..

امير المدينة

قال ابن كثير :

« ولما مات عمه عبد الملك حزن عليه ..

« ولما ولي الوليد عامله بما كان أبوه يعامله به

« وولاه المدينة ومكة والطائف ، من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين

« وأقام للناس الحج سنة تسع وثمانين ، وسنة تسعين .

« وحج الوليد بالناس سنة إحدى وتسعين

« ثم حج بالناس عمر سنة اثنتين او ثلاث وتسعين

« وبنى في مدة ولايته هذه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، ووسعه عن أمر الوليد له بذلك ، فدخل فيه قبر النبي صلى الله عليه وسلم

« وقد كان في هذه المدة من أحسن الناس معاشرة ، وأعدلهم سيرة.

« كان إذا وقع له أمر مشكل جمع فقهاء المدينة عليه ، وقد عين عشرة منهم ، وكان لا يقطع أمراً بدونهم ، أو من حضر منهم ..

« وكان لا يخرج عن قول سعيد بن المسيب ، وقد كان سعيد ابن المسيب لا يأتي أحداً من الخلفاء ، فكان يأتي عمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة .

« حدثني قادم البربري أنه ذاكر ربيعة بن أبي عبد الرحمن يوماً شيئاً من قضايا عمر بن عبد العزيز – إذ كان بالمدينة – فقال له ربيعة : كأنك تقول : أخطأ ، والذي نفسي بيده ما أخطأ قط

« وثبت من غير وجه عن أنس بن مالك ، قال : ما صليت وراء إمام أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى – يعني عمر بن عبد العزيز – حين كان على المدينة .

« قالوا : وكان يتم الركوع والسجود ، ويخفف القيام والقعود .

« وفي رواية صحيحة انه كان يسبح في الركوع والسجود عشراً عشراً .

« .. عن ابي النضر المديني ، قال : رأيت سليمان بن يسار خارجاً من عند عمر بن عبد العزيز فقلت له : من عند عمر خرجت ؟

قال : نعم . قلت : تعلمونه ؟ قـال : نعم . فقلت : هو والله أعلمكم .

« وقال مجاهد : اتينا عمر نعلمه ، فما برحنا حتى تعلمنا منه !!

« وقال ميمون بن مهران : كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة !

« وفي رواية قال ميمون : كان عمر بن عبـد العزيز معـلم العلماء !

« وقـــال الليث : حدثني رجل كان صحب ابن عمر وابن عباس ـ وكان عمر بن عبد العزيز يستعمله على الجزيرة ـ قـال : ما التمسنا علم شيء إلا وجدنا عمر بن عبد العزيز أعلم النـــاس بأصله وفرعه ، وما كان العلمـــاء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذة !

« وقال عبد الله بن طاووس : رأيت ابي تواقف هو وعمر بن عبد العزيز من بعد صلاة العشاء حتى أصبحنا !. فلما افترقا قلت : يا أبت من هذا الرجل ؟

« قال : هـذا عمر بن عبد العزيز ، وهو من صالحي هذا البيت ـ يعني بني أمية ـ .

« وقال عبد الله بن كثير ، قلت لعمر بن عبد العزيز : ما كان بدء إنابتك ؟ قال : أردت ضرب غلام لي ، قـــال لي : اذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة !

« وقال الإمام مالك : لما عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة ـ يعني في سنة ثلاث وتسعين ـ وخرج منها التفت اليهـا وبكى ، وقال لمولاه : يا مزاحم ، نخشى ان نكون ممن نفت المدينة ـ يعني أن المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحـديد ـ وينصع طيبهـــا .

« قلت : خرج من المدينة فنزل بمكان قريب منهـــا يقال له السويداء حيناً ثم قدم دمشق على بني عمه .

« .. عن اسماعيل بن أبي حكيم ، قـــال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : خرجت من المدينة وما من رجل أعلم مني ، فلما قدمت الشام نسيت .

« وقال الإمام أحمد .. عن الزهري قال : سهرت مع عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فحدثته ، فقال : كل ما حدثت فقد سمعته ، ولكن حفظت ونسيت .

« .. عن الزهري قال : قال عمر بن عبد العزيز : بعثني الى الوليد ذات ساعة من الظهيرة ، فدخلت عليه فاذا هو عابس ، فأشار الي ان اجلس فجلست ، فقال : ما تقول فيمن يسب الخلفاء ايقتل ؟

« فسكت

« ثم عاد ، فسكت

« ثم عاد ، فقلت : اقتَل يا امير المؤمنين ؟

قال : لا ، ولكن سب .

« فقلت : يُنكل به

« فغضب وانصرف إلى اهله !

« وقال أبن الريان السياف : اذهب

« قال : فخرجت من عنده ، وما تهب ريح إلا وانا اظن انه رسول يردني اليه !

هذا ما رواه ابن كثير .. عن تلك المرحلة الخـالدة من حيـاة عمر بن عبد العزيز .. حين كان حاكماً لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

فماذا قال ابن الأثير .. شيخ التاريخ الإسلامي ؟

قال :

« ثم دخلت سنة سبع وثمانين

« وفي هذه السنة عزل الوليد هشام بن اسماعيل عن المدينة

« وولى عمر بن عبد العزيز المدينة

« فقدمها والياً في ربيع الاول

« وثقله على ثلاثين بعيراً

« فنزل دار مروان

« وجعل يدخل عليه الناس فيسلمون

« فلما صلى الظهر دعا عشرة من الفقهاء الذين في المدينة ..

« فدخلوا عليه : فقال لهم : إنما دعوتكم لامر تؤجرون عليه ، وتكونون فيه اعوانا على الحق

« لا اريد أن اقطع امراً إلا برايكم ، او براي من حضر منكم

« فان رايتم احداً يتعدى ، او بلغكم عن عامل لى ظلامة ، فأحرّج الله على من بلغه ذلك إلا بلغني

« فخرجوا يجزونه خيراً وافترقوا .. »

هذا اول ما بدأ به عمر عهده في حكم المدينة ..

مجلس شورى من حوله من عشرة من فقهاء المدينة .. لا يقطع برأي دونهم ..

وهو اسلوب يكشف عن عبقرية في الحكم .. ورغبة شديدة في العدل ..

ثم يقول شيخ الرواة :

« ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ..

« وفي هذه السنة كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز .. يأمره بادخال حجر ازواج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في مسجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم

« وان يشتري ما في نواحيه حتى يكون مائتي ذراع

« ويقول له : قدّم القبلة إن قدرت ، وأنت تقدر لمكان أخوالك ، وانهم لا يخالفونك

« فمن ابى منكم فقوموا ملكه قيمة عدل ، واهدمْ عليهم ، وادفع الاثمان اليهم ، فان لك في عمر وعثمان اسوة .

« فأحضرهم عمر وأقرأهم الكتاب

« فأجابوه إلى الثمن ، فأعطاهم إياه

« وأخذوا في هدم بيوت ازواج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم

« وبنى المسجد ، وقدم عليه الفَعلة من الشام ، ارسلهن الوليد

« وبعث الوليد إلى ملك الروم يعلمه أنه قد هدم مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، ليعمره

« فبعث اليه ملك الروم مائة الف مثقال ذهب ، ومائة عامل ، وبعث اليه من الفسيفساء بأربعين جملاً

« فبعث الوليد بذلك إلى عمر بن عبد العزيز ، وحضر عمر ومعه الناس ، فوضعوا أساسه وابتدأوا بعمارته .

« وفي هذه السنة كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز في تسهيل الثنايا وحفر الآبار

« وامره ان يعمل الفوّارة بالمدينة ، فعملها واجرى ماءها

« فلما حجّ الوليد ورآها أعجبته

« فامر لها بقُوّام يقومون عليها

« وامر اهل المسجد ان يستقوا منها .. »

« وحجّ بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز

« ووصل جماعة من قريش

« وساق معه بُدْنا واحرم من ذي الحليفة

« فلما كان بالتنعيم أخبر أن مكة قليلة الماء وأنهم يخافون على الحاج العطش

« فقال عمر : تعالوا ندعُ الله تعالى

« فدعا ودعا معه الناس

« فما وصلوا البيت إلا مع المطر وسال الوادي

« فخاف أهل مكة من شدته

« ومطرت عَرَفة ومكة وكثر الخصب . » !

« .. ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ..

« في هذه السنة .. حجّ بالناس .. الوليد بن عبد الملك

« فلما دخل المدينة غدا إلى المسجد ينظر إلى بنائه

« واخرج الناس منه ولم يبقَ غير سعيد بن المسيّب . لم يجرؤ احد من الحرس أن يُخرجه

« فقيل له : لو قمتَ ؟

« قال : لا أقوم حتى يأتي الوقت الذي كنت اقومُ فيه

« فقيل : لو سلمت على امير المؤمنين ؟

« قال : والله لا اقوم اليه

« قال عمر بن عبد العزيز : فجعلتْ اعدل بالوليد في ناحيـة المسجد لئلا يراه

« فالتفت الوليدْ إلى القبلة فقـال : مَن ذلك الشيخ ؟ أهـو سعيـد ؟

« قال عمر : نعم ، ومن حاله كذا وكذا ، فلو علم بمكانك لقام فسلم عليك ، وهو ضعيف البصر .

قال الوليد : قد علمتْ حاله ونحن نأتيه .

« فدار في المسجد حتى أتاه .

« فقال : كيف انت ايها الشيخ ؟

فوالله ما تحرك سعيد ، بل قال : بخير والحمدلله ، فكيف أمير

المؤمنين وكيف حاله ؟

« فانصرف وهو يقول لعمر : هذا بقية الناس . » !

اقاصيص أغرب من الخيال .. ولكنها حقائق ثابتة .. من هؤلاء العظماء !

« ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ..

« وفيها غزا .. طارق بن زياد .. الاندلس في اثني عشر الفا ..

« وفتح الأندلس سنة اثنتين وتسعين .. » !

إنما ذكرنا هذا الخبر هاهنا .. لنأخذ فكرة عن الأحداث الكبرى الدائرة من حول عمر بن عبد العزيز .. وأن الدولة الإسلامية آنذاك .. كانت تتمدد شرقاً وغرباً .. وشمالاً وجنوباً .. لا يقف في طريقها شيء !!

« ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ..

« وفي هذه السنة عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن الحجاز والمدينة

« وكان سبب ذلك ان عمر كتب الى الوليد يخبره بعسف الحجاج اهل العراق واعتدائه عليهم وظلمه لهم بغير حق

« فبلغ ذلك الحجاج ، فكتب إلى الوليد

« إنَّ مَن عندي من اهل العراق واهل الشقاق قد جـــلوا عن العراق ولحقوا بالمدينة ومكة ، وان ذلك وهنٌ .

« فكتب اليه الوليد يستشيره فيمن يوليه المدينة ومكة

« فاشار عليه بخالد بنِ عبدالله وعثمان بن حيّان

« فولى خالداً مكة ، وعثمان المدينة وعزل عمر عنها

« فلما خرج عمر من المدينة قال : إني أخاف ان اكون مِمن نفتـه المدينة ، يعني بذلك قول رسول الله ، صلى الله عليـــه وسلم ، تنفي خبثها .

« .. ولما قدم خالد مكة اخرج مَن بها من اهل العراق كرهاً

« وتهدد من انزل عراقيا أو اجره داراً

« واشتد على اهل المدينة وعسفهم وجار فيهم ومنعهم من انزال عراقي

« وكانوا ايام عمر بن عبد العزيز كل من خاف الحجـــاج لجأ الى مكة والمدينة . » !

أمر عجيب !

في العراق .. السفّاح .. الحجّاج ..

وفي المدينة .. العادل الرحيم .. عمر بن عبد العزيز !

وقد رأينا كيف حاول عمر عند الخليفـــة ان يعزل ذلك السفّاح ..

ولكن كما هي العادة في السياسة .. ألاعيب الدهاة والجبابرة .. تتغلب على عدل الأتقيـاء !

فانتصر الحجّاج في الجولة .. واخذ الوليد بن عبد الملك برأيه ..

ونُزع عمر بن عبد العزيز عن حكم المدينة ومكة !

وخرج من المدينة .. وهو يلتفت إليها .. ويبكي !

انقلاب .. في شخصية ..

عمر بن عبد العزيز ..؟

قال ابن الأثير :

« ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ..

« وفيها كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز

« قبل ان يعزله

« يأمره بضرب خُبَيب بن عبدالله بن الزبير

« ويصب على رأسه ماء بارداً

« في يوم شات

« ووقفه على باب المسجد

« فمات من يومه . » !

هذه هي الجريمة .. التي صدرت عن عمر بن عبد العزيز ..

أو هذه هي المعصية .. التي احدثت انقلاباً في شخصية عمر بن عبد العزيز ..

فما هي القصّة ؟

قالوا : « إنه خُبَيْب بن عبدالله بن الزبير بن العوام ..

« وكان خبيب تابعياً عابداً ثقة من النساك ..

« وكان طويل الصلاة قليل الكلام

« وتوفي سنة ثلاث وتسعين للهجرة . »

هذا هو خُبيب .. فما هي القصة ؟!

قالوا : « كان خبيب في المدينة وعمر أمير عليها .. يظهر الاعتراض على بني أمية وعلى الولاة

« وكان يعترض على عمر في تصرفاته

« كتب الوليد إلى عمر يأمره ان يهدم المسجد النبوي لتوسيعه وإدخال حجرات نساء النبي فيه .. »

فذهب خُبيب إلى عمر معترضاً وقال :

« ناشدتك الله يا عمر ، أن تذهب بآية من كتاب الله تقول : إن الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون . » !

وصمت عمر .. وتألم في نفسه ..

ولم يقف خبيب عند هذا .. وذهب يطعن في بني أمية ..

ويردد في الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في

بني أمية :

« **إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً ، اتخذوا عباد الله خولا ، ومال الله دُوَلا** » !

ونُقل هذا الكلام إلى امير المؤمنين الوليد بن عبد الملك .. رأس الأمويين .

فاشتد غضبه .. وارسل إلى عمر بن عبد العزيز .. أن يقبض على خُبَيب ويضربه مائة سوط ـ وقيل خمسين والأول أشهر ـ وأن يحبسه !!

أحضر عمر خُبيباً امام المسجد .. وضربه مائة سوط ..

فاصيب بالحمى .. وارتفعت حرارته ..

وامر عمر بقربة ماء بارد فصبوها عليه .. وكان البرد شديداً ..

فتقلّص جسم خبيب المحموم المجلود ..

ويبس .. وانقبض من البرد ..

وخر مغشياً عليه ..

وأشرف على الموت ؟!

وقيل انه أوقفه على باب المسجد يوماً ..

وقيل انه بعد ان ضربه .. سجنه .. حسب اوامر الوليد ..

وبعد مدة زادت آلامه ..

فأخرجه عمر من الحبس ..

ونقله اهله إلى دار عمر بن مصعب بن الزبير ..

فاجتمع اقاربه حوله ..

ولم يلبث إلا قليلاً .. ثم فارق الحيـاة ؟!

هذه هي الجريمة . التي احدثت انقلاباً في شخصية عمر بن عبد العزيز !

والحُكم مصيبة ..

وبلاء .. اشد البلاء !

خاصة إذا ابتلى به المؤمنون الأصفياء !!

وبعث عمر بن عبد العزيز رجلاً .. ينظر هل مات حقاً خُبيب ؟!

فلما استوثق الرجل من موت خبيب .. عاد يحمل النبـأ الأليم إلى عمر ..

قال الرجل :

« فانتهيت إلى دار مروان »

(الدار التي كان ينزل فيها عمر وهو امير على المدينة)

« فقرعت الباب ودخلت

« فوجدت عمر كالمرأة الماخض

(اي التي جاءها المخاض)

« قائماً وقاعداً

« فقال لي : ما وراءك ؟

« فقلت مات الرجل !

« فسقط إلى الأرض فزعاً

« ثم رفع رأسه يسترجع

« فلم يزل يعرف فيه حتى مات » !

ذلكم هو الحادث .. الخطير .. الذي فرضته الأقدار فرضاً على عمر ..

لتسرع به إلى ربه ..

فانقلب من شاب ناعم .. إلى شاب حزين خشن ..

يقول علي بن بزيعة :

« رأيته في المدينة وهو احسن الناس لباساً

« ومن اطيب الناس ريحاً

« ومن أخيل الناس في مشية

« ثم رأيته بعد ذلك يمشي مشية الرهبان . »

ويقول ابن كعب القرظي انه رأى عمر بن عبد العزيز ، وهو امير على المدينة ، فإذا هو شاب غليظ الجسم ممتلىء البدن .. ثم رآه بعد ذلك في « خناصرة » فإذا هو تغيرت حاله عما كانت .. فتبدل لونه .. وسقط شعره .. ونحل جسمه !!

إن المؤمن إذا ارتكب ذنباً .. كان شديد الندم .. شديد الاحساس بالجريمة ..

فكيف وهو عمر بن عبد العزيز ؟!

كيف كان احساسه .. ان قتل مؤمنا .. خطأ .. وما له من ذنب إلا انه اندفع في حماس الشباب .. يسبّ بني أمية ؟!

قد تمر هذه الجريمة إذا ارتكبها الطغاة .. سهلة هينة ..

ولكن عند عمر بن عبد العزيز .. دَوّت في أعماقه دويّاً رهيباً ..

وصاح صائح من داخله : ماذا تقول لربك .. إذا سالك : لماذا عذّبت ُخبَيباً .. حتى قتلته ؟!

فانقلب عمر .. على نفسه .. التي سوّلت له ما فعل ..

يشتد عليها .. ويحرمها ما تهوى .. تهذيباً لها وتأديباً ..

يقول مكحول :

« ولو حلفت ما استثنيت .. ما كان في زمانه أخوف لله عز وجل من عمر

« ولو حلفت ما استثنيت ما كان في زمانه ازهد في الدنيـــا من عمر » !

وظلّ طيلة حياته .. كلما اثنى عليه احـــــد .. او بشّره مبشر .. يردد :

« وكيف .. بخُبَيب .. على الطريق » ؟!

مستشار أمير المؤمنين ..

سليمان بن عبد الملك ..

قال ابن الاثير

« ثم دخلت سنة خمس وتسعين ..

« قيل : إن عمر بن عبد العزيز ذُكر عنده ظُلم الحجاج وغيره من ولاة الأمصار أيام الوليد بن عبد الملك

« فقال :

« الحجاج بالعراق

« والوليد بالشام

« وقُرة بمصر

« وعثمان بالمدينة

« وخالد بمكة

« اللهم قد امتلأت الدنيا ظلما وجورا فأرح الناس !

« فلم يمض غير قليل

« حتى توفي الحجاج وقرة بن شريك في شهر واحد

« ثم تبعهما الوليد

« وعُزل عثمان وخالد

« واستجاب الله لعمر » ؟!

ونادى عمر ربه : اللهم .. قد امتلأت الدنيا .. ظلماً وجوراً .. فارح الناس !

فاستجاب له ربه .. أني مهلكهم جميعاً يا عمر !!

فتأمّل .. وتعجّب .. فتلك من بدائع عمر بن عبد العزيز !!

ثم يقول شيخ التاريخ الاسلامي :

« وكانت وفاة الحجاج .. سنة خمس وتسعين .. وله من العمر أربع وخمسون سنة .. وكانت ولايته العراق عشرين سنة ..

« وقيل : احصي من قتله الحجاج صبرا فكانوا مائة الف وعشرين الفاً ..

« .. ومات الوليد بن عبد الملك .. !

ثم يقول ابن الأثير :

« ثم دخلت سنة ست وتسعين ..

« وفي هذه السنة غزا قُتَيبَة .. حتى بلغ قريب الصين » ؟

انظر .. إن الدولة بلغت الصين شرقاً .. الدولة التي سوف يتربع عليها قريباً .. عمر بن عبد العزيز !

« وفي .. هذه السنة مات الوليد بن عبد الملك

« وكانت خلافته تسع سنين وسبعة اشهر ..

« وكان الوليد عند اهل الشام من افضل خلائفهم ، بنى المساجد ، مسجد دمشق ، ومسجد المدينة ، على ساكنها السلام ، والمسجد الأقصى

« ووضع المنائر ، وأعطى المجذمين ومنعهم من سؤال الناس

« وأعطى كل مقعد خادماً

» وكل ضرير قائداً

« وفتح في ولايته فتوحاً عظاماً

« منها ، الأندلس ، وكاشغر ، والهند . » !

تأمّل .. المستوى الرفيع .. الذي كانت عليه الدولة الأعظم ؟!

كل مُقعَد خادماً ؟!

كل ضرير قائداً ؟!

بينما الدولة تتمدد إلى الأندلس .. وإلى الهند .. ثم تتجاوز الهند إلى الصين !

« وكان صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع

« وكان الناس يلتقون في زمانه فيسأل بعضهم بعضاً عن البناء » !

عهد تعمير ورخاء وعزّة !

« وكان سليمان صاحب طعام ونكاح

« فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن النكاح والطعام » !

عهد رفاهيـة !

« وكان عمر بن عبد العزيز صاحب عبادة

« وكان الناس يسأل بعضهم عن الخير ؟ وما وردك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ؟ وكم تصوم من الشهر ؟ »!

الناس على دين ملوكهم ..

والشعب يتأثر باتجاه الحاكم والدولة !

« وخطب يوماً (اي الوليد) فقال : يا ليتها كانت القـاضية .. وضم النسـاء !

« فقال عمر بن عبد العزيز : عليك .. وارحتنا منك »!

وهذا دليل على تبرم عمر بن عبد العزيز .. بخلفاء بني أميـة وأفعـالهم !

ثم يقول ابن الأثير :

« وفي هذه السنة ..

« بويع سليمان بن عبد الملك .. في اليوم الذي توفي فيه الوليد .. »

« ثم دخلت سنة سبع وتسعين ..

« في هــــذه السنة جهز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية .. » !

الدولة الأعظم .. التي سوف يحكمها عمر بن عبـــد العزيز .. تتمدد إلى الشمال ..

ومن قبل شرقاً إلى الصين ..

ومن قبل غرباً إلى الأندلس ..

لتأخذ فكرة عن مدى اتساع دولة عمر بن عبد العزيز !

ثم يقول ابن الأثير :

« ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ..

« في هذه السنة سار سليمان بن عبد الملك إلى دابق

« وجهز جيشاً مع أخيه مسلمة بن عبد الملك ليسير إلى القسطنطينية فسارا إلى القسطنطينية.

« .. في هذه السنة غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان .. » ؟

الفتوحات مستمرة .. ها هي تتوغل في القوقاز !

كان فتح الدنيا .. صار لهم صناعة !

ثم يقول ابن الأثير :

« ثم دخلت سنة تسع وتسعين ..

« في هذه السنة توفي سليان بن عبد الملك بن مروان ..

« فكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر وخمسة أيام ..

« وصلى عليه عمر بن عبد العزيز

« وكان الناس يقولون : سليان مفتاح الخير

« ذهب عنهم الحجاج وولى سليان ، فأطلق الاسرى ، واخلى السجون واحسن إلى الناس

« واستخلف عمر بن عبد العزيز » !

ماذا كان يصنع عمر بن عبد العزيز ، في مدة خلافة سليان بن عبد الملك ؟

كان ــ بلغة عصرنا ــ الرجل الثاني .. في الدولة الأعظم ..

كان مستشاراً ، ووزيراً .. لسليان بن عبد الملك ..

لا يقطع في امر ، إلا شاوره فيه ..

وهذا تمهيد عجيب ، من الأقدار .. لعمر بن عبد العزيز ..

فهو يتدرب عملياً .. على أعمال الخلافة .. طيلة مدة خلافة سليان .. وكانت نحو سنتين ونصف !

والتمهيد الثاني .. من الأقدار لعمر بن عبد العزيز .. إن الدولة آنذاك بلغت من الاتساع حدّاً لا يتصوره العقل !

فقد كانت الدولة حين تربع على عرشها .. هي الدولة الأعظم في العالم ، لا توجد دولة تنازعها سيادة العالم ..

كان العالم المعمور يومئذ هو اوروبا .. وآسيا .. وشمـــال افريقيا .

أما الأمريكتين ، واستراليا ، وجنوب افريقيا ، وشمـــال اوروبا .. فقد كانت مجاهل لم تكتشف بعد ، او يسكنها اعداد لا قيمة لها ..

فالعالم المعلوم والمعمور ، كان كله تحت سلطة الخلافة الاسلامية ، يمتد من شواطىء الأطلسي غرباً .. فقد فتحوا شمال افريقيا كله ، وفتحوا الأندلس ..

ويمتد إلى الصين شرقاً ، وكانت الصين يومهـــا تخطب ودّ الدولة الاسلامية حتى لا تجهز عليها .. ويمتد إلى جنوب روسيـا شمالاً ، فقـــد فتحوا القوقـاز .. ووقفوا يـدقون أبواب القسطنطينية .

خلاصة القول أن العالم يومئذ كان تحت سلطانهم .. إلا هـذا القوس الممتد من القسطنطينية إلى فرنسا من اوروبا ، وهو ما تبقى من امبراطورية الروم ..

امـــا هذه الجزر المنتشرة في البحر الأبيض .. قبرص ..

كريت .. مالطة .. سردينيا .. فقد فتحوها واتخذوها قواعد للانطلاق !

قالوا :

« وفي سنة ٩٦ هجرية مات الوليد بن عبد الملك

« وفي نفس السنة بويع سليمان بن عبد الملك

« فاتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز مستشاراً ووزيراً

« وقال له سليمان : إنا قد ولينا ما ترى .. وليس لنا علم بتدبيره .. فما رأيت من مصلحة العامة .. فمر به فليُكتب .. » !

نلتقط هنا إشارة خطيرة ، ان سليمان يُلقي بالأمر إلى عمر بن عبد العزيز ..

ففي الظاهر سليمان هو الخليفة .. بينما الأمر في الحقيقة إلى عمر بن عبد العزيز ..

« وليس لنا علم بتدبيره

« فما رأيت من مصلحة العامة

« فمُر به .. فليُكتب » !

اعتراف من الخليفة ..

ودعوة صريحة إلى عمر ، ليتخذ ما شاء مما فيه مصلحة العامة أي الشعب

فمُر به فليُكتب ؟!

اي اصدر الأوامر التي تراها ، والقرارات التي يستقر عليها رأيك !

فكأن الأقدار تدرب عمر على مهمة الخلافة قبل ان يلي الخلافة ..

فماذا كان من الرجل الثاني ؟

وقالوا

« فأشار عليه عمر

« بعزل نواب الحجاج

« وإخراج اهل السجون

« وإطلاق الأسرى

« وغزو القسطنطينية

« فأخبره سليمان انه امر بحشد مائة وعشرين الفاً في البر ، ومائة وعشرين الفاً في البحر ، والف سفينة في البحر ، من اهل مصر وافريقية ، وأمر عليهم مَسلمة أخاه » !

نعم المستشار عمر !

ونعم نائب الخليفة عمر !

عزل نوّاب الحجُاج ..

لا يكفي أن ذهب الحجّاج ، ولكن يجب استئصال نوابـه .
فإنهم على شاكلته ، مجرمون كما كان مجرماً !

عملية تطهير في الدولة الكبرى !

إخراج اهل السجون ؟

الافراج عن المسجونين السياسيين جميعــاً .. ردّ الحرية إلى اولئك الألوف المظلومة ؟

إطلاق الأسرى ؟

ردّ الحرية إلى أسرى الحرب .. وكانوا بمئات الألوف ..

ثم ماذا ؟. ثم غزو القسطنطينية .. آخر معقــل لدولة الروم !

فأخبره الخليفة بالعجب ؟

١٢٠٠٠٠ في البرّ !

١٢٠٠٠٠ في البحر ؟

١٠٠٠ سفينة في البحر ؟

قوة جبّارة هدّارة .. تنتظر الإشارة ؟

إن عمر .. يُوضع داخل الأحداث العليـا .. في سياسة الدولة العليا .. وصارت له الكلمة العليا .. فجعل كلمــة الله هي

العليا ..

لقد وجـــدت مواهب عمر العليا .. الفرصة لتظهر ، وتنشر الرحمة والعدل على الناس !

لقد أخذ عمر مجلسه إلى جوار الخليفة سليمان ، وهو في نحو الخامسة والثلاثين ، ومات عنه سليمان وهو في نحو السابعة والثلاثين والنصف .

نحو سنتين ونصف ، وهو يباشر اصدار الأوامر ، واتخاذ القرارات بتفويض من الخليفة .

لما آنس فيه ، من اخلاص ، واستعداد عجيب لإدارة العالم كله أحسن إدارة .

والأعجب من هذا كله ، ان عمر بن عبد العزيز ، لم تحدثه نفسه ان يعمل لنفسه ، بل كان يزداد زهداً في المناصب ، ويزداد بُعـداً عن الدنيا !

قالوا :

« وفي سنة ٩٧ هجرية حجّ سليمان بن عبد الملك بالناس ومعه ابن عمه عمر بن عبد العزيز

« فلما وقف سليمان وعمر بعَرفة

« ورأى سليمان كثرة الناس قال :

« ألا ترى هذا الخلق الذي لا يحصي عددهم إلا الله .. ولا يسع رزقهم غيره ؟!

« فقال له عمر :

« يا امير المؤمنين .. هؤلاء رعيتك اليوم .. وانت مسئول عنهم غداً ..

« وفي رواية :

« وهم خصماؤك يوم القيامة

« فبكى سليمان وقال :

« بالله نستعين .. » !

هذا هو المستشار عمر ، ومن أجل هذا القى اليه الخليفة بالأمور .

ثقة تامة في عمر ؟

واستعداد تام من الخليفة ليسمع من عمر .

يقول له :

الا ترى هذا الخلق ؟

ملايين جاءت من العالم كله .. تعجّ إلى الله .. في عَرَفة .

فيقول المستشار الأمين ، الذي يخشى الله :

هم خصماؤك يوم القيامة !

كلمة شديدة عنيفة ، دقّ بها عمر عُنق سليمان

فامحت نفسه ، فبكى وقال :

بالله نستعين !!

عظمة من الرجل الثـــاني ، في الدولة الأعظم .

وعظمة ، من الرجل الأول ، حين بكى .

وأخرى اكبر من اختها ..

من آيات عمر بن عبـد العزيز

قالوا :

« بينا سليمان في معسكره ليلا

« وبجواره عمر بن عبد العزيز

« سمع صوت غناء ينبعث من بعيد :

حيّ طيفا من الأحبة زارا
بعدما صرّع الكرى السّمارا

طارقا في المنام تحت دجى اللي
ل ضنينا بأن يزور نهارا

قلت ما بالنا جُفينا وكنا
قبل ذاك الأسماع والابصارا ؟

« واحضر سليمان المغني وصحبه

« وامر بخصائهم !

« فنهاه عمر عن ذلك

« واشار عليه بنفيهم

« ففعــــل » !

حادثة طريفة غاية الطرافة ..

الخليفة يامر بخصائهم ، ليستاصل منهم الشهوة الجنسية ، عقوبة لهم على تهييج الشهوة عند الناس .

فماذا كان من المستشار الأمين ؟

انهاه .. واشار عليه بنفيهم ..

فماذا كان من الخليفة ؟

ففعــــل !؟

أمر بنفيهم ..

أمانة من المستشار .. واستعداد تام من الخليفة للاستجابة

وهذا دليل الثقة المتبــــادلة بين الاثنين .

قال ابن كثير :

« قال عثمان بن زبر : اقبل سليمان بن عبــد الملك - وهو امير المؤمنين

« ومعه عمر بن عبد العزيز على معسكر سليمان

« وفيه تلك الخيول والبغال والاثقال والرجال

« فقال سليمان ما تقول يا عمر في هذا ؟!

« فقال . ارى دنيا .. ياكل بعضها بعضاً .. وانت المسئول عن ذلك كله

« فلما اقتربوا من المعسكر إذا غراب قد اخذ لقمة في فيه من فسطاط سليمان وهو طائر بها .. ونعب نعبة

« فقال له سليمان : ما هذا يا عمر ؟!

« فقال : لا ادري

« فقال : ما ظنك انه يقول ؟

« قلت : كانه يقول . من اين جاءت ؟ واين يذهب بها

« فقال له سليمان : ما اعجبك !

« فقال عمر . العجب من عرف الله فعصاه .. ومن عرف الشيطان فأطاعه .. ومن عرف الدنيا فركن اليها ؟! »

ما أعجبك ؟!

إن الخليفة لم يستطع التحليق إلى افق عمر الرفيع ..

« في رواية ابن الجوزي :

« فقال سليمان ماذا ترى هذا الغراب يقول ؟

« قال : اظنه يقول : من اين دخلت هذه الكسرة ؟. وكيف خرجت ؟

« قال : إنك اتجيء بالعجب يا عمر . » !

حقاً ، رجل عجيب ، يرمز إلى الحقائق رمزاً عميقاً ، يحتاج إلى فهم عميق .

يا له من مستشار

وثالثة اخرى ، اعجب واعجب ؟

« .. انهم لما اصابهم ذلك المطر والرعد

« فزع سليمان وضحك عمر

« فقال : أتضحك !؟

« فقال : نعم .. هذه آثار رحمته ونحن في هذه الحال .. فكيف بآثار غضبه ونحن في تلك الحال ؟! » !!

وفي رواية

« يا أمير المؤمنين ، هذه رحمة الله قد افزعتك .. كيف لو جاءك عذابه » ؟

وفي رواية

« هذه جاءت برحمته ، كيف لو جاءت بسخطه » ؟

فقه رفيع ، لا يفقهه إلا أهل الله ..

إن لكل أمر يحدث عند عمر .. إشارة إلى حكمة إلهية مرادة ؟

فهل كان مستشاراً سياسياً ، ام وزيراً تنفيذياً ، ام عالماً ربانياً !

كل اولئك كان ، وزيادة !

• وعند ابن الجوزي .. فى شأن رجل من الحرورية شتم سليمان

• فقال عمر لسليمان :

• أرى عليه ان تشتمه كما شتمك

• ولكن سليمان امر بضرب عنق الحروري

• وقام سليمان

• وقال ابن الريان لعمر : تقول لأمير المؤمنين : ما ارى عليه إلا ان تشتمه كما شتمك ؟!

• والله لقد كنت متوقعاً أن يأمرني بضرب عنقك !

« قال عمر : لو أمرت لفعلت ؟

« قال : إني والله لو امرني لفعلت ..

« فلما تولى عمر الخلافة استدعى ابن الريان وعزله عن الحرس

« وقال له : يا خالد .. ضع السيف عنك ..

« اللهم إني قد وضعت لك خالد بن الريان

« اللهم لا ترفعه ابداً

« وولى عمر على الحرس .. عمر بن مهاجر الأنصاري » !

حادثة خطيرة جداً ..

لقد استنقذ عمر رأس الرجل ، ورأى ان يشتمه الخليفة كما شتمه .

وهذا لا يرضي منطق الملوك ..

ولكن عمر ، له منطق فوق منطق الملوك ..

فقه عمر .. الناس سواسية ، في الحقوق والواجبات ، وهذا فقه الاسلام الصحيح !

ولم يقف عمر عند هذا ، بل سارع الى اقصاء هذا السيّاف من منصبه ، بمجرد توليه للخلافة .

قال ابن كثير :

« ذكر الامام مالك

« ان سليمان وعمر تقاولا مرة

« فقال له سليمان في جملة الكلام :

« كذبت !

« فقال : تقول كذبت ؟!. والله ما كذبت .. منذ عرفت ان الكذب يضر أهله !

« ثم هجره عمر

« وعزم على الرحيل إلى مصر

« فلم يمكنه سليمان

« ثم بعث اليه يصالحه

« وقال له : ما عرض لي أمر يهمني إلا خطرت على بالي . » !!!

وفي رواية اكثر تفصيلاً :

« خرج عمر بن عبد العزيز مع سليمان يريد الصائفة .

« فالتقى غلمانه وغلمان سليمان على الماء فاقتتلوا

« فضرب غلمان عمر غلمان سليمان

« فشكوا ذلك الى سليمان

« فارسل الى عمر فقال له : ضرب غلمانك غلماني

« فقال عمر : ما علمت

« فقال له سليمان : كذبت

« قال : ما كذبت منذ شددت على ازاري ، وعلمت ان الكذب نصر اهله .. وان في الأرض عن مجلسك هذا لسعة

فتجهز يريـــد مصر

« فبلغ سليمان فشق عليه

« فدخلت فيما بينهما عمة لهما

« فقال لها سليمان : قولي له يدخل عليّ ولا يعاتبني

« فـــدخل عليه عمر

« فاعتذر اليه سليمان

« وقال له : يا أبا حفص .. ما اغتممت بامر .. ولا اكربني امر .. الا خطرت فيـــه على بالي . » ؟

لقد تغلغل حب عمر بن عبد العزيز .. في شغاف قلب الخليفة سليمان بن عبـــد الملك .

فالقى اليه بالأمور يصرفها .. ويرى فيها رأيه ..

هذا في الظاهر ، وفي الباطن ، كان يحبه ، ويجله ، ولا يطيق فراقـــه ..

فاستوى عمر ، على عرش الدولة الأعظم .

قبل ان يستوي على عرش الخلافة !

ولي العهد !.

قال ابن الأثير :

« ثم دخلت سنة تسع وتسعين ..

« في هذه السنة استخلف عمر بن عبد العزيز

« وسبب ذلك ان سليمان بن عبد الملك لما كان بدابق مرض

« فلمـــا ثقل عهد في كتاب كتبه لبعض بنيه ، وهو غلام لم يبلغ

« فقال له رجاء بن حياة : ما تصنع يا امـــير المؤمنين ؟!. انه مما يحفظ الخليفة في قبره ان يستخلف على النـــاس الرجل الصالح

« فقـــال سليمان : انا استخير الله وانظر فيه ، ولم أعزم عليـــه

« فسكت سليمان يوماً أو يومين ثم خرّقه ودعا رجاء فقال : ما ترى في ولدي داود ؟

« فقال رجاء : هو غائب عنك بالقسطنطينيـــة ، ولا تدري أحيّ هو ام لا

« قال : فمنْ ترى ؟

« قال رجاء : رأيك

« قال : فكيف ترى في عمر بن عبـد العزيز ؟

« قال رجاء : فقلتُ : أعلمه واللهِ خـيّراً فاضلاً سليماً

« قال سليمان : هو على ذلك .. ولئن ولّيتُه ولم أولّ احـداً سواه لتكونن فتنة .. ولا يتركونه أبداً يلي عليهم الا ان يجعـل أحدهم بعده

« وكان عبد الملك قد عهد الى الوليد وسليمان أن يجعلا اخاهما يزيد ولي عهد

« فأمر سليمان ان يجعل يزيد بن عبد الملك بعد عمر

« وكان يزيد غائباً في الموسم

« قال رجاء : قلت رأيك

« فكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب من عبدالله سليمان امير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز

« إني قد ولّيتُك الخلافة بعدي

« ومن بعدك يزيد بن عبد الملك

« فاسمعوا له واطيعوا

« واتقوا الله ولا تختلفوا فيُطمع فيكم .

« وختم الكتاب .

« فارسل إلى كعب بن جابر العبسيّ صاحب شُرطته فقال : ادعُ اهلَ بيتي

« فجمعهم كعب

« ثم قال سليمان لرجاء بعد اجتماعهم : اذهب بكتابي اليهم .. واخبرهم بكتابي .. ومُرهم فيبايعوا مَن وليتُ فيه

« ففعل رجاء

« فقالوا : ندخل ونسلم على امير المؤمنين ؟

« قال : نعم

« فدخلوا ،

« فقال لهم سليمان : في هذا الكتاب – وهو يشير الى الكتاب

الذي في يد رجاء بن حياة — عهدي .. فاسمعوا واطيعوا لمن سمّيتُ فيه .

« فبايعوه رجلا رجلا وتفرّقوا

« وقال رجاء : فأتاني عمر بن عبد العزيز فقال : اخشى ان يكون هذا اسند إلي شيئاً من هذا الأمر ؟!. فانشدك الله وحرمتي إلا أعلمتني إن كان ذلك .. حتى أستعفيه الآن .. قبل ان تأتي حال لا اقدر فيها على ذلك

« قال رجاء ما انا بمخبرك حرفا

« قال : فذهب عمر عني غضبان

« قال رجاء : ولقيني هشام بن عبد الملك فقال : ان لي بك حُرمة ومودّة قديمة وعندي شكر فاعلمني بهذا الأمر .. فإن كان الى غيري تكلمت .. ولله عليّ أن لا اذكر شيئاً من ذلك ابداً

« قال رجاء : فابيتُ ان اخبره حرفاً

« فانصرف هشام وهو يضرب باحدى يَديه على الأخرى وهو يقول : فإلى مَن اذا نُحّيت عنّي ؟!. اتخرج من بني عبد الملك ؟

« قال رجاء : ودخلت على سليمان فاذا هو يموت

« فجعلت اذا اخذته سكرة من سكرات الموت حرفتــــه إلى القبلة

« فيقول حين يفيق : لم يأنِ بعدُ

« ففعلت ذلك مرتين او ثلاثاً

« فلما كانت الثالثة قال . من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئا .. اشهد أن لا إله الا الله .. واشهد ان محمداً رسول الله

« فحرفته .. فمات

« فلما غمّضتْه وسجّيته .. واغلقتْ البـــاب .. أرسلت اليّ زوجته فقالت : كيف اصبح ؟

« فقلتُ : هو نائم قد تغطى

« ونظر اليه الرسول متغطياً .. فرجع فـاخبرها .. فظنَّت انه نائم

« قال : فاجلستْ على الباب مَن أثق به .. واوصيته ان لا يبرح .. ولا يترك أحداً يدخل على الخليفة

« قال ؛ فخرجت فارسلت الى كعب بن جابر .. فجمع أهـل بيت سليمان

« فاجتمعوا في مسجد دابق

« فقلت : بايعوا

« فقالوا قد بايعنا مرّة

« قلت : واخرى .. هذا عهد امير المؤمنين

« فبايعوا الثانية

« فلما بايعوا بعد موته رأيت اني قد احكمت الأمر فقلت : قوموا إلى صاحبكم فقد مات

« قالوا : انا لله وإنا اليه راجعون

« وقرأت الكتاب

« فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز قال هشام : لا نبايعه والله ابداً

« قلت : اضرب والله عنقكَ .. قمْ .. فبايع

« فقام يجر رجليه

« قال رجاء : فأخذتُ بضبعَي عمر بن عبد العزيز .. فأجلسته على المنبر وهو يسترجع لما وقع فيه

« وهشام يسترجع لما اخطأه

« فبايعوه

« وغُسل سليمان وكُفن

« وصلى عليه عمر بن عبد العزيز

« ودُفن ... » !

هذه رواية ابن الأثير ..

ونلتقط منهـا إشارات ..

الأولى أن عمر حاول أن يعرف من رجاء إن كان الأمر اليه في الوصية .. ليتفكك منها قبل أن يموت سليمان .. فـلم يظفر بجواب ..

وهذا دليل على زهده في هذه الخلافة .. وأنـــه لا يرغب فيهـــا ..

وعلى النقيض .. حاول هشام ان يعرف من رجاء .. إن كانت قد نُحيت عنه .. ليتدارك الأمر لتكون له .. فـلم يظفر بجواب .. فاشتد قلقه وهو يردد :

« فالى مَن إذا نُحيت عني » !!

عكس شعور عمر .. عمر يريد أن يدفعها عنه .. وهذا يريد أن تكـون له ؟!

والاشارة الثانية .. انه أي عمر .. حين استقرت عليـه .. وأخذ رجاء بضبعيه وأجلسه على المنبر .. جعـــل يردد .. إنا لله وإنا اليه راجعون !

مصيبة .. وأي مصيبة أصابتـــه !

أعظم منصب في العالم ..

حاكم ثلاثة أرباع الدنيا .. يعتبره عمر بن عبد العزيز .. أعظم مصيبة .. نزلت به .. فجعل يسترجع .. إنا لله وإنا اليه راجعون .. إنا لله وإنا اليه راجعون ..

وأعلى .. وأغلى .. وأرقى .. صنف من الحكام .. مَن كان زاهداً في الحُكم .. غير حريص عليه ..

وسوف نرى حواره مع عبد العزيز بن الوليد .. وكيف أنه يكشف هذا الاحساس الرفيع من عمر .. احساس الزهد في هذه الخلافة .. التي عليها يقتتلون !

قال ابن الأثير :

« وبلغ عبد العزيز بن الوليد ، وكان غائباً ، عن موت سليمان ، ولم يعلم ببيعة عمر

« فعقد لواء ودعا إلى نفسه

« فبلغه بيعة عمر بعهد سليمان

« واقبل حتى دخل عليه

« فقال له عمر : بلغني انك بايعت من قِبَلك واردت دخول دمشق ؟!

« فقال : قد كان ذاك .. وذلك انه بلغنى ان سليمان لم يكن عهد

لأحد .. فخفتُ على الأموال ان تُنهب

« فقال عمر : لو بايعتَ وقمتَ بالأمر .. لم اانازعك فيـــه .. ولقعدت في بيتي !

« فقال عبد العزيز : ما احب اله ولى هذا الأمر غيرك

« وبايعه .. » !!

حوار عجيب .. ينـدر أن يكون من أحد . إلا أن يكون عمر بن عبد العزيز !

« لو بايعت .. وقمت بـالأمر .. لم انازعك فيه .. ولقعدت في بيتي » ؟!

ذلكم العبقري .. الأعلى ..

ذلكم عمر بن عبد العزيز !

لم أنازعك فيه ؟

ولقعدت في بيتي !

تأملي .. يا دنيا ..

أعظم منصب في العالم . ديني .. ودنيوي ..

يُلقيه عمر .. كأنما يُلقى عنه قاذورة !

طراز رفيـع .. رفيـــع .. رفيع !

قال ابن كثير :

« ولما رجع من الجنازة (جنازة سليمان) وقد بايعه الناس

« واستقرت الخلافة باسمه

« انقلب وهو مغتم مهموم

« فقال له مولاه مالك هكذا مغتماً مهموماً .. وليس هذا بوقت هذا

« فقال : ويحك !

« ومالى لا اغتم

« وليس أحد من اهل المشارق والمغارب

« من هذه الأمة

« إلا وهو يطالبني بحقه

« ان اوديه اليه

« كتب اليّ في ذلك او لم يكتب

« طلبه مني او لم يطلب . » !!

أمير المؤمنين..

ونفّس الزمان !

وضحكت الدنيا .. .. بعد طول عبوس !

« وقُضيَ الأمرُ ..

« وقيلَ بُعْداً للقوْمِ الظـالمينَ . » !

وتربع على عرشها .. عمر بن عبـد العزيز ..

وكان يوماً .. فاصلاً .. في تاريخ البشرية ..

يوم تولاها .. فالقاها .. اليهم .. زاهداً فيها ..

فهتفوا هتاف رجل واحد ..

« قد اخترناك لأنفسنا وأمرنا

« ورضينا كلنا بك » ..

مَن هو هذا الرجـــل ... الذي تـــأتيه الدنيـــا بمشارقهـا ومغاربها ... وأبيضها وأسودها ... فيُلقيها اليهم .. كما يميط الاذى عن وجهه ؟!

نبئوني ... مَن يكون ؟!

إنه ... عمر .. بن عبد العزيز !!

وكان يوماً ... يسمونه يوم الخلافة .. فماذا قالوا عن ذلك اليوم ...

قال ابن الأثير :

« ثم دخلت سنة تسع وتسعين ..

« في هذه السنة استُخلف عمر بن عبد العزيز ..

« قال رجاء : فأخذتُ بضبعَي عمر بن عبد العزيز

« فأجلسته على المنبر وهو يسترجع .. لِما وقع فيه ..

« وغُسل سليمان وكُفن

« وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ودُفن

« فلما دُفن اتى عمر بمراكب الخلافة ولكل دابة سائس

« فقال : ما هذا ؟!

« فقيل : مراكب الخلافة

« قال : دابتي اوفق لي

« وركب دابته

« وصُرفت تلك الدواب

« ثم اقبل سائرا

« فقيل له : أمنزل الخلافة ؟

« فقال : فيه عيال ابي ايوب ، يعني سليمان ، وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا

« فأقام في منزله حتى فرغوه

« قال رجاء : فأعجبني ما صنع في الدواب ومنزل سليمان

« ثم دعا كاتباً فأملى عليه كتاباً واحدا وامره ان ينسخه ويسيره إلى كل بلد .. » !

هذا ما ذكره ابن الأثير .. ولكن فيما ذكره ابن كثير . عن يوم الخلافة ما يصور لنا الشيء الكثير .

قال ابن كثير :

« لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة جاءه صاحب الشرطة

« ليسير بين يديه بالحربة

« على عادته مع الخلفاء قبله

« فقال له عمر : ما لي ولك ؟ تنح عني .. إنما انا رجل من المسلمين .. » !

شيء عجيب .. رجل يحكم الدنيا .. وهي تموج بالأعداء .. ثم يرفض الحرس .. ويصرف قائد الحرس !

وأعجب من هذا . إنه يخلع من رقبته الخلافة .. ويلقيها

إلى الشعب .. استمع :

« ثم سار وساروا معه

« حتى دخل المسجد

« فصعد المنبر

« واجتمع الناس اليه ، فقال :

« أيها الناس .. إني قد ابتليت بهذا الأمر .. من غير راي كان مني فيه

« ولا طلبة له

« ولا مشورة على المسلمين

« واني قد خلعت ما في اعناقكم من بيعتي

« فاختاروا لأنفسكم ولأمركم مَن تريدون ..

« فصاح المسلمون صيحة واحدة : قد اخترناك لأنفسنا وامرنا .. ورضينا كلنا بك » !!

عبقرية سياسية .. لا يبلغها إلا آحاد من الهداة المهديين !

شرح للجماهير .. انه ابتلى بهذه الخلافة .. عن غير مشورة منه .. ولا طلب منه ..

ثم أعلن انه الغى بيعتهم له ..

وأن عليهم ان يختاروا للخلافة مَن يريدون ؟

ضربة سياسية بارعة غاية البراعة ..

يريد بها لفت الأنظار أن ما ابتدعه بنو أميـــة .. من ولاية العهد .. من خليفة إلى خليفة بعده .. لا يقوم على الشورى ..

ولذلك هو يبدأ بنفسه .. فيخلع هذه البيعة .. ويدعو الجماهير إلى اختيار من تشاء !

وهذا شيء ضخم جداً .. في دولة أسست على نظـام الوصاية بولاية العهد ..

إنها حركة تصحيح خطيرة .. لا يستطيعهـــا إلا عمر بن عبد العزيز ..

لأنها تزلزل كل المفاهيم .. التي استقرت عليهـــا دولة بني أميّـــة !

فماذا كان من الشعب ؟

« فصاح المسلمون صيحة واحدة ..

« قد اخترناك لأنفسنا وأمرنا ..

« ورضينا كلنا بك » !

هذا رأي الشعب ..

هذه هي البيعة التي يرتضيها عمر !

فماذا كان من عمر .. هل وقف ليشكر الجماهير على الثقة التي منحوه إياها ؟

كلا .. بل وقف يدُكّ مسامعهم دكاً .. بكلام غليظ .. لا تحتمله الجبال !

« فلما هدأت أصواتهم

« حمد الله واثنى عليه وقال :

« اوصيكم بتقوى الله

« فان تقوى الله خلف من كل شيء

« وليس من تقوى الله خلف

« واكثروا من ذكر الموت

فانه هادم اللذات

« واحسنوا الاستعداد له قبل نزوله

« وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها ، ولا في كتبهـــا ، ولا في نبيها

« وإنما في الدينار والدرهم

« واني والله لا أعطي أحداً باطلاً

« ولا أمنع احدا حقاً .

« ثم رفع صوته فقال :

« أيها الناس من اطاع الله وجبت طاعته

« ومن عصى الله فلا طاعة له

« اطيعوني ما اطعت الله

« فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم .

« ثم نزل فدخل

« فأمر بالستور فهُتكت

« والثياب التي تبسط للخلفاء ، امر بها فبيعت ، وأدخل اثمانها في بيت المال .. » !

كل فقرة من فقرات هذه الخطبة .. مبدأ دستوري .. تحاول البشرية ان ترتفع إلى مستواه فلا تستطيع !

ولكن عمر بن عبد العزيز .. استطاع ..

وتحقق بكل ما يقول .. وهذا هو الاعجاز من شخصية الرجل !

وعلى مستوى العالم كله ..

لا على مستوى دويلة .. او جماعة .. وإنما من الصين إلى الأطلنطي .. ومن القوقاز الى مجاهل افريقيا ..

طبّق هذا في بساطة ..

وفي اشقّ الظروف .. في دولة ضجّت من المظالم .. وارتجت من مذابح الحجّاج ..

فلوى عمر عنق التاريخ .. من اليسار الى اليمين ..

وأقام العدل .. في وقت يئس الناس فيه ان يقوم العدل !

بدأ .. فضرب الفجور من النفوس ضربة قاضية

« اكثروا من ذكر الموت .. فانه هادم اللذات » ..

ومتى تهدّمت اللذات .. استقامت النفوس ، فما تصارعوا الا لاشباع لذاذاتهم ..

حاكم هو . أم هاد ؟

هو الاثنين معاً ..

سلطة .. وهُدى ..

ثم تحليل لأعماق مشكلة الأمة كلها ..

« وان هذه الأمة لم تختلف في ربها .. ولا في كتبها .. ولا في نبيها .. »

اذاً فيم اختلفت ، واقتتلت ، واصطرعت ؟

« وإنما في الدينار والدرهم » !

ها هنا الداء الوبيل .. في المال .

هو الذي فرّقها .. وجعل اهلها شِيَعا ..

ثم أعلن العلاج الحاسم ، ليياس طلاب المال بالباطل ، وتهدأ

نفوس المحرومين والكادحين :

« لا أعطي احدا باطلا

« ولا امنع احدا حقاً » !

عهد جديد .. لن يظفر احد بمال من حرام .. ولن يحرم احد من حقه من المال ..

وهكذا جميع الحقوق .. وجميع الواجبات .

ثم أخطر ميزان .. يُحاسب به من الجماهير .

« اطيعوني .. ما اطعت الله

« فاذا عصيت الله .. فلا طاعة لى عليكم » !

مَن يستطيع هذا .. الا عمر بن عبد العزيز ؟

ثم ماذا ؟

ثم تنفيذ فوري .. لما يقول .

« فامر بالستور فهتكت » ..

لا ينبغي ان يحتجب الحاكم عن الشعب ..

وانما وجهاً لوجه ..

ثم ماذا .. ثم الغاء لتكاليف الخلافة الباهظة .. وردّ ما

تجمع من أثمان هذه المظاهر الفارغة الى الخزانة العامة .. الى الشعب ..

« والثياب التي تبسط للخلفاء .. أمر بها فبيعت .. وأدخل اثمانها في بيت المال » !!

ما هذا ؟!. هذه ثورة الثورة .. على كل شيء استقرت عليه الدولة الأعظم ..

ان الرجل .. يريد أن يفعل كما فعل جدّه الأعظم .. عمر ابن الخطّاب ..

ولكن عمر بن الخطاب كان قريب عهد .. بعهد النبوة .. ومن حوله أصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

أما عمر بن عبد العزيز .. فهو على بعد مائة عام من عهد النبوة .. فنحن الآن في السنة المائة من الهجرة ..

وقد تغير كل شيء ، وتغيرت المفاهيم ، والف الناس ما هم فيه من زينة ..

فكيف استطاع عمر بن عبد العزيز ، ان يفعل مثل ما فعل عمر بن الخطاب .. رغم اختلاف الظروف كلها ، بين العظيمين ، او بين العُمرين !.

هذا هو وجه الاعجاز من الرجل المعجزة ..

قال ابن كثير :

« وروينا انه قال لسالم بن عبد الله بن عمر

« اكتب لي سيرة عمر .. حتى اعمل بها

« فقال له سالم : إنك لا تستطيع ذلك

« قال : ولِمَ ؟

« قال : إنك إن عملت بها .. كنت افضل من عمر

« لأنه كان يجد على الخير أعواناً

« وانت لا تجد من يعينك على الخير » !

اثر خطير ..

عمر بن عبد العزيز يطلب من حفيد عمر بن الخطاب أن يكتب له سيرة عمر حتى يعمل بها .

ان البطل شديد الاعجاب ، بجده البطل عمر بن الخطاب ..

وهذا مفتاح خطير من مفاتيح شخصيته العظمى .

ويقول له سالم :

« إنك لا تستطيع ذلك » !

ولكن عمر بن عبد العزيز ، استطاع ، ان يعيد الخط المنحني الى خط مستقيم .

فيا للإعجاز .

« ذكر ابن الجوزي – في آخر رد سالم على عمر بن عبد العزيز –

« كتبت إليّ تسألني ان ابعث اليك بكتب عمر

« وبقضائه في اهل القبلة

« وفي اهل العهد

« وإن عمر رضي الله عنه عمل في غير زمانك

« وعمل بغير رجالك

« وإنك إن عملت في زمانك على النحو الذي عمل عمر بن الخطاب في زمانه

« بعد الذي رأيت وبلوت

« رجوت أن تكون افضل عند الله منزلة من عمر الخطاب

« فقل كما قال العبد الصالح : (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب . » !

قضية غاية في الخطورة ..

هل يمكن لعمر بن عبد العزيز .. أن يفعل كما فعل عمر بن الخطاب .. رغم اختلاف الظروف والزمان والرجال ..

ولكن عمر بن عبد العزيز .. مُصرّ تمام الإصرار .. أن يكون هذا .

وقد فعل ، وسوف نرى الأعاجيب مما فعل .

قال ابن كثير :

« روى ابو بكر بن أبي الدنيا

« عن عمر بن عبد العزيز

« أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول :

« ادنُ يا عمر

« فدنوت .. حتى خشيت أن اصيبه

« فقال : إذا وليت .. فاعمل .. نحواً من عمل هذين

« فاذا كهلان قد اكتنفاه

« فقلت : ومَن هذان ؟

« فقال : هذا ابو بكر .. وهذا عمر . » !

ثم ماذا . من عجائب عمر بن عبد العزيز ، في ذلك اليوم الخالد .. يوم تولى الخلافة ، وصار أميراً للمؤمنين .

عمر .. يعزل الكبار المجرمين !

قالوا :

« فلما دفن سليمان

« دعا عمر بدواة وقرطاس

« فكتب ثلاثة كتب

« لم يسعه فيما بينه وبين الله عزّ وجلّ أن يؤخرها

« فأمضاها من فوره .. » ؟

رغبة حارقة عند عمر .. تدفعه إلى الاسراع ، إلى تدمير أئمة الاجرام في الدولة ..

إن الرجل يسابق الزمن .. ويُسقط فوراً بمجرد توليه الخلافة اولئك المجرمين !

« ولم يكن بعمر عجلة ولا عبثة لما صار اليه

« ولكنه حاسب نفسه

« ورأى ان تأخير ذلك لا يسعه .. » ؟!

حاسب نفسه ؟

من أخطر مفاتيح الخير من شخصية عمر بن عبد العزيز !

« كتب بقفل[1] مسلمة بن عبد الملك من القسطنطينية

« وقد كان سليمان أغزاه اياها براً وبحراً

« وأشفى على فتحها

« ثم خُدع عنها

« حتى احرزوا طعامهم وحوائجهم

« ثم اغلقوها دونه بعد الاشفاء عليها

« فبلغ ذلك سليمان ، فغضب مما فعل به

« فحلف الا يقفله منها ما دام حياً

« فاشتد عليهم المقام

« وجاعوا حتى اكلوا الدواب من الجهد والجوع

« حتى يتنحى الرجل عن دابته فتقطع بالسيوف

« فبلغ رأس الدابة كذا وكذا درهماً

« ولج سليمان في امرهم

« فكان ذلك يغم عمر

« فلما ولى رأى انه لا يسعه فيما بينه وبين الله عز وجل ان يلي

---

(١) رجوع أو عودة

شيئاً من أمور المسلمين ثم يؤخر قفلهم ساعة
« فذلك الذي حمله على تعجيل الكتاب .. » !

شيء عجيب .. لم يمض على توليه الخلافة لحظات .. ويفصل في أمر خطير كهذا ؟ ويصحح عناداً من سليمان .. ألا يعود هـذا الجيش الذي تورط في هذا الخطأ ما دام حيّاً ..

ربع مليون جندي محبوسون حيث هم في البر والبحر .. لا هم يعودون ولا هم يعدُّون لمعاودة الفتح !

كان عمر يعلم المشكلة وعلى مقربة من تفاصيلها وهو مستشاراً لسليمان ..

فلما تولى .. أمر فوراً .. بعودة الجيش العرمرم .. ليعيد تنظيم صفوفه ..

أما الكتاب الثاني الذي بادر إلى اصداره .. فكان بعزل طاغية من طغاة الدولة ..

« وكتب بعزل اسامة بن زيد التنوخي
« — وكان على خراج مصر —
« وامر به ان يجلس في كل جند سنة
« ويقيد .. ويحل من القيد عند كل صلاة ..
« ثم يرد في القيد

« وكان غاشماً ظلوما

« معتدياً في العقوبات بغير ما انزل الله عز وجل ..

« يقطع الأيدي في خلاف ما يؤمر به

« ويشق اجواف الدواب

« فيدخل فيها القطاع ويطرحهم للتماسيح

« فحُبس بمصر سنة

« ثم نقل إلى ارض فلسطين فحبس بها سنة

« ثم مات عمر رحمه الله ، وولي يزيد بن عبـد الملك ، فرد اسامة على مصر ... » !

هذا مجرم خطير .. بادر عمر إلى عزله .. وأمر بالتنكيل بـه ليكون عبرة لغيره من مجرمي الولاة !

وأما الكتاب الثالث .. الذي امر بكتابته فور توليه الخلافة ..

« وكتب بعزل يزيد بن ابي مسلم عن افريقية

« وكان عامل سوء

« يظهر التأله والنفاذ لكل ما امر به السلطان ، مما جل او صغر من السيرة بالجور ، والمخالفة للحق

« وكان في هذا يكثر الذكر والتسبيح !

« ويأمر بالقوم يكونون بين يديه يعذبون

« وهو يقول : سبحان الله والحمد لله .. شُد يا غلام موضع كذا وكذا

ـ لموضع العذاب -

« وهو يقول : لا إله إلا الله والله اكبر .. شد يا غـــلام موضع كذا وكذا !

« فكانت حالته تلك شر الحالات !

« فكتب بعزله ..

« فهذا سبب الثلاثة التي عجّل بها .. » !

هذا صنف شديد الاجرام ..

وتركيبة قذرة .. من نوع من الرجال .. تُبتلى بهـــا الشعوب ..

الرجــل يسبّح ويهلل .. وفي نفس الوقت يتـلذذ بتعذيب الخلق !.

ولا يحيط بأعماق تلك النفوس الخبيثة ، إلا أمثـــال ذلك العملاق .. عمر بن عبد العزيز ..

آتاه الله نوراً .. يكشف له مـا استقر من حقائق اولئـك الأشرار ..

فعزله فوراً .. فكشط عن افريقيا كلها .. عن قارة بأكملها هذا الكابوس الرهيب .

اللهم بلّغ .. عمر بن عبد العزيز .. تحيات شعوب العالم كله ..

على مرّ الأجيال ، ان رَفع عنها الظلم ، وحطم عنهـــا اولئك الجبابرة المجرمين !

فعلة كهذه .. عند الله .. ترفع عمر بن عبد العزيز ، إلى اعلى أعلى الدرجات .

لأن الله انزل الكتاب إلى الناس .. ليحققوا العدل ..

لا ليتحولوا إلى كائنات تهتز بالتسبيح ولا شيء بعد هذا ..

فلو مكثت أمّة من الف مليون .. الف سنة .. عـــابدة مسبحة .. ولم تحقق العدل فيما بينها .. فإنهـا ليست على شيء !

حاسة رفيعة .. تؤكد ان عمر كان ذا إحساس جبَّار بتَّـــار قهار ، يبغض الطغاة والظالمين بغضاً شديداً ..

صفة عليا ، ورثها من جده الأعظم ، عملاق الحق والحقيقة .. عمر بن الخطاب !

فليُسحق فوراً .. كل جبَّار عنيد ..

فقد قام في الأرض .. عمر بن عبد العزيز !

ثم ماذا .. من عجائب يوم الخلافة ؟

يزهد .. في كل شيء ..

حتى زوجته الحسناء !.

ويل لاهل الزينة من عمر !

عـاد عمر من دفن سليمان ..

فاستقبلوه بالسرادقات والستور والثيـــاب والفرش المخصصة للخلفـــاء

فاعرض عنها جميعاً .. وابطل العمل بها ..

وقال لمولاه مُزاحم :

« ضم هذا الى بيت مال المسلمين » !

لطمة اخرى للمفاهيم السائدة .

ولكن عمر لا يبالي بالناس ، إنه لا يخشى إلا الله !

وجاءوه بالعطور المخصصة للخلفاء ، ليتطيب . فـــأبى ونادى في مُزاحم :

« ضم هذا الى بيت مال المسلمين » !

وحاولوا استمالته بمتعة النساء . فقدموا اليه الجواري ليختار منها ما يشاء .

فابى .. وأمر بردهن إلى اهليهن !

ودخل عمر قصر الخلافة .. ليباشر سلطاته .. وقد مهدت له فرش سليمان ، فلم يجلس عليها ، وسارع إلى المسجد !

قال ابن كثير :

« ثم نزل فدخل فأمر بالستور فهتكت

« والثياب التي تبسط للخلفاء

« امر بها فبيعت

« وأدخل اثمانها في بيت المال » !

« وتقدم ان عمر بن عبد العزيز لما رجع من جنازة سليمان أتى بمراكب الخلافة ليركبها

« فامتنع من ذلك ، وانشأ يقول :

فلولا التقى ثم النهى خشيـــة الردى
لعاصيت في حب الصبا كل زاجر

قضى ما قضى فيما مضى ، ثم لا ترى
له صبوة اخرى الليـــالي الغوابر

« ثم قال : ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، قدموا إلي بغلتي

« ثم أمر ببيع تلك المراكب الخليفية فيمن يزيد

« وكانت من الخيول الجياد المثمنة

« فباعها وجعل أثمانها في بيت المال . » !

تأملي يا دنيا ..

ها هو رجل .. يأمر ببيع مراكب الخلافة بالمزاد العلني !

عمل جبار قهار بتار .. ينزل على بني امية وسائر المترفين ، كأنه شواظ نار !

قوة خارقة ، من شخصية الرجل

اعراض عن الزينة بكل مشتقاتها .. ملابس ، عطور ، خيول ، قصور ، نساء .. كل ذلك تحت امره ، ويقدم اليه في أعلى مستوياته ، مستوى المنصب الأعلى في العالم ، فيزداد إعراضاً ، ويزداد إصراراً ، ثم يأمر باجتثاث كل ذلك ، وبيعه بالمزاد ، وضمه إلى الخزانة العامة !

ليس هذا بالعمل الهيّن .. فإن مصادمة الاحساس العام للدولة ، يحتاج إلى قوة رهيبة في الشخصية !

إلا ان كل هذا يتضاءل رغم عظمته ، إذا جئنا إلى عجيبة

اخرى من عجائب عمر ، فما هي تلك العجيبة ؟

قال ابن كثير :

« قالوا : ثم إنه خير إمرأته فاطمة
« بين ان تقيم معه على انه لا فراغ له اليها
« وبين أن تلحق بأهلها
« فبكت
« وبكى جواريها لبكائها
« فسمعت ضجة في داره
« ثم اختارت مقامها معه
« على كل حال .. رحمها الله . » !

ها هنا يتلاشى العقل ، ويتحطم القلم !

قد يكون معقولاً ، ان يزهد في الزينة بانواعها ..

اما ان يزهد في زوجته .. فهذا طور وراء العقل !

إن الملوك إذا استووا على عروشهم تاقت نفوسهم الى لذاذات النساء ..

أما عمر ، فها هي نفسه تنزل عن الزوجة الحسناء المحبوبة .

ويخيرها في صراحة .. اما العيش معه ، ولا فراغ عنده لها ،

واما ان تفارقه !

نعم .. ان مسئولية الحكم ، والتفرغ لاحقاق الحق وابطال الباطل ، عنده فوق متعته بامرأته .

وهذا أعلى مستوى من الزهد يكون من انسان .

مستوى رفيع منيع ، يترقرق من اشعاعات قوله سبحانه :

« يا أيها النبيُّ قُل لأزواجِكَ ان كنتنَّ تُرِدنَ الحياةَ الدنيا وزينتَها فتعالَيْنَ أمتعكُنَّ وأسرِّحكُنَّ سَراحاً جميلاً .

« وان كنتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ ورسولَهُ والدارَ الآخرةَ فإنَّ الله أعدَّ للمحسناتِ منكُنَّ أجراً عظيماً . »

وخيرها عمر ..

أي فاطمة بنت عبد الملك ، اما هذا واما هذا ؟

فنجحت فاطمة ، واختارت البقاء معه .. ارادة الدار الآخرة .

اني لفي حيرة .. أأتحدث عن عظمة عمر ، ام عن عظمة فاطمة في هذا الموقف ؟

وأكرمه الله في زوجه .

فوقفت معه وقفة المرأة الشاهقة .

زهد .. فزهدت معه .

وترك اللين الى الخشونة ، فاخشوشنت معه ، وهي ما هي ، من النعيم والنعومة .. بنت الخليفة والخليفة جدها ، اخت الخلائف والخليفة زوجها .

وبكى بالليل طويلاً ، فبكت بالليل عليـه طويلاً .

ضع ، فاطمة بنت عبد الملك ، ها هنا ، في سجل الخالدات .

اليك عني ، لا تحدثني عن شهيرات النساء ، من بائعـات الهوى والحب .. فإنهن حثـالة .. بالنسبة الى تلك الشامخة في السماء ..

فهل وقفت عظمة ، فاطمة بنت عبد الملك ، عند نزولها عن حقها المشروع كزوجة ؟

كلا .. بـل ارتفعت الى ما هو أعلى .. فما هو هـذا الأعلى ؟

قال ابن الأثير :

« فلما استقرت البيعة لعمر بن عبد العزيز

« قال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك :

« إن أردت صحبتي

فردي ما معك من مال وحلي وجوهر إلى بيت المسلمين

« فانه لهم

« فاني لا اجتمع انا وانت وهو .. في بيت واحـــد

« فردته جميعه » !

هذا ما هو أعلى ، انها ترقى ، ثم ترقى ، مع زوجها .

نزلت عن حقهـا الجنسي .

ثم نزلت عن جميـع اموالها .

فأي امرأة ، كانت فاطمة بنت عبد الملك ؟

فلئن قال قائل : انما فعلت ذلك لحرصهـــا ، على ان تبقى زوجاً لأمير المؤمنين .

قال التاريخ : كذبت ، واليك الدليل .

قال ابن الأثير :

« فلما توفي عمر

« وولي اخوها يزيد

« رده عليها وقال : أنا أعلم ان عمر ظلمك

« قالت : كلا والله .

« وامتنعت من اخذه وقالت :

« ما كنت اطيعه حياً

« واعصيه ميتاً .

« فأخذه يزيد .. وفرقه على اهله . » !

« ما كنتُ أطيعه حيّاً ..

« وأعصيه ميتاً » ؟

نُطق كريم ، من نفس كريمة ، من امرأة هي أشرف النساء في زمانها نسباً .

منشور الى جميع أنحاء العالم !.

قال ابن الأثير :

« قال رجاء : ثم دعا كاتباً

« فأملى عليه كتاباً واحداً

« وأمره أن ينسخه

« ويسيره الى كلّ بلد .. »

وفي موضع آخر يقول

« قيل : كتب عمر بن عبد العزيز الى عمّاله نسخة واحدة :

« أما بعدُ ..

« فان الله ، عزّ وجلّ ، أكرم بالإسلام اهله

« وشرّفهم وأعزّهم

« وضرب الذلة والصغار على من خالفهم

« وجعلهم خير أمة اخرجت للناس

« فلا تولين أمور المسلمين أحداً من اهل ذمتهم وخراجهم .

« فتتبسّط عليهم ايديهم والسنتهم فتذلهم بعد ان اعزّهم الله

« وتهينهم بعد ان اكرمهم الله تعالى

« وتعرضهم لكيدهم والاستطالة عليهم .. »

عمل دائب .. الليل والنهار ..

وسرعة في التوجيه .. والبت في الامور ..

وأي توجيه ؟

توجيه الخليفة الراشد .. المتشعشع من كتـاب الله .. وسُنّة رسوله .

فانقشع عن الشعراء ..

وثبت مع الفقهاء ..

قال ابن كثير :

« قال له رجل : تفرغ لنا يا امير المؤمنين

« فانشأ يقول :

قـــد جاء شغل شاغل وعدلت عن طرق السلامة
ذهب الفراغ فـلا فرا غ لنا الى يوم القيامة »

ذهب الفـراغ

لا وقت عنـــد عمر .. لاحد من الناس .. الى يوم القيامة .

احساس رفيـع .. بثُقل المسئولية .

رجل يشعر أنه مسئول عن كل فرد في العالم أمام الله .

« لما ولى عمر بن عبد العزيز

« صعد المنبر

« وكان اول خطبة خطبها

« ان حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« ايها الناس ..

« من صحبنا فليصحبنا بخمس .. وإلا فليفارقنا

« يرفع الينا حاجة من لا يستطيع رفعها

« ويعيننا على الخير بجهده

« ويدلنا من الخير على ما لا نهتدي اليه

« ولا يغتابن عندنا أحداً

« ولا يعرض فيما لا يعنيه .

« فانقشع عنه الشعراء والخطباء ، وثبت معه الفقهاء والزهاد

« وقالوا . ما يسعنا ان نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله .. » !

لست ادري اين بداية بحر عمر .. وأين نهايته .

أجدني اخبط في بحر لُجّيّ .. والقلم يجري بي في موج كالجبال .

اللهم اعني بامداد منك .

ارسل الرجل اشعاعه .. ففرت الشياطين .. وثبت معه العلماء ..

مَن صحبنا ، فليصحبنا بخمس ، والا فليفـارقنا .
شدّة ، وحدّة .

والمسجد يموج بالنوعيات كلها ، ماذا سوف يقول الرجل الاعظم
في الدولة الاعظم .

هل سينهج نهج الخلفاء ، ويغـــدق على الشعراء .

فلما سمعوا مبادئه ، يئس الخطباء منــه والشعراء

اهـل البـــاطل ، فرّوا فوْرا

فانهم لا عيش لهم مع اشعاعات عمر !

وثبت معه العلماء والزهـاد ..

ثبت معه اهل الله ..

اندمجت أنوارهم في انواره .

وهكذا .. فرغ عمر .. من أخطر مشكلة تواجـه الدولة ..
وهي مشكلة تطهير الدولة من المنافقين والآكلين على كل مائدة ..

فرغ منها .. باشعاع واحـد ..

سلطه من فوق المنـبر ..

فانقشعوا .. وفرّوا ..

هكذا .. بلا مخابرات .. وبلا إجراءات .. وبلا قوانين ، وبلا

محـاكمات !

وإنما بالاشعاع .. الصادر عن قلب عمر !

وهو اشعاع بتّار !

وها هم اولاء يفرون !

وها هم اولاء ينقشعون !

وأتمّ تطهير الدولة .. في لحظة ..

ولكنها لحظـة طيّ ..

طوَى الله فيها لعمر ..

ما يحتاج إلى عشرات السنين ليتحقق !

فلما انقشع المبطلون ..

حفّ بعرشه الصادقون ..

« قال سفيان بن عيينة :

« لما ولي عمر بن عبد العزيز

« بعث إلى محمد بن كعب

« ورجاء بن حياة

« وسالم بن عبدالله

« فقال لهم :

« ترون ما ابتليت به .. وما قد نزل بي .. فما عندكم ؟

« فقال محمد بن كعب . اجعل الشيخ أباً .. والشاب أخاً .. والصغير ولداً

« فبرّ أباك

« وصِل أخاك

« وتعطف على ولدك .

« وقال رجاء : ارض للناس ما ترضى لنفسك

« وما كرهت أن يؤتى اليك فلا تأته اليهم

« واعلم انك اول خليفة تموت .

« وقال سالم : اجعل الأمر واحداً

« وصُم فيه عن شهوات الدنيا

« واجعل آخر فطرك فيه الموت

« فكأن قد !

« فقال عمر : لا حول ولا قوة إلا بالله .. » !

اللهم .. هذه يدي .. فأغثني .. فان امواج عمر تكاد تبتلعني !

هذا نموذج من بطانة عمر بن عبد العزيز ..

ربانيون .. يخططون معه .. سياسة الدولة الأعظم ..

وخليفة .. يسمع ويطيع ويقول : لا حول ولا قوة إلا بالله !

أما اولئك الكلاب النابحة حول كل مائدة .. فقد انقشعوا .. فلا حياة لهم مع عمر !

الثورة الكبرى

من كانت له مظلمة فليرفعها ؟..

هذه أخطر عملية .. قام بها .. عمر بن عبد العزيز ، فور توليه السلطـة !

وإنما اعتبرناها اخطر عملية .. لأن احقاق الحق ، وإبطـال الباطل .. هو أشق إجراء يمكن أن يقوم به حـاكم في دولة ما ..

خاصة إذا كان ذلك يستلزم صدامـاً .. مع الناهبين والغاصبين ..

وتزداد المشقة إذا كان الغاصبون .. من أولى السلطة والجاه في الدولة !

كيف بدأ عمر بن عبـد العزيز .. إجراءاتـه الثورية الفورية ؟

قال ابن كثير :

« ثم ذهب يتبوأ مقيلا[1]

« فأتاه ابنه عبد الملك

« فقال : يا أمير المؤمنين ..

« ماذا تريد ان تصنع ؟!

« قال : يا بني .. اقيل !

« قال : تقيل .. ولا ترد المظالم إلى أهلها ؟!

« فقال : إني سهرت البارحة في امر سليمان ..

« فاذا صليت الظهر رددت المظالم

« فقال له ابنه : ومن لك ان تعيش إلى الظهر ؟!.. » !

آية أخرى .. من الإبن .

فاقت آيات الأب !

عمر .. الذي لم ينم لحظة .. طيلة ليلة الخلافة .. يريد أن ينام لحظات قبل صلاة الظهر .. ليسترد أنفاسه ، ثم يبدأ مهام رد المظالم ..

---

(١) ثم ذهب عمر .. ينزل في مكان يستريح فيه قليلا .. وقت القيلولة .. بعد ان قضى الليل كله ساهراً .. في دفن الخليفة .. وإصدار الأوامر العاجلة !

وابنه عبد الملك .. يأبى عليه ذلك .. ويقول قولتـــه الخالدة :

« ومن لك .. ان تعيش .. إلى الظهر . »

تأملي .. يا دنيا ..

أي الرجلين اعظم من الآخر .. الوالد ام الولد ؟

فماذا كان من عمر ؟

« قال : ادنُ .. مني .. أي بُنيّ ..

« فدَنا

« فقبّل بين عينيه

« وقال : الحمـــد لله .. الذي اخرج من صلبي .. من يعينني على ديني » !!

طبع عمر قُبلة .. بين عيني ولده .. تعبيراً عن إعجابه بعظمة ابنــه .

ثم توجه بالشكر والثناء على الله .. ان مَنّ عليـــه بتلك النعمة :

« الحمد لله .. الذي اخرج من صلبي .. من يعينني عـــلى ديني » !

ثم ماذا كان من مجدد المائة الأولى .. هـل ذهب يستريح ، ثم

يكون رد المظالم !

كلا .. فاسمع إلى ما كان ..

« ثم قام

« وخرج

« وترك القائلة

« وأمر مناديه .. فنادى :

« الا .. من كانت له مظلمة .. فليرفعها ..

« فقام اليه رجل ذميّ من اهل حمص .. » !!

لقد بدأت المتاعب الكبرى ..

لقد بدأت الثورة العظمى ..

مَن كانت له مظلمة فليرفعها ؟

أمير المؤمنين ، ينادي مناديه .. على مستوى العالم كله ، من كانت له مظلمة فليرفعها .

مبدأ رفيع ، لم تصل اليه اي دولة من دول العالم إلى يومنا هذا ..

ان ينادي رئيس الدولة ، جميع افراد الشعب .. مَن كان مظلوماً فليتقدم ..

ورئيس الدولة ، ينتظر ما يقدم اليه من مظالم ، ليفصل فيها فوراً .. بنفسه ، ويرفع الظلم عن المظلوم فوراً ، وينزع من الظالم ما اغتصبه فوراً ، وعلى مشهد من الشعب ، ايامــا كان الوضع الاجتماعي للظالم .. ولو كان الخليفــة نفسه ، ومهما كان الوضع الاجتماعي للمظلوم ولو كان في أدنى مراتب المجتمع !

اقول ، مبدأ رفيع رفيع ، نادى به عمر بن عبـد العزيز .. ورفض النوم ولو لحظات ، ولم يمض على خلافته ساعات .

وجلس العظيم الشامخ ، ينتظر من يتقدم اليه بظلمة ، ليفصل فيها فوراً .

والقت الدنيا كلها ، شرقاً وغرباً ، بسمعها .. إلى عمر .

هل صحيح ، ان عمر سيفعل ذلك ؟

هل يستطيع ان يفعل ما لم يستطع احد ان يفعل ؟

المظلمة الاولى ..

ضد أمير من الاسرة المالكة

قال ابن كثير

« .. فقام اليه رجل ذميّ من أهل حمص .. فقال

« يا امير المؤمنين

« أسألك كتاب الله » .

اي اسالك الحُكم بما في كتاب الله من عدل ليسَ كمثله عدل ..

عظمة يقررها عمر للإسلام .

رجل من اهل الكتاب ، يثق ثقة تامة .. ان اعدل العدل ما جاء في كتاب الله ، وأن عمر بن عبد العزيز ، هو الرجل الذي سوف يحكم حكم العدل في امره !

ما اسعد الدنيا ، حين حكمتها يا عمر !

« قال : وما ذاك ؟!

« قال : العباس بن الوليد بن عبد الملك .. اغتصبني ارضي

« — والعباس جالس

« فقال له عمر : يا عباس ، ما تقول ؟

« قال : نعم .. اقطعنيها امير المؤمنين الوليد .. وكتب لي بها سجلا

« فقال عمر : نعم .. كتاب الله .. احق ان يتبع .. من كتاب الوليد .. قم .. فاردد عليه ضيعته

« فردها .. عليه » !!

هذه هي المظلمة الأولى

كتابيّ يشكو ، ابن امير المؤمنين !

وفي نفس اللحظة ، وفوراً .. حكم عمر في القضية السياسية الخطيرة .

واذاع نطقاً كريماً حكيماً :

كتاب الله .. احق ان يتبع .. من كتاب الوليد !

ومَن الوليد هذا .. هو أمير المؤمنين ، الوليد بن عبد الملك ، صاحب السلطة العليا في الدولة آنذاك .

ولكن هناك ما هو أعلى من أمير المؤمنين ، وأحقّ بالإتباع منه هناك كتاب الله !

وأصدر عمر امراً ، فاردد عليه ، ضيعته !

وعلى مشهد من الدنيا كلها ، صدع الأمير ابن أمير المؤمنين ، بالأمر ..

وسلم مساحة الأرض الشاسعة ، إلى صاحبها !

كل ذلك ، كذلك في لحظة !

ألم اقل لك ، ان الله مَنَّ .. على عمر بن عبد العزيز .. بالطيّ ؟

طَوَى له الزمان ، ففعل كل هذا ، في لا زمان !

وطوى له المكان ، فشاع وذاع ، في كل مكان .

وتحدث اهل الدنيا جميعاً بما كان !

ثورة الاسرة المالكة على

عمر بن عبد العزيز ..

وكانت ضربة ، دوّت ، في بيوت بني اميّة .

وجلجلت في جنبات قصور الأمراء والاميرات ؟

اما ابن كثير .. فيصور تلك الثورة فيقول :

« ثم تتابع الناس في رفع المظالم اليه

« فما رفعت اليه مظلمة إلا ردها

« سواء كانت في يده

« او يد غيره » !

الثورة مستمرة ..

آلاف من المظالم .. تُرفع اليه .. وهو يفصل فيها فوراً .

إنها عملية تصحيح كبرى في الدولة الكبرى ..

فما رُفعت اليه مظلمة إلا ردَها ؟!

لم تفلت منه حالة واحدة لم يفصل فيهـا بالعدل !

على اوسع مستوى .. مستوى الدولة الأعظم !

ثم يقول في تصوير ثورة البيت المالك :

« حتى اخذ اموال بني مروان وغيرهم

« بما كان في ايديهم بغير استحقاق

« فاستغاث بنو مروان بكل واحد من اعيان الناس

« فلم يفدهم ذلك شيئاً » !

لا فائدة .. إن العملاق .. قد أعلن الثورة على الباطل . مهما كانت مقامات المبطلين !

ومَن بنو مروان هؤلاء الذين انتزع منهم أموالهم ؟

هم جميع امراء بيوتات الخلافة السابقة عليه !

إذاً أعلن عمر الثورة على أسرته .. أسرة الخلافة ..

وهذا صدام خطير .. لا يجرؤ عليه .. إلا عمر بن عبد العزيز !

فاستغاث بنو مروان ؟!

إنهم يولولون .. ولا فائدة !

إنهم يواجهون عملاقاً .. لا يستطيعون معه شيئاً !

شخصية جبّارة ..

وأقوى شخصية على الاطلاق في البشر .. أن يكون بشراً لا

يخشى إلا الله !

هددوه بيوم من أيامهم !

فزأر فيهم.. زئير الأسد ..

ففرّوا عنه لا يلوون على شيء !

فجاءوه .. بعميدة البيت المالك .. فـاطمة بنت مروان . ولا فائدة !

إرادة لا تقهـر !

فكيف كان ذلك ؟

الحوار الخالد ..

بين فاطمة بنت مروان

وعمر بن عبد العزيز ..

ظنوا انه قد ينثني امام عمته .. عميدة البيت الأموي .. وكبيرة بيوتات الخلافة ..

« فاتوا عمتهم فاطمة بنت مروان

« — وكانت عمته —

« فشكوا اليها ما لقوا من عمر

« وانه اخذ أموالهم

« ويُستنقصون عنده

« وانه لا يرفع بهم رأساً

« وكانت هذه المرأة لا تحجب عن الخلفاء

« ولا ترد لها حاجة

« وكانوا يكرمونها ويعظمونها

« وكذلك كان عمر يفعل معها قبل الخلافة

« وقامت فركبت اليه

« فلما دخلت عليه عظمها واكرمها

« لأنها اخت ابيه

« والقى لها وسادة

« وشرع يحادثها

« فرآها غضبى ، وهي على غير العادة

« فقال لها عمر : يا عمة .. مالك ؟!

« فقالت · بنو اخي عبد الملك واولادهم يهانون في زمانك وولايتك ؟

« وتأخذ اموالهم فتعطيها غيرهم

« ويُسبون عندك فلا تنكر ؟!

« فضحك عمر

« وعلم انها متحملة

« وان عقلها قد كبر

« ثم شرع يحادثها والغضب لا يتحيز عنها[1]

المرأة .. عميدة البيت المالك .. في منتهى الحزن والغضب ..

وعمر يضحك !

يضحك لأنها غضبى من اجل الدنيا ..

وهو لا يبالي بهذه الدنيا وأهلها .. إلا أن تكون فرصة سانحة .. لاحقاق حق وابطال باطل !

وهؤلاء حين يضحكون .. إنما يضحكون من الأفق الأعلى !

---

(١) لا يزول .

فلما رآها عمر .. قد مسّت القضية الكـــبرى .. قضية ردّ المظالم ..

« فلما رأى ذلك اخذ معها في الجد

« فقال : يا عمة !

« اعلمي ان النبي صلى الله عليه وسلم مات

« وترك الناس على نهر مورود [1]

« فولى ذلك النهر بعده رجل [2] ، فلم يستنقص منه شيئاً حتى مات

« ثم ولى ذلك النهر بعد ذلك الرجل رجل آخر ، فلم يستنقص منه شيئاً حتى مات

« ثم ولى ذلك النهر رجل آخر ، فكري منه ساقية [3]

« ثم لم يزل الناس بعده يكرون السواقي

« حتى تركوه يابساً لا قطرة فيه

« وايم الله .. لئن ابقاني الله لأردنه إلى مجراه الأول

« فمن رضي فله الرضا

« ومن سخط فله السخط

« واذا كان الظلم من الأقارب الذين هم بطانة الوالي

---

(١) يرده الناس متساوين .

(٢) اي أبو بكر

(٣) أي حفر منه

« والوالي لا يزيل ذلك

« فكيف يستطيع ان يزيل ما هو ناء عنه في غيرهم ؟

« فقالت : فلا يُسبون عندك ؟

« قال : ومن يسبهم ؟

« إنما يرفع الرجل مظلمته ؟

« فآخذ له بها . » !!

ويلٌ لبني أميّة من ابن عبد العزيز !

لقد فشلت عميدة بيوت الخلفاء ان تصل مع عمر إلى شيء !

ثم انظر إلى المبدأ الدستوري الخالد .. الذي ينطق به العملاق .. في حوار مع عمته :

إذا كان الظلم من الاقارب .. والوالي لا يزيل ذلك .. فكيف يستطيع ان يزيل ما هو ناء عنه في غيرهم ؟!

لا بد للحاكم ان يطهر بيته واقاربه أولاً .. ليستطيع أن يطهر من سواهم !

ثم انظر إلى التصوير الرائع ..

إن النبي صلى الله عليه وسلم مات .. وترك النـــاس على نهر مورود ..

تركهم متساوين في ورود نهر الحياة ..

فما زال الناس يستنقصون من ذلك النهر .. اي ينهبون الثروات لأنفسهم من دون الناس .. حتى تركوه يابساً لا قطرة فيه .. أغنياء نهبوا كل شيء .. ولم يتركوا للفقراء شيئاً ..

ثم يقسم .. وايم الله .. وعمر إذا اقسم نفذ فوراً .. لئن ابقاني الله لأردنه إلى مجراه الأول ؟

لتعودنّ الثروات إلى ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نهراً مورداً .. من حق الجميع ان يشربوا منه .. لا يبغي احد على احد .

ومتى يريد ان يفعل عمر هذا ؟

وهو على بعد مائة عام من عهد النبوة ..

إنّ هذا لشيءٌ عُجابٌ !!

انهم يحذرونك

يوما من ايامهم

قال ابن الأثير :

« لما وليَ عمر الخلافة

« أخذ من اهله ما بأيديهم

« وسمّى ذالك « مظالم »

« ففزع بنو أميّة إلى عمته فاطمة بنت مروان

« فأتته فقالت له : تكلم انت يا امير المؤمنين

« فقال : إنّ الله بعث محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، رحمة ، ولم يبعثه عذاباً ، إلى الناس كافة

« ثم اختار له ما عنده

« وترك للناس نهراً

« شربهم سواء

« ثم ولى أبو بكر ، فترك النهر على حاله

« ثم ولى عمر ، فعمل عملها

« ثم لم يزل النهر يستقي منه يزيد ، ومروان ، وعبد الملك ابنه ، والوليد ، وسليان ، ابنا عبد الملك

« حتى افضى الأمر الي

« وقد يبس النهر الأعظم

« فلم يروَ اصحابه حتى يعود إلى ما كان عليه .

« فقالت : حسبك ، قد أردتُ كلامك ..

« فأمّا إذا كانت مقالتك هذه فلا اذكر شيئاً ابداً

« فرجعتْ اليهم ، فأخبرتهم كلامه .

« وقد قيل : إنها قالت له : إن بني اميّة يقولون كذا وكذا

« فلما قال لها هذا الكلام قالت له : انهم يحذّرونك يوماً من ايامهم

« فغضب وقال : كل يوم اخافه غير يوم القيامة فلا أمنتُ شره .

« فرجعت اليهم ، فأخبرتهم

« وقالت انتم فعلتم هذا بأنفسكم ..

« تزوجتم بأولاد عمر بن الخطّاب ، فجاء يشبه جده .

« فسكتوا . » !!

هذه الرواية الفذّة .. التي رواها ابن الأثير .. فيها أمر خطير ..

ان أمراء البيت المالك .. لجأوا إلى تهديد عمر .. بانه إذا لم يرجع عن اتجاهه هذا .. فسوف يقومون بانقلاب .. يؤدي إلى نزعه من الخلافة .. وربما قتله والقضاء عليه !

وكلفوا المرأة العجوز .. عميدة بيوت الخلافـــة .. وموضع احترام الجميع .. فاطمة بنت مروان بمقابلة أمير المؤمنـــين .. ومحاولة إثنائه عن اتجاهه .. فإن أبى هددته

« انهم يحذرونك يوماً من ايامهم » !

وهذا يدل على مدى الفزع والاضطراب في صفوفهم . وانه لم يعـد امـامهم إلا التهديد بانقلاب عسكري يطيح بالخليفة ويقضي عليـــه !

وهذا التهديد لا وزن له عند عمر .. لأنه لا يرغب في خلافة .. بل ولا في الدنيا بكل ما فيها ..

فماذا كان جواب العملاق ؟

غضب غضباً شديداً وقال :

« كل يوم أخافه غير يوم القيامة فلا أمنتُ شره ؟!

كل يوم لا أخافه ولا وزن له عندي .. إلا يوم القيامة .. فلا أمنت شرّه !

إنه لا يخشى أحداً .. إلا الله .. إلا أن يوقف بين يدي الله .. فيحاسبه : لماذا لم تعدل في الناس يا عمر ؟

وعادت فاطمة بنت مروان .. لتعلن إلى الدنيـــا .. سرّاً من

« انتم فعلتم هذا بأنفسكم

« تزوجتم بأولاد عمر بن الخطاب

« فجاء يشبه جده » !

انتم سبب هذه الكارثة التي تطحنكم طحناً ..

جاء يشبه جدّه ؟

فيه صفات عمر بن الخطاب .. اعدل حاكم .. على ظهرها !

فلا تلوموه .. ولوموا أنفسكم !

فسكتوا ؟

مـــاذا يستطيعون ان يفعلوا في مثل هذا الجبل الذي لا يتزحزح ؟

وفي رواية ابن كثير :

ثم امر بأموال جماعة من بني امية .. فردها إلى بيت المال

« وسماها « اموال المظالم »

« فاستشفعوا اليه بالناس

« وتوسلوا اليه بعمته فاطمة بنت مروان

« فلم ينجح فيه شيء

« وقال لهم : لتدعني ..

« وإلا ذهبت إلى مكة ..

« فنزلت عن هذا الأمر لأحق الناس به .

« وقال : والله .. لو أقمت فيكم خمسين عاماً .. ما اقمت فيكم إلا ما اريد من العدل

« واني لأريد الأمر فما انفذه .. الا مع طمع من الدنيا .. حتى تسكن قلوبهم . » !

أخطر واخطر !

اتجاه جديد .. عمر يصادر أموال الأمراء .. ويعيدهـا إلى الخزانة العامة ..

ويُطلق عليها .. شعاراً سياسياً جديداً ..

« اموال المظالم » ..

الأموال التي نُهبت باستغلال السلطة والجاه ..

إنها ثورة .. يبدؤهـا في أعلى مستويات المجتمع .. في الأمراء والأميرات !

إلا أن أعلى .. وأغلى .. واسمى ما كان منه .. ذلك الهتـاف الذي صدر من فـؤاده الشريف :

« لتدُعني » ..

إما ان تتركوني اصحح الأوضاع .. وانزع الأموال المنهوبة .. واردها إلى الشعب .

« وإلا ذهبتُ إلى مكة » ..

اعتكف في المسجد الحرام .. واتقرب إلى ربي ..

« فنزلتُ عن هذا الأمر لأحق الناس به » ..

فنزلتَ عن هذه الخلافة .. لأحق الناس بالخلافة ؟

هذا المنصب الذي يهددونه .. بنزعه منه .. هو نفسه يهددهم بالقائه في وجوههم !

فانَّى يُفلح مع هذا تهديد ؟

صنف من الرجال عزيز .. لا يجود الزمان بمثله إلا نادراً !

ثم هتف .. واقسم .. فاستمع الزمان واصغى :

« واللهِ ..

« لو اقمتُ فيكم خمسين عاماً ..

« ما اقمتُ فيكم

« إلا ما اريدُ من العدل .. » !

لو مكثت فيكم خمسين عاماً .. خليفة .. وحاكماً أعلى ..

مـــا اقمتُ فيكم طيلة هذه الخمسين .. إلا ما اريد من العـدل ؟

وزفزفت الدنيا .. بأمواج عمر بن عبد العزيز ..

وسبَّحت الملائكة ربها .. أن جعل على الأرض .. مثل هذا العظيم !

وأخرى اعظم واكبر ..

روى الرواة فقـالوا :

« دَخَلت عليه فقالت : إن قرابتك يشكونك

« ويزعمون انك اخذت منهم خير غيرك ؟

« قال : ما منعتهم حقاً .. او شيئاً كان لهم

« فقالت : اني رأيتهم يتكلمون ..

« واني اخاف ان يهيجوا عليك يوماً عصيباً .. » !

إن الأمراء يدبرون للمؤامرة .. والثورة على عمر .. وخلعه أو قتـله !

« فقال : كل يوم اخافه دون يوم القيامة .. فلا وقاني الله شره .

« ودعا بدينار ومجمرة

« ووضع الدينار على النار

« ونفخ حتى احمر

« وقال لها : الا تخافين على ابن اخيك من مثل هذا ؟!

« فخرجت

« واخبرت القوم .. بما ايأسهم من الطمع عنده .. » !

منظر خالد .. ليته يجد فناناً عــالمياً .. يرسمه بريشته الخالدة .. لوحة إنسانية .. تقف امامها الأجيال خــاشعة .. لتتأمل حاكماً يحكم العالم .. ويملك كل شيء .. ويزهد في كل شيء .. خوفاً من الله .. ان يسأله عن كل شيء .. لماذا لم تعدل فيه يا عمر ؟

فكرة لوحة عالمية خالدة .

اقدمها إلى فناني العالم .. ليخرجوا منها .. مثــالاً نادرا .. للحاكم العادل ..

قال ابو سليمان الداراني :

« كان عمر بن عبد العزيز

« ازهد من اويس القرني

« لأن عمر .. ملك الدنيا بحذافيرها .. وزهد فيها

« ولا ندري حال اويس .. لو ملك ما ملكه عمر .. كيف يكون ؟

« ليس من جرب .. كمن لم يجرب .. » !

ولكني اتقبلكم حملا ..

هل هي كلمات من ذهب ؟

فليُسحق الذهب .. فانه حقير !

بل هي .. جوامع .. موانع .. قواطع .. سواطع .. من نور !

قال ابن كثير :

« .. لما استخلف عمر بن عبد العزيز قام في الناس

« فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

« ايها الناس ..

« انه لا كتاب بعد القرآن

« ولا نبي بعد محمد عليه السلام

« واني لست بقاض

« ولكني منفذ

« واني لست بمبتدع

« ولكني متبع

« إن الرجل الهارب من الامام الظالم ليس بظالم

« الا إن الامام الظالم هو العاصي

« الا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق عز وجل . »

« وفي رواية انه قال فيها : واني لست بخير من احد منكم

« ولكنني اثقلكم حملا

« الا لا طاعة لمخلوق في معصية الله

« الا هل اسمعت ؟

« الا هل اسمعت ؟

« الا هل اسمعت ؟ » !

كلمات .. من طبقة .. جوامع الكلم .. وفصل الخطاب ..

كل فقرة .. لو فُصِّلت لكان منها اضخم كتاب !

في سطور معدودة ، تكلم عن كل شيء ..

عن حقيقة القرآن ، وحقيقة النبي عليه السلام .. وعن حقيقته .. وعن اسلوبه في الحكم ..

ثم أعلن مبدأ خطيراً :

« ان الرجل الهارب .. من الامام الظالم .. ليس بظالم » !

المواطن الهارب من اضطهاد الحاكم .. ليس خائناً ولا مجرماً .. لأن ظلم الحاكم هو الذي دفعه إلى الفرار من الظلم !

قرّت عيون الشعوب بك يا عمر !

ثم يصغر ويتضاءل ، حتى يكون اصغر من نملة ويقول :

« اني لست بخير من احد منكم

« ولكني اثقلكم حملا . » !

أنا اقل فرد فيكم ..

ومصيبتي اني اثقلكم حملاً ؟

أحمل مسئولياتكم جميعاً على ظهري .

فانظر الى جمال الشخصية الشعشعاني ؟

حاكم الدولة الأعظم .. الدولة التي لا توجد دولة في زمانها تنازعها السيادة على العالم ..

الذي له ان يتيه .. ويتمايل ذات اليمين وذات الشمال .. بما في يديه من سلطات وقوّات اذا امرها .. دكدكت ما شاء مما تبقى من العالم ..

رجل هذا شأنه .. يشعر شعوراً حقيقياً .. انه لا شيء .. انه اقل من اي فرد في العالم !

انى لست .. بخير .. من احد منكم ؟ !

وتلك هي العظمة .. التي ليس كمثلها عظمة ..

فليس الزهد زهد الصعاليك .. وانما الزهد زهد الملوك ..

فكيف يزهد من تحت سلطانه الملوك ؟

ولكني .. اثقلكم .. حملا ؟!

وها هنا ، يفترق عمر بن عبد العزيز .. عن سائر الحكام

ويعلو .. ثم يعلو .. ثم يعلو ..

وحده ، صاعداً .. الى الأفق الأعلى !

قال ابن الاثير :

« قال محمد بن علي الباقر :

« ان لكل قوم نجيبة

« وان نجيبة بني اميّة

« عمر بن عبد العزيز

« وانه يُبعث يوم القيامة امة وحده . » !!

من « ٤٠٠٠ » دينار

الى « ٤٠٠ » دينار !.

هذا الرجل ..

الذي اسمه .. عمر بن عبد العزيز ..

هل هو بشر .. ام شيء فوق البشر ؟

أي مكارمه هي أعظم ؟

لا ادري .. فكل مكرمة منه .. هي اكبر من أختها !

اقول ذلك .. ونحن ندخل الى امر عجيب من عجائبه التي لا تحصى !

قال ابن كثير :

« وقد كان دخله في كل سنة

« قبل ان يلي الخلافة

« أربعين الف دينار

« فترك ذلك كله

« حتى لم يبق له دخل سوى أربعمائة دينار في كل سنة

« وكان حاصله في خلافته ثلاثمائة درهم . » ؟

ومعنى هذا بمفاهيم اليوم أنه تنازل عن دخله الخاص .. من أملاكه الخاصة قبل الخلافة .. وأبقى ١ ٪ من هذا الدخل ..

لأن النسبة المئوية ٤٠٠ الى ٤٠٠٠٠ اي ١ ٪ !

أي تنازل عن جميع دخله الخاص .

ومن هنا لم يستطيعوا ان يغمزوه حين صادر اموالهم .. لأنه بدأ بنفسه .

ورب قائل يقول : يعوضها من مخصصاته الرسمية كخليفة ..

وها هنا يبرز من الرجل .. اعجب سلوك من حاكم .

« قال عبدالله بن دينار :

« لم يكن عمر يرتزق من بيت المال شيئاً . » ؟!

رئيس الدولة الأعظم .

الذي يعمل ليل نهار في خدمة الدولة .

يعمل مجاناً .

يا اهل الكتلة الشرقية ، يا اهل الكتلة الغربية ، يا سكان عالم اليوم ..

هل في تاريخكم من اوله الى آخره ، مثل عمر ؟

القضاء حسب أمير المؤمنين

علي بن ابي طالب

قال ابن الاثير :

« كان بنو امية يسبون امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

« إلى أن وليَ عمر بن عبد العزيز الخلافة

« فترك ذلك

« وكتب إلى العمّال في الآفاق بتركه

« وكان سبب محبته عليا أنه قال :

« كنتُ بالمدينة أتعلم العلم

« وكنتُ الزم عبيد الله بن عبدالله بن عُتبة بن مسعود

« فبلغه عني شيء من ذلك

« فأتيتُه يوماً وهو يصلي

« فأطال الصلاة

« فقعدت انتظر فراغه

فلما فرغ من صلاته التفت الي فقال لي :

« متى علمت ان الله غضب على أهل بدر وبيعة الرضوان بعد أن رضي عنهم ؟

« قلتُ : لم اسمع ذلك

« قال : فما الذي بلغني عنك في علي ؟!

« فقلت : معذرة الى الله واليك !!

« وتركتُ ما كنت عليه

« وكان ابي إذا خطب فنال من علي ، رضي الله عنه ، تلجلج

« فقلت : يا ابه .. إنك تمضي في خطبتك فاذا اتيت على ذكر عليّ عرفت منك تقصيراً ؟

« قال : اوَ فطنت لذلك ؟

« قلت : نعم

« فقال : يا بُني .. إن الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم .. تفرقوا عنا الى اولاده .

« فلما ولي الخلافة لم يكن عنده من الرغبة في الدنيا ما يرتكب هذا الأمر العظيم لأجلها

« فترك ذلك

« وكتب بتركه

« وقرأ عوضه : (إنّ اللهَ يأمُرُ بالعَدْل والاحسانِ وإيتاءِ ذي القُربى) الآية

« فحلّ هذا الفعل عند الناس محلا حسناً

« وأكثروا مدحه بسببه

« فمن ذلك قولُ كثيرة عزة :

« وليتَ فلم تشتمْ عليّا ولم تُخفْ
بريّاً ولم تتبع مقالة مُجرم

تكلمتَ بالحقّ المبين وانما
تُبيّنُ آيات الهُدى بالتكلم

وصدّقتَ معروفَ الذي قلتَ بالذي
فعلتَ فاضحى راضياً كلُّ مسلم

ألا انما يكفي الفتى بعد زيغهِ
من الأوَدِ البادي ثقافُ المقوِّمِ

« فقال عمر حين انشده هذا الشعر : افلحنا إذاً . » !

وهذه ثورة اخرى ، يعلنها عمر بن عبد العزيز ، ويدمر بها اوضاعاً فرضها بنو اميّة بالقوة والقهر على خطباء الجمعة .

كانوا يسبون .. الامام عليّ بن ابي طالب .. رضي الله عنه .. وحاشاه !

كجزء من مخططهم السياسي الجهنمي .. لتحويل الأنظار عن آل البيت .. وحب الجماهير لآل البيت ..

كما صوّر ذلك لعمر بن عبد العزيز أبوه :

يا بني .. ان الذين حولنا .. لو يعلمون من علي مـــا نعلم .. تفرقوا عنا .. الى اولاده !

إذا هو مخطط سياسي .. لتشويه سمعة الإمام .. عند الجماهير ليس إلا !

ولقد وعى عمر وهو بالمدينة الدرس البليغ الذي لقنــــه إياه عبيد الله .. حين قال له :

متى علمت .. ان الله غضب .. على اهل بدر .. وبيعة الرضوان .. بعد ان رضي عنهم ؟!

ودوّت الكلمات في اعماق الفتى الأموي ..

كيف إذاً يسبّون عليّاً ..

وقد كان على رأس الصحابة الأكرمين .. في بدر .. وفي بيعة الرضوان ؟

عليّ .. وما ادراك ما عليّ ؟

ووعاها عمر .. وتاب من يومها .. عن هذا الخطأ الذي أشاعه بنو أمية .. واعلن توبته إلى عبيد الاله :

معذرة إلى الله .. واليك !!

واستدار الزمان .. وصار عمر بن عبد العزيز . هو أمــــير المؤمنين ..

فأصدر قراره الثوري الشجاع ..

إلى جميع انحاء العالم .. ان يتركوا هذا المنكر القبيح ..

وكان هو اول من فعل هذا .. حين اعتلى المنبر يخطب الناس !

نحن لا نتصور ونحن نعيش في غير زمانهم .. خطورة هذا القرار .. في دولة بني أميّة !

ولكن عمر هو عمر !

يضع كل باطل .. مهما كانت الخطورة ..

ويرفع كل حقّ .. مهما كانت مشقة تكاليفه ..

وفوجىء الناس .. في جميع انحاء العالم .. لأول مرة في حياتهم .. بخطبة الجمعة . تخلو تماماً من سب الإمام عليّ !

فكانت قنبلة سياسية بارعة .. افتتح بها عمر .. خلافته .. فاطلقت الألسن بالثناء عليه ..

وامتدحه الشعراء .. واثنى عليه العلماء ..

إلا ان عمر .. ليس من الذين يعملون ابتغاء كسب مشاعر الجماهير

كلا .. وإنما ابتغاء وجه ربه الأعلى !

سيمفونية تعزفها الاجيال !.

ليست العظمة .. ان تعدل في الناس ..

ولكن العظمة .. ان تعدل في نفسك

وليست عبقرية الحُكم .. أن تُحسن حكم الناس ..

ولكن عبقرية الحُكم . ان تحسن حكم نفسك !

وذلكم .. عمر بن عبد العزيز !

اعطى الناس .. وحرم نفسه ..

ووسع على الناس .. وضيّق على نفسه ..

فسجّل بذلك .. اروع سيمونية اخلاقية .. وتركها للأجيـال لتعزفها .. وتستمع فيها إلى اعلى الأنغام !

قال ابن الاثير :

« قال عمر بن عبد العزيز لمولاه مُزاحم :

« إن أهلي اقطعوني ما لم يكن إلي أن آخذه

« ولا لهم أن يعطونيه

« واني قد هممتُ بردّه على اربابه .

« قال : فكيف نصنع بولدك ؟

« فجرت دموعه وقال :

« اكلُهم الى الله .

« قال : وجد لولده ما يجد الناس

« فخرج مُزاحم .. حتى دخل على عبد الملك بن عمر

« فقال له : إن امير المؤمنين قد عزم على كذا وكذا .. وهذا امر يضركم .. وقد نهيتُه عنه !

« فقال عبد الملك : بئس وزير الخليفة انت !

« ثم قام فدخل على ابيه وقال له : إن مُزاحماً اخبرني بكذا وكذا فما رأيك ؟

« قال : إني أريد ان اقوم به العشية .

« قال : عجله .. فما يؤمنك ان يحدث لك حدث .. او يحدث بقلبك حدث ؟!

« فرفع عمر يديه وقال : الحمد لله الذي جعل من ذريتي مَن يعينني على ديني !

« ثم قام به من ساعته .. في الناس .. وردها . » !!

ما هذا ؟ إن عمر قد عزم على التخلص من ثروته التي آلت اليه بالميراث الشرعي ..

ولكنها في مقاييسه لا تحل له ..

« إن اهلي اقطعوني ما لم يكن اليّ .. ان آخذه .. ولا لهم ان

يعطونيه » !

ها هنا عظمة الحُكم .. إنه يحكم على نفسه .. ويضطرها إلى النزول عن ثروة شرعية .. تجرداً من الدنيا .. ابتغاء ما عند الله ..

وها هنا يصيح الجاهلون : لماذا يفعل عمر بنفسه هذا ؟

والجواب .. إنه يريد الأحسن .. يريد الأعلى .. فهو يزهد في الجلال ، ابتغاء التقرب إلى الله ..

إلا ان موقف ابنه عبد الملك بن عمر .. كان أعجب من موقف أبيه ..

فالمفروض ان يعارض الابن اتجاه الأب .. لأن تبديد ثروة الأسرة .. معناه افتقار الأولاد جميعاً .. وهذا ما حاول مُزاحم أن ينبه الأولاد اليه

« وهذا امر يضركم » ..

فكان رد عبد الملك عليه :

« بئس وزير الخليفة أنت » !

وسارع إلى أبيه .. وهو يدفعه دفعاً إلى المبادرة إلى التنفيذ :

« عجله .. فما يؤمنك ان يحدث لك حدث .. او يحدث بقلبك حدث » ؟!

ما ضمانك إذا أخرت التنفيذ .. أن يحدث مـا يمنعك عنه .. أو يتحول قلبك عن تلك النية الطيبة ؟

وفوراً .. قام عمر ، وردَّ الضياع والاقطـــاعيات التي كان يملكها إلى أصحابها !

عجائب من عمر .. وعجائب من عبد الملك بن عمر !

لا تدري .. أيها اكرم من الآخر .. الوالد أم المولود ؟

إلا أن اسمى مشهد من الرواية الخالدة .. هو منظـر عمر بن عبد العزيز .. ومولاه مُزاحم يقول له :

« فكيف نصنع بولدك » ؟!.

أولادك .. وبناتك .. وزوجاتك .. يا عمر ، من أين يـاكلون إذا نزلت عن ثروتك ؟

« فجرَت دموعه » ؟!

والأبطال حين يبكون .. إنما يبكون لأمر عظيم ..

حاكم الدنيا .. مَن تحت يديه مقدرات العـــالم .. يبكي .. لماذا يبكي ؟

في نفسه ثورتان .. تتصارعان وتتقاتلان ..

ثورة تقول : لا تفعل يا عمر .. ولا تحرّم على نفسك ما أحل الله لك ولأولادك .. إن كنت قد ارتضيت لنفسك التشرد ، فما ذنب هؤلاء ؟

وثورة اخرى تقول : إفعل يا عمر .. فقد فعل هذا أبو بكر وعمر .. فافعل فعلهما .. وانهج نهجهما !

فلما اشتد صراع الثورتين في باطنه .. بكى !

وانتصرت الثورة العليا .. على الثورة الدنيا .. فقال العملاق ودموعه تجري :

« اكلهُم .. الى الله » !

مقام .. يعلو على كل مقام !

فلما قالها ، سمع الله لها !

فلما صدّق الله .. صدقه الله !

وهؤلاء .. لا يعلمهم إلا الله !

دموعه الشريفة ، لن يضيعها الله أبداً ..

انّ الله لا يضيع اهله !

ما كان عمر ليبكي لله ، ويضيعه الله !

كل قطرة .. سقطت من عينيك الشريفتين .. يا عمر .

تخلّق منها ، بحر من نور .

ستجده ، عند الله !

يا صعاليك المؤمنين اذهبوا وزُولوا ، فذاك مقام عمر بن عبد العزيز وحده !

قال ابن كثير :

« فلقد رأينا بعض اولاد عمر بن عبد العزيز .. يحمل على ثمانين فرساً .. في سبيل الله !

« وكان بعض اولاد سليمان بن عبد الملك – مع كثرة ما ترك لهم من الأموال – يتعاطى ، ويسأل من اولاد عمر بن عبد العزيز

« لأن عمر .. وَكَلَ اولاده الى الله عز وجل

« وسليمان وغيره انما يكلون أولادهم الى ما يدعون لهم

« فيضيعون .. وتذهب أموالهم في شهوات اولادهم » !

فهل فهمتَ ؟

لعلك تفهم !

ومن الخير .. لك .. الا تفهم ..

دموعه تسيل على خديه !

يا كبار أهل الفن في انحاء عالم اليوم ..

خذوا فكرة هذه اللوحة الخالدة .. فارسموها بريشتكم .. ليشهدها الناس .. جيلاً بعد جيل ..

فان عمر بن عبد العزيز .. مفخرة .. للبشرية كلها !

واليكموها ..

قال ابن كثير :

« وقالت زوجته فاطمة :

« دخلت يوماً عليه

« وهو جالس في مصلاه

« واضعاً خده على يده

« ودموعه تسيل على خديه

« فقلت : مالك ؟!

« فقال : ويحك يا فاطمة ..

« قد وليت من امر هذه الأمة ما وليت

« فتفكرت في الفقير الجائع

« والمريض الضائع

« والعاري المجهود

« واليتيم المكسور

« والأرملة الوحيدة

« والمظلوم المقهور

« والغريب

« والأسير

« والشيخ الكبير

« وذي العيال الكثير والمال القليل

« واشباههم في اقطار الارض وأطراف البلاد

« فعلمت ان ربي عز وجل سيسألني عنهم يوم القيامة

« وان خصمي دونهم محمد صلى الله عليه وسلم

« فخشيت ألا يثبت لي حجة عند خصومته

« فرحمت نفسي

« فبكيت .. » ؟!

هذه هي خطوط اللوحة الخالدة ..

واني لارجو من الله .. ان يقيض لها ، من يخطها بريشته .. ليتأمل فيها الناس .. قرناً بعد قرن .. إلى يوم القيامة ؟

أما الخلود ، فقد خلدت عند الله ..

فما اريد به وجه الله ، فإنه يبقى ولا يفنى .

لم .. ولن يقوم مثل هـــذا الاحساس الشريف الرفيع ، بقلب حاكم من الحكام ، على مستوى العالمين !

إن الانسان لا يُطيق حمل هموم نفسه .. او بيتـه .. او عمـــله ..

فكيف يطيق حمل هموم العالم ، بمن فيه من الخلـق ؟

وهـــا هنا شعاعة .. من شعاعات عظمة شخصية عمر بن عبد العزيز !

لماذا يبكي ، لماذا تسيل على خديه الدموع ؟

أما العزّة .. فهو في أعلى درجاتها ..

وأما القوّة .. فهو في اقصى طـاقاتها ..

وأما العدل .. فقد اقـامه كاملاً ..

وأما الزهد .. فقد بلغ منـه اقصاه .

وأما العلم .. فهو عالم العلماء ..

وأما الهدى .. فهو الخليفة الخامس .

فلماذا البكاء يا عمر ؟

فكان جواب الشريف العظيم الكريم :

فتفكرت في الفقير الجائع ؟!

إنه لا يتفكر في التآمر بمن يتآمر عليه .. كما هي صناعة الملوك ..

كلا .. وإنما في الفقير الجائع !

لا بد أن هناك جوعى في انحاء العالم الذي احكمه .. لا ادري عنهم شيئاً : ويحي إذا لم اطعمهم من جوع !

إحساس شريف !

ثم لماذا يبكي ؟

والمريض الضائع ؟

هناك في انحاء العالم ، ملايين من المرضى ، لا يجدون العلاج ، ولا يشعر بهم من احد .. ولكن عمر يشعر بهم ، ويبكي من اجلهم لماذا لم يوفر لهم العلاج ؟

هذه آلام هؤلاء العظماء ؟

يألمون لغيرهم ، لا لانفسهم !

إن من يتالم لنفسه فقط .. مثله كمثل الحمار .. يـــالم إذا قرعته بالعصا ..

أما هؤلاء ، فإنهم يألمون لغيرهم .. وشتان بين ألم وألم !

ثم لماذا كان يبكي ؟

والعاري المجهود ؟!

هناك في انحاء العالم ملايين من العراة الذين اجهدهم الفقر ولا يجدون ما يسترون به عوراتهم .. لماذا لم اوفر لهم الكساء ؟

ثم فيم البكاء يا عمر ؟

واليتيم المكسور ؟!

رضي الله عنك يا سيدي .

اللهم ارفع درجات عمر بن عبد العزيز .. وابلغه تحيات وصلوات ملايين اليتامى .. المكسورين المقهورين .. الذين لا يستطيعون نصر انفسهم !

إن هذا الاحساس وحده ..

يكرم الله بسببه عمر ، إكراماً لا يخطر على قلب بشر !

لأن القلب الذي يبكي من أجل اليتيم المكسور .. يُؤويه الله اليه فوراً .. لأنه آوى إلى إحساسه آلام اليتيم .

ماذا اقول ، بل ماذا يمكنني ان اقول ؟

إنما مثلي وأنا امام هذه اللوحة ، كمثل عصفور ينقر نقرة او

نقرتين من البحر .

ثم ماذا ابكاك يا سيدي ؟

والأرملة الوحيدة ؟!

ملايين ، من الأرامل .. على مستوى العالم الذي يحكمه ، فقدوا أزواجهم .. ففقدوا الانس والبهجة ، ولا يشعر بهم من أحد ، ولكن عمر ، يبكي من اجلهن ؟

ثم قطرات دمعك لماذا يا سيدي ؟

والمظلوم المقهور ؟!

ملايين من المظلومين ، المقهورين .. الذين يضجون الى الله ، أن يرفع عنهم الظلم .. ولكن المجتمع يطحنهم ويدوسهم ولا يبالي .. ولكن عمر يبكي من اجلهم .. لماذا لم يرفع عنهم الظلم والقهر ؟

اي حبّ هو اعظم من حب هؤلاء لعمر بن عبد العزيز ، حين يعلمون ان عمر يبكي من اجلهم ، واذا بكى عمر ، اتبع بكاءه العمل على رفع الظلم عنهم ؟

هذا هو عرش عمر بن عبد العزيز الحقيقي ..

انه يستوي على عرش قلوب الملايين .. من الفقراء ،

والمرضى ، والعراة ، واليتـــامى ، والارامل ، والمظلومين ، والغرباء ، والأسرى ، والشيوخ الكبار ، وذوي العيال الكثـــير والمال القليل .. واشباههم في اقطار الارض واطراف البلاد ..

هؤلاء جميعاً .. يبكي من اجلهم .. ويعمل ما وسعه العمل ، على اذهاب آلامهم ، وانصافهم ، واسعادهم ..

وهذا هو عرش الجماهير الذي لا يزول ؟

ثوب واحد !.

قال ابن كثير :

« قال مسلمة بن عبد الملك

« دخلت على عمر في مرضه

« فاذا عليه قميص وسخ

« فقلت لفاطمة : ألا تغسلون قميص أمير المؤمنين ؟

« فقالت : والله .. ما له قميص غيره !

« وبكى[1]

« فبكت فاطمة

« فبكى أهل الدار

« لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء ؟!

« فلما انجلت عنهم العبرة

« قالت فاطمة : ما أبكاك يا امير المؤمنين ؟

---

(١) اي عمر بن عبد العزيز .

« فقال : إني ذكرت منصرف الخلائق من بين يدي الله

« فريق في الجنة وفريق في السعير .

« ثم صرخ !

« وغشي عليه . » !

هذا اثر . واثر آخر :

« وكان قبل الخلافة

« يؤتى بالقميص الرفيع اللين جداً فيقول : مـا أحسنه لولا خشونة فيه !

« فلما ولي الخلافة كان بعد ذلك يلبس القميص الغليظ المرقوع

« ولا يغسله حتى يتسخ جداً

« ويقول : ما أحسنه لولا لينه !

« وكان يلبس الفروة الغليظة . »

أما رواية ابن الأثير :

« قال مَسلمة بن عبد الملك :

« دخلتُ على عمر اعوده

« فاذا عليه قميص وسخ

« فقلت لامرأته فاطمة

« وكانت أخت مسلمة :

« اغسلوا ثياب امير المسلمين .

« فقالت : نفعل .

« ثم عدت فاذا القميص على حاله !

« فقلت : ألم آمركم أن تغسلوا قميصه ؟!

« فقالت : والله ما له غيره !

« قيل : وكانت نفقته كل يوم درهمين . » !

هـذه ثياب امير المؤمنين .. عمر بن عبد العزيز ..

حاكم الدنيا .. الذي تحت يده ملوك وأباطرة .. وأكاسرة .. وقياصرة ..

أموال الكرة الأرضية كلها رهن إشارته .

ولم يحرم الله عليه .. الزينة .. وأن ياخذ زينته اللائقة بمركزه السياسي الأعظم !

ولكن الرجل ، القى بهذا كله بعيداً .

القى بالدنيا .. بما فيها من خلافة ، وسلطة ، ومناصب ، واموال ، ونساء ، وأبهة ، وتجمل وتطييب ..

خرج من كل ذلك .. ابتغاء ما هنالك ..

ويصور لك تلك الحقيقة .. ان الرجل .. بكى ، عندما

قالت زوجته لأخيها : والله .. ما له قميص غيره !

فلما رأينه .. فاطمة وأهل الدار يبكي ، بكوا لبكائه .. ظناً منهم أن عمر يبكي لحاله .. وما آل اليه من فقر وثوب واحد ، فانفجروا يبكون لهذا المنظر الأليم !

فهل صحيح ان عمر كان يبكي .. لأنه اصبح في قميص واحد ؟

كلا .. كان هذا الفهم من اهل الدار فهماً خاطئاً ..

وإنما كان يبكي لشيء آخر !

« فقالت فاطمة : ما ابكاك يا أمير المؤمنين ؟!

« فقال : إني ذكرت منصرف الخلائق من بين يدي الله ..

« فريق في الجنة وفريق في السعير .. » !

هذا ما ابكى عمر !

إنه لا يبكي لحاله من القميص الواحد ، الذي أثار شفقة مسلمة ابن عبد الملك ..

وانما كان هناك ، وراء الدنيا وأهلها ..

كان في الآخرة .. في يوم الحساب !

ثم انتقل عمر .. من مقام .. الى مقام أعلى وأعلى

« **ثم صرخ** » ؟!

ثم صرخ ؟

هذه الصرخة .. موجة هدّارة جبّـــارة .. فوّارة .. ُصبّت في قلبه ..

فكان هديرها .. هذا الصراخ !

ثم ماذا ؟

ثم ُرفع عمر .. إلى مقام أعلى وأعلى

« **وغشي عليه** » !

دخل في اغماء عميق .

فها هنا يتحتم أن يغيب العقل ..

لأنها مرتبة وراء العقل !

أما كونه في قميص واحد . وسخ ، لا تستطيع زوجته أن تغسله ، لأنه لا يجد قميصاً آخر .. يلبسه حتى يجف هذا ..

فإن هذا وان ابكى فاطمة .. وابكى مَسلمة ـ قائدْ عـــام الجبهة الشمالية ـ المكلفة بفتح القسطنطينية .. وأبكى اهــــل الدار ..

هذا كله لم يخطر على قلب عمر !

قال ابن كثير :

« قال مالك بن دينار : يقولون مالك زاهد !. أي زهـــد عندي ؟!

« إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز

« اتته الدنيا فاغرة فاها

« فتركها جملة . » !

ثم يقول ابن كثير :

« قالوا :

« ولم يكن له سوى قميص واحد

« فكان إذا غسلوه

« جلس في المنزل

« حتى ييبس . » !

جلس في المنزل حتى ييبس ؟!

منظر رهيب ، تهتز له السماوات !

تفعل هذا يا عمر .. يا سيدي .. وامكانيات العالم كله تحت قدميــك ؟

لماذا يا سيدي ، يا مَن اتعبت كل من جاء بعدك ؟

انها مقامات ، يطويها عمر طياً ..

ولا بد له أن يبلغها !

« وقد وقف مرة على واعظ فقال له :

« ويحك .. عظني .

« فقال له : عليك بقول الشاعر :

تجرد من الدنيا ، فانك إنما

خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد

« قال : وكان يعجبه .. ويكرره

« وعمل به .. حق العمل » !

لو انفقت على عيالك

كما تنفق على عمالك ؟

لئن كان عمر بن الخطاب .. أتعب من بعده ..

فان عمر بن عبد العزيز .. اعجز من بعده !

لأن عمر بن الخطاب .. كان على مسافة سنتين .. من النبي صلى الله عليه وسلم .. وهي خلافة ابي بكر ..

بينما كان عمر بن عبد العزيز .. على مسافة مائة عام .. من النبي صلى الله عليه وسلم ..

وهذا هو وجه العجب .. من أمر هذا الرجل .

ابن الخطاب .. اعتلى مجتمعاً .. منتظماً على مفاهيم النبوة ، مما ييسر له مهمته .

أما ابن عبد العزيز ، فقد اعتلى مجتمعاً ، التوى على مفاهيم النبوة ، مما يعسر اشد العسر مهمته !

وهذا عنصر خطير جداً .. من عناصر تحليل شخصية عمر ابن عبد العزيز !

قد يقول الجاهلون : ولماذا هذا التشدد من عمر بن عبد العزيز ، ولماذا ُيضيق على الناس ما اوسعه الله لهم ؟

ونقول لهؤلاء : على رسلكم .. يا عِراض القفا .

فإن عمر ، ضيق على نفسه .. ليوسع للشعب ..

ونزع من الاغنياء ، ليوسع للفقراء ..

انه يريد ان يحقق التوازن بين الاغنياء والفقراء ..

يضغط على نفسه ، ويفسح لشعبه ..

ويضغط على الرأسماليين ، ليعطي الكادحين ..

وهذا هو الرُشد الحق !

واليكم دلائل القضية .

قال ابن كثير :

« وكان يوسع على عياله في النفقة

« يعطى الرجل منهم في الشهر مائة دينار

« ومائتي دينار .

« وكان يتأول أنهم إذا كانوا في كفاية

« تفرغوا لأشغال المسلمين

« فقيل له : لو انفقت على عيالك كما تنفق على عيالك ؟

« فقال : لا امنعهم حقاً لهم

« ولا اعطيهم حق غيرهم .

« وكان أهله قد بقوا في جهد عظيم

« فاعتذر بأن معهم سلفاً كثيراً من قبل ذلك . » !

هل وضحت القضية يا عِراض القفا ؟

عُماله .. الولاة .. مائة دينار .. ومائتي دينار في الشهر !

والمائة دينار بأسعار اليوم .. توازي اكثر من عشرة آلاف دينار ، في الشهر ..

باعتبار ان الاسعار الآن .. توازي مائة ضعف الاسعـار في زمانهم ..

هذا للوالي ، ليتفرغ لخدمة الجماهير .

أمـا هو ، فيحرم نفسه ، واولاده ..

« لو انفقت على عيالك كما تُنفق على عمالك » ؟!

فاعتذر ، فرفض أن يفعل ذلك ..

وكانت فلسفته :

معهم سلفاً كثيراً .. قبل ذلك !

سبق لهم أن تنعموا كثيراً ، قبل ان اتولى الخلافة ، فحسبهم ما اخذوه من قبل .

هذا عن موقفه من أهل بيته .

فماذا عن موقفه من نفسه ؟

منتهى التنزه .. ومنتهى التجرد .

ومنتهى الزهد.

قال ابن كثير :

« وأهدى اليه رجل

« من اهل بيته

« تفاحاً

« فاشتمه

« ثم ردّه مع الرسول

« وقال له : قل له : قد بلغت محلها !

« فقال له رجل : يا امير المؤمنين .. إن رسول الله صلى وسلم كان يقبل الهدية .. وهذا رجل من إهل بيتك ؟!

« فقال : إن الهدية كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدية ..

« فاما نحن .. فهي لنا رشوة .. » !

أرأيتم .. يا عِراض القفا ؟

هل فهمتم فقه عمر .. وان فقهه لعزيز ..

رفض قبول هدية تفاح . من رجل من أسرته ..

واشتمه ، اي من بعيد .. ثم ردّه ..

وفي أدب رفيع .. ليجبر خاطر الرجل :

قل له .. قد بلغت محلها !

نفس شريفة غاية الشرف .

اللهم ارفع درجات .. عمر بن عبد العزيز .. رفعاً عظيماً ..

وآية أخرى ..

« وكان سراجه

« على ثلاث قصبات

« في رأسهن طين

« ولم يبن شيئاً في أيام خلافته

« وكان يخدم نفسه بنفسه

« وقال : ما تركت شيئاً من الدنيا .. إلا عوضني الله ما هو خير منه .. » !

هذا عمر ، مع نفسه ..

وهو يعلم ، أن الدولة والامة .. تموج بالاموال موجاً ، وتعج بالقصور عجّاً .

وهو يصنع هذا بنفسه .

يخدم نفسه بنفسه ..

حاكم العالم ، يخدم نفسه بنفسه ..

لماذا .. يضيق على نفسه .. ليوسع على غيره ، هذا من ناحية السياسة ..

أما من الوجه الإلهي ، فتلك درجات ، يريد عمر ان يبلغها .. وقد بلغها ، وزيادة .

« وكان يأكل الغليظ

« ولا يبالي بشيء من النعيم

« ولا يتبعه نفسه

« ولا يوده .. » !

شخصية يحار فيها المحللون ، ويخشع من هيبتها الباحثون .

« وقد ردّ جميع المظالم ..

« حتى انه رد فص خاتم كان في يده

« قال : اعطانيه الوليد من غير حله

« وخرج من جميع ما كان فيه من النعيم

« في الملبس

« والمأكل

« والمتاع

« حتى إنه ترك التمتع بزوجه الحسناء ، فاطمة بنت عبد الملك

« يقال : كانت من اجمل النساء

« ويقال : انه رد جهازها إلى بيت المال .. » !

مستوى من التنزه ، والتجرد .. لا يبلغه من جنس البشر .. الا احاد ..

« وُعرض عليه مرة

« مسك .. من بيت المال

« فسدّ انفه

« حتى وُضع[1]

« فقيل له في ذلك

« فقال وهل ينتفع من المسك إلا بريحه ؟ » !

---

(١) حتى وضعوا المسك في موضعه المخصص له .

على رأس

المائة الاولى ..

نحن الآن في سنة مائة من الهجرة ..

وقد مضى على خلافة عمر بن عبد العزيز نحو عشرة اشهر .. اي اقل من عام !

إذ انه ولي الخلافة بعد موت سليمان بن عبد الملك ، الذي توفي لعشر مضين من صفر سنة تسع وتسعين من الهجرة ..

مضى الآن عشرة اشهر ، وعشرون يوماً على خلافة عمر !

مدة يسيرة .. ولكن عمر غيَّر فيها وجه التاريخ !

فكان بحق قائد ثورة .. بكل ابعاد الثورة سياسياً ، واجتماعياً ، واقتصادياً ، ودينياً ، ودنيوياً ..

ثار على كل شيء ، يخالف كتاب الله .. وسُنة رسول الله .. صلى الله عليه وسلم !

ومعنى هذا .. انه ثار على كل انحراف ، في اي اتجاه .. في الدولة .. او في الشعب .

لأن كتاب الله .. وسنة رسوله .. صلى الله عليه وسلم .. هما الخط المستقيم ..

فكل ما خالفهما ، فهو انحراف ..

وما اكثر ما كان من انحرافات .. حين تولى الخلافة ..

ومن هنا كان عليه ان يعلن الثورة ، في كل شيء ..

وإذا أضيف إلى ذلك .. أن رقعة حكمه كانت تشمل العالم كله .. إلا ما تبقى من اوروبا ..

فهمنا ان عمر بن عبد العزيز .. اعلن الثورة ، على مستوى العالم كله ..

وهذا امر معجز حقاً ..

فقد يمكن إعلان الثورة ، في قطر من الأقطار ..

أما أن يعلن حاكم .. الثورة في جميع انحاء الأرض .. وفي جميع الأقطار ، فهذا هو الاعجاز !

وقد كان عمر بن عبد العزيز .. عنيفاً في ثورته .. عنفاً اعجز كثير من الولاة .. اي حكام الأقطار التابعة له . ان يرتفعوا إلى مستواه الثوري ، فكانوا يفرون من الولاية وينخلعون منها قبل ان تنخلع قلوبهم رعباً منه !

وهذا ليس بخيال شاعر ..

وإنما هو حقائق تاريخية ثابتة !

قال ابن كثير :

« وقد كان يكتب الموعظة

« إلى العامل من عماله

« فينخلع منها !

« وربما عزل بعضهم نفسه عن العمالة

« وطوى البلاد من شدة ما تقع موعظته منه

« وذلك أن الموعظة إذا خرجت من قلب الواعظ دخلت قلب الموعوظ . » !

فينخلع منها ؟

لماذا يرعب الوالي من كلام عمر ؟

لأنه أمـــام قائد ثورة عالمية .. تكتسح في طريقها كل باطـل !

أمام قائد ثورة .. على استعداد لأن ينخلع هو نفسه عن منصبه إذا لم يحقق اهداف ثورته !

أعلن الثورة سياسياً .. فعزل الطغـاة .. واستبدلهم بحكام

عـادلين .

قال ابن كثير :

« وقد صرح كثير من الأئمة

« بأن كل من استعمله عمر بن عبد العزيز ثقة . » !

وأعلن الثورة ، على بيوتات الخلافة .. فنزع منهم ما غصبوه ، وأقامهم على العدل .. وولولوا ، فما زاده صراخهم إلا اصراراً !

وأعلن الثورة ، على الدعاية السياسية الباطلة .. فـأبطل سبَّ الامام عليّ .. رضي الله عنه ..

وأعلن الثورة ، على فخفخة الخلافة .. فألغى جميع المظاهر .. وقام في المنصب الأعظم متجرداً ..

وأعلن الثورة الاجتماعية في أبهج ما تكون نضارة وسعـادة للجماهير ..

قال ابن كثير :

« وقد اجتهد رحمه الله في مدة ولايته — مع قصرها — حتى رد المظالم

« وصرف الى كل ذي حق حقه

« وكان مناديه في كل يوم ينادي :

« أين الغارمون ؟

« أين الناكحون ؟

« أين المساكين ؟

« أين اليتامى ؟ »

« حتى اغني كلاً من هؤلاء . » !

ثورة اجتماعية .. لن تبلغها ثورة بعد عمر بن عبد العزيز .. إلى يوم تقوم الساعة !

مناديه ينادي كل يوم ..

على مستوى العالم كله ..

أين الغارمون ؟

أين المدينون الذين لا يستطيعون دفع ديونهم ..

لتدفع الدولة عنهم ديونهم !

أين الناكحون ؟

اين الذين يريدون الزواج .. ولا يستطيعون ، لتزوجهم الدولة على حسابها !

أين المساكين ؟

أين الذين لا يجدون ما ينفقون .. او لا يملكون ما يكفيهم من

النفقة .. لتعطيهم الدولة ما يكفيهم ؟

أين اليتـامى ؟

أين الذين فقدوا اباءهم .. ولا يجدون من يرعـــاهم ويكفل لهم أسباب الحياة .. لتتولى الدولة رعايتهم والانفاق عليهم ؟

كل يوم ينادي مناديه ؟

كل يوم ، على مستوى العالم كله !

ملايين من الغارمين ..

ملايين من الناكحين ..

ملايين من المساكين .

ملايين من اليتامى ..

يناديهم عمر .. كل يوم ..

ومن جاءه منهم ، من اي مكان في العالم ..

استقبله فوراً ، وأغاثه فوراً ، وأعطاه فوراً ..

« حتى أغنى كلا من هؤلاء » ؟!

هذه ثورة عمر بن عبد العزيز الاجتماعية .. وجـــه واحد منهـــا ..

فأي ثورة في التاريخ بلغت هذا المستوى ؟

أي ثورة يمكن ان تتغلغل إلى جميع طبقات الشعب الكادحة ، تمثل هذه السرعة ، وهذا الالحاح ، لتُعطى فوراً ، كل من ينقصه عنصر من عناصر الحياة !

وأعلن الثورة الاقتصادية الكبرى ..

فلا ربح من حرام ..

ولا ملكية إلا من حلال

وكم زلزل من ملكيات خاصة ، ونزع من اقطاعات ، وردّها إلى الشعب !

فاقام الميزان .. اي التوازن بين الرأسماليين والكادحين !

وبدأ بنفسه ، فثار عليها ، ونزع من ايديها ، كل ثروته ، وكل شهواته ، حتى إمرأته التي تحل له .. وضيّق عليها كل ما تتمنى وما تشتهي .. فأماتها قبل ان تموت ..

وانتفض عملاقاً .. مجرداً ..

يعلن أعتى ثورة عرفها التاريخ ، او سوف يعرفها ..

كل ذلك .. وحده !

فرد .. واحد .. يضاد جميع القُوى الظالمة !

اي إرادة كانت إرادته ؟

قال ابن كثير :

« وقد ذكرنا في دلائل النبوة

« الحديث الذي رواه ابو داود في سُننه

« ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إن الله يبعث لهذه الأمة

« على راس كل مائة سنة

« مَن يجدد لها امر دينها . » !

مَن يُجدد !

مَن يثور ثورة شاملة .. في جميع انحاء الحيـــاة .. ويُردّ الأمة .. إلى حقيقة دينها الاولى .. قبل أن ينحرف بهـــا المنحرفون !

« فقال جماعة من اهل العلم

« منهم احمد بن حنبل

« فيما ذكره ابن الجوزي وغيره :

« إن عمر بن عبد العزيز

« كان على رأس المائة الأولى

« وإن كان هو اولى من دخل في ذلك واحق

« لامامته

« وعموم ولايته

« وقيامه واجتهاده في تنفيذ الحق

« فقد كانت سيرته شبيهة بسيرة عمر بن الخطاب

« وكان كثيراً ما تشبه به . » !

هذا تعبير الاقدمون ، لإمامته ، وعموم ولايتـه ..

أي انه صاحب ثورة شاملة .. في عموم ولايته ، التي تشمل انحاء العالم !

« وكان يكتب إلى عمّاله

« أن يأخذوا بالسُنة . » !

أمر عام .. ثورة عامة

إلى جميع الولاة ، إلى جميع حكام الاقطـار ..

إلى حاكم مصر ، إلى حاكم إفريقيا ، إلى حاكم الاندلس ، إلى حاكم المدينة ، إلى حاكم مكة ، إلى حاكم العراق ، إلى حاكم طبرستان ، إلى حاكم خراسان ، إلى كل حاكم في الدولة الاعظم ..

احكموا .. بسُنّة .. رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

ما خالفها .. فابطلوه ..

وما وافقها .. فنفذّوه .

ثورة جديدة .. عامة شاملة .. في جميع العـالم ، في جميع نواحي الحياة !

ليس مجرد توجيه معنوى ..

كلا .. بل تنفيذ فوري .. ومَن تلوّى او تباطأ من الحكام .. يُعزل فوراً ..

« **ويقول : إن لم تصلحهم السنة**

« **فلا اصلحهم الله »** !

وهذا بلُغة قائد الثورة الأعظم ..

معناه عزلهم فوراً !

« **وكتب ايضاً**

« **ألا يستعمل على الأعمال**

« **إلا اهل القرآن**

« **فان لم يكن عندهم خير**

« **فغيرهم اولى الا يكون عنده خير »** !

اسلوب اختيار المناصب القيادية ..

تكون من اهل القران .. علماً وعملاً وتحققاً وتخلقا !

لان هذه الثورة قائمة ، على كتاب الله ، فيجب ان تكون

مناصب القيادة ، بيد اصحاب الفكرة !

حتى تكتيك الصلاة .. تغلغلت الثورة فيه ..

« وكان يكتب إلى عماله :

« اجتنبوا الاشغال عند حضور الصلاة

« فان من أضاعها

« فهو لما سواها من شرائع الاسلام اشد تضييعاً » !

عجيب ! إن قائد الثورة الاعظم .. لا يُفلت شيئاً ، صغيراً أو كبيراً ، إلا اعلن فيه الثورة !

الصلاة .. الفريضة العظمى ..

اساس هذا الدين .. اذاً يُركز عليها ..

وانظر إلى الأقطار كلها .

مئات الملايين .. تتدافع وتتراحم إذا حضرت الصلاة إلى ربها ..

وتدع أعمالها كلها ، حاكمين ومحكومين .

فإذا قُضيت الصلاة .. انتشروا في الأرض .. وعادوا إلى اعمالهم ..

والخليفة من فوقهم ، يشدد في ذلك ، ويتتبعه .. وويل لمن تهاون في ذلك من الولاة من عمر ؟

« وكتب إلى بعض عماله :

« اذكر ليلة تمخض بالساعة

« فصباحها القيامة

« فيا لها من ليلة !

« او يا له من صباح !

« وكان يوماً على الكافرين عسيراً » .

هكذا يربى ولاته .. يقذف الرعب في قلوبهم من خشية الله ..

ويقذف الرعب في رؤوسهم من خشية قوة الثورة المنطلقة ..

وكتب إلى آخر :

« أذكرك طول سير أهل النار مع خلود الابد

« وإياك أن يتصرف بك من عند الله

« فيكون آخر العهد بك

« وانقطاع الرجاء منك .

« قالوا : فخلع هذا العامل نفسه من العمالة

« وقدم على عمر

« فقال له :

« مالك ؟

« فقال : خلعت قلبي بكتابك يا امير المؤمنين

« والله .. لا اعود إلى ولاية أبداً . » !

هكـذا .. رُعب الوالي ..

وإذا قلنا الوالي .. يعني بلغة زماننا ، الحاكم .. اي الملك الذي يملك عدة دول من دول اليوم ..

فلو كان هذا الوالي مثلاً .. هو عامله على افريقيـة ، فهو يحكم ليبيا ، والجزائر ، وتونس ، والمغرب ، وموريتانيا ، والسودان ، والحبشة .. اي امبراطور كبير ..

هذا هو سلطان أحد عُمال عمر ..

اي أن أحد ولاته .. يعادل مَن يحكم عـدة دول من الدول الحديثـة ..

فـافريقيا كلها .. كان يحكمها .. عامل واحد .. من عُمّـال عمر !

هذا يعطيك فكرة .. عن عظمة تلك الدولة ومـــدى سلطانها ..

وعن قوة الثورة التي أعلنها عمر .. فانخلعت قلوب الولاة ، والملوك من هولها !

قال ابن عمر :

« يا عجباً

« يزعم الناس ان الدنيا لا تنقضي

« حتى يلي رجل من آل عمر

« يعمل بمثل عمل عمر . » !

« وقال الامام احمد

« عن عبد الرازق ، عن أبيه

« عن وهب بن منبه ، انه قال :

« إن كان في هذه الأمة مهدي

« فهو عمر بن عبد العزيز . »

وقال ابن كثير :

« وذكر الصولي

« ان عمر كتب الى بعض عماله :

« عليك بتقوى الله

« فانها هي التي لا يقبل الله غيرها

« ولا يرحم الا اهلها

« ولا يثاب الا عليها

« وإن الواعظين بها كثير

« والعاملين بها قليل . » !

كما قالوا عنه .. عالم العلماء !

قمة قمم العلماء في زمانه !

يستوي على عرش الدنيا ..

أوتي ُملك الظاهر ، فهو حاكم المشرق والمغرب ..

وأوتي ُملك الباطن .. فهو الخليفة الخامس الراشد ..

ُيوجّه بقوة الثورة .: مَن لا يتوجه بقوة الإيمان ..

في توازن وانسجام تام .

فشهدت البشرية مثالاً فذّاً .. عبقرياً عجيباً ..

اجتمع بيده ُملك الظـاهر ..

وملكوت البـاطن ..

آتاه الله النعمتين ..

فما زاده إلا تواضعاً ..

في رواية لابن كثير .. يذكر في خطبة لعمر :

« وايم الله .. اني لأقول قولي هذا

« ولا أعلم عند احد منكم من الذنوب

« اكثر مما أعلم من نفسي

« ولكنها سنن من الله عادلة

« أمر فيها بطاعته

« ونهى فيها عن معصيته

« واستغفر الله

« ووضع كمه على وجهه

« فبكى

« حتى بل لحيته .. » !

يتهم نفسه .. وهو ما هو .. انه اكـثر الناس على الإطلاق ذنوبـاً !

سبحان الله !

إن الانسان ليرقى .. حتى يبلغ إلى ما وراء العقول !

« قال عباد السماك

« وكان يجالس سفيان الثوري :

« سمعت الثوري يقول :

« الخلفاء خمسة

« ابو بكر

« وعمر

« وعثمان

« وعلي

« وعمر بن عبد العزيز . » !

«واجمع العلماء قاطبة

« على انه من أئمة العدل

« واحد الخلفاء الراشدين

« والائمة المهديين . » ؟

المناظرة الخالدة

بين عمر بن عبد العزيز ..

وقادة ثورة الخوارج ..

قال ابن الأثير :

« ثم دخلت سنة مائة

« في هذه السنة خرج .. بسطام ..

« وكان في ثمانين رجلاً

« فكتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد عامله بالكوفة

« أن لا يحركهم حتى يسفكوا دماء ويُفسدوا في الأرض

« فان فعلوا وجّه اليهم رجلا صليباً حازماً في جند .. »

بسطـــام هذا .. ثائر من ثوار الخوارج .. خرج في قوة مقاتلة ثمانين رجلاً .. لا يعترف بالخليفة .. ولا بالأوضاع السياسية كلهـا .

وهنا برزت عبقرية عمر بن عبد العزيز .. فأمر الوالي ان لا يحركهم .. اي لا يصطدم معهم .. ما داموا لم يسفكوا الدمـــاء .. او يفسدوا في الأرض .. دعهم وشأنهم .. وراقبهم من بعيد ..

فإن فعلوا .. فإن لجأوا إلى الارهاب والقتل والافساد ..

وجه اليهم رجلا صليباً .. صلب الارادة .. حازماً ..

يعالج الأمور بالحزم والبطش اللازم لقمع هؤلاء ، وعمر ها هنا لا يلجأ لاستعمال القوة إلا لضرورة ..

« فبعث عبد الحميد .. محمد بن جرير .. في الفين .. وأمره بما كتب به عمر

« وكتب عمر إلى بسطام يسأله عن مخرجه

« فقدم كتاب عمر عليه .. وقد قدم عليه محمد بن جرير .. فقام بازائه لا يتحرك

« فكان في كتاب عمر :

« بلغني انك خرجت غضبـــاً لله ولرسوله .. ولستَ أولى بذلك مني .. فهلمّ إليْ أناظرك .. فان كان الحق بايدينا دخلت فيما دخـل الناس .. وإن كان في يدك نظرنا في أمرك . » !

منتهى الحرية ، ومنتهى الديموقراطية ..

الخليفة ، يدعو الثائر .. الذي خرج عليه ، ورفض الطـاعة له .. يدعوه ليناظره ؟

ليس هذا فقط ، وإنما ..

فان كان الحق بأيدينا .. وان كان في يدك ..

اي لك تمام الحرية ان تقول ما تشاء .. وربمـــا كان الحق معـك !

« فكتب بسطام إلى عمر :

« قـــد انصفت ... وقد بعثتُ اليك رجلين يدارسانك ويناظرانك . » ؟

هكذا .. كأنه يخـاطب رجـلاً من الشارع .. ولا يخاطب الخليفة !

« فقدما على عمر .. بخُناصِرة فدخلا اليه

« فقال لهما : ما اخرجكما هذا المخرج وما الذي نقمتم ؟

« فقال عاصم (أحد الرجلين) : ما نقمنا سيرتك ، إنك لتتحرى العدل والاحسان .. »

شهادة حق .. من الثـوّار الخوارج !

« فأخبرنا عن قيامك بهذا الأمر .. أعن رضى من الناس ومشورة .. ام ابتززتم امرهم ؟ » !

خطيرة جداً .. صحيح يا عمر .. أنك تحكم بالعدل .. ولكن كيف جئت إلى الخلافة ، وصعدت إلى الكرسي ..

أعن رضى من الناس ومشورة ؟

هل رضيك الناس جميعاً .. واستشرتموهم في هذا ؟

ام ابتززتم امرهم ؟

أخطر واخطر .. يتهمه باللصوصية ، وأنه سرق هـــذا الكرسي .. كما سرقـــه بنو أمية .. وقذفه كل منهم إلى صاحبـه !

إن مندوب الثوار الخوارج عنيف اشد العنف ، يقذف بكلامه كأنه يقذف الحجارة في وجه الخليفة ..

ولو ان خليفة من بني أمية غيره ، لأمر بقتله فوراً ..

ويكفي كلمة :

« ام ابتززتم امرهم » ..

فإنه اتهام صريح بالسرقة واغتصاب الخلافة !

ولكن انظر إلى إجابة عمر الخـالدة ..

« فقال عمر :

« ما سألتهم الولاية عليهم

« ولا غلبتُهم عليها

« وعهد اليّ رجل كان قبلي

« فقمتُ .. ولم يُنكره عليّ احدٌ

« ولم يكرهه غيركم

« وأنتم ترون الرضا بكل من عدل وانصف .. مَن كان من الناس

« فاتركوني .. ذلك الرجل ! .

« فان خالفتُ الحق .. ورغبتُ عنه .. فلا طاعة لي عليكم » !

خلود سياسي ، وعظمة خُلقية عجيبة !

في هدوء تام .. لم يغضب .. ولم يهدد ، وإنما يناظر الرجل مناظرة الحق .. ويحكم على نفسه :

« فان خالفتُ الحق .. فلا طاعة لي عليكم » !

أين هذا الموقف .. من مواقف صعاليك الحُكام ، حين يتيهون كالطواويس ، ولا يسمحون لأحد أن يناقشهم في أمر أصدروه ؟

والجميل هنا .. ان عمر ، قائد ثورة .. ثورة عامة ، لتصحيح كل شيء ..

وبسطام هذا ، قائد ثورة كذلك ..

والمعلوم ان أي ثورة لا تطيق أن تقف في طريقها ثورة مضادة ..

ولكن عمر ، ليس كذلك .. إنه يقود ثورة ، لإحقاق الحق ..

ولو كان ذلك على نفسه .. ولذلك دعا قائد هذه الثورة ليناظره ، فربما كان الحق معه !

أما ان يبقى أوْ لا يبقى في القيادة ، فهذا أمر لا يبالي به ، فهو على استعداد لإلقاء هذه الخلافة بعيداً عنه في أي وقت !

« قالا : بيننا وبينك امر واحد

« قال : ما هو ؟

« قالا : رأيناك خالفت اعمال اهل بيتك وسميتها مظالم

« فان كنت على هدى وهم على الضلالة فالعنهم وابرأ منهم » !

منخنق خطير ، يزحزحون عمر إلى هاويته ..

إنك اعلنت ثورة ، ردّ المظالم .. وبدأت ببني أمية ، فمعنى هذا أنهم كانوا ظالمين ، فلماذا لا تلعنهم وتبرأ منهم : إحقاقاً للحق ، وانصافاً للشعب ؟

وهذا يدل على ان هؤلاء الخوارج ، اصحاب ثورة فكرية خطيرة ..

وها هنا أحب ان اقول للملوك : طأطئوا الرءوس .. وتعالوا .. تعلموا دهاء السياسية .. من عمر بن عبد

العزيز ..

« فقال عمر :
« قد علمت انكم لم تخرجوا طلباً الدنيا
« ولكنكم أردتم الآخرة
« فأخطأتم طريقها .. » !

الدرس الأول ، لساسة العالم ، كيفية الاستيلاء على قلوب الثائرين ثم التلطف بهم ، وترشيدهم شيئاً فشيئاً .

إن عمر ها هنا ، يعلم الأجيال كلها ..

إن المؤمنين ، قد يدفعهم الحماس إلى الثورة إرادة وجه الله .. ولكنهم يخطئون الطريق .. وتنشأ الفتن الرهيبة نتيجة لهذا الخطأ !

« إن الله عز وجل ، لم يبعث رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، لعاناً ..
« وقال إبراهيم : (فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم) .
« وقال الله عز وجل : (اولئك الذين هدى اللهُ فبهداهمُ اقتده) .
« وقد سميتُ اعمالهم ظلماً
« وكفى بذلك ذماً ونقصاً

« وليس لعنُ اهل الذنوب فريضة لا بد منها

« فان قلتم إنها فريضة فاخبرني متى لعنت فرعون ؟

« قال ما اذكر متى لعنتُه ؟

« قال : افيسعك أن لا تلعن فرعون وهو اخبث الخلق وشرهم ، ولا يسعني ان لا العن اهل بيتي وهم مصلون صائمون ؟

« قال : اما هم كفار بظلمهم ؟

« قال : لا .. لأن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، دعا الناس الى الايمان « فكان من أقر به وبشرائعه قبل منه ، فان احدث حدثاً اقيم عليه الحد .. » !

حوار رائع ..

الثائر يريد اعتبار الظالمين كفّاراً بظلمهم ..

وعمر ، يرفض هــذا ، لأنهم مصلون صائمون ، ومن أحدث حدثاً ارتكب جريمة .. اقيم عليه الحدّ .. اي عوقب بالعقوبة التي تراها الشريعة ، ولكن لا يعتبر كافراً !

إن عمر ، ها هنا ، مجتهد عظيم ..

يضع القواعـد .. ويستنبط الأحكام ، في براعـة وفَهم عميـق !

ليس درساً للخارجي الثائر .. وإنما هو درس ثمين ، للأجيال

كلهـــا !

« فقال الخارجي : إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، دعا الناس الى توحيد الله والاقرار بما نزل من عنده . »

يعني مندوب ثورة الخوارج ، ان الموضوع ليس موضوع توحيد ثم تفعل ما تشاء .. وإنما الموضوع ان تنفذ ما نزل من عنـــد الله من اوامر !

« قال عمر : فليس احد منهم يقول .. لا أعمل بسُنة رسول الله .. ولكن القوم أسرفوا على انفسهم .. على علم منهم أنه محرم عليهم .. ولكن غلب عليهم السفهاء . » !

إنهم لا يرفضون السُنـــة .. ولكن غلبتهم نفوسهم .. وسفاهتهم !

« قال عاصم : فابرأ مما خالف عملك .. وردّ أحكامهم .

« قـــال عمر : اخبراني عن ابي بكر وعمر .. اليسا على حق ؟

« قالا : بلى .

« قال : اتعلمان أنّ أبا بكر حين قاتل أهـل الرّدة سفـك دماءهم وسبى الذراري وأخذ الأموال ؟

« قالا : بلى .

« قـــال : اتعلمان أن عمر رد السبايا بعده إلى عشائرهم بفدية ؟

« قالا : نعم .

« قال : فهل برىء عمر من أبي بكر ؟

« قالا : لا .

« قال : افتبرأون انتم من واحد منهما ؟

« قالا : لا .

« قال : فاخبراني عن اهـــل النهروان وهم اسلافكم .. هل تعلمان انّ اهل الكوفة خرجوا فلم يسفكوا دماً .. ولم يـــأخذوا مالاً .. وأنّ من خرج اليهم من اهل البصرة قتلوا عبـــدالله بن خبّاب وجاريته وهي حامل ؟

« قالا : نعم .

« قال : فهل برىء مَنْ لم يقتل ممن قتل واستعرض ؟

« قالا : لا .

« قال : أفتبرأون انتم من احد من الطائفتين ؟

« قالا : لا .

« قال : أفيسعكم ان تتولوا ابا بكر وعمر واهل البصرة واهل الكوفة وقد علمكم اختلاف اعمالهم ، ولا يسعني إلا البراءة من أهل بيتي والدين واحد !

« فاتقوا الله !

« فإنكم ُجهال .. تقبلون من الناس ما ردّ عليهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وتردّون عليهم ما قبل

« ويامن عندكم من خاف عنده

« ويخاف عندكم من أمن عنده

« فانكم يخاف عندكم من يشهد ان لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله

« وكان منْ فعل ذلك عند رسول الله آمناً وحقن دمه وماله

« وانتم تقتلونه

« ويامن عندكم سائر اهل الاديان فتحرمون دماءهم وأموالهم » .

فقه رفيع .. جامع مانع .

ضربهم َضربة قاضية :

« فانكم ُجهّال » ..

ثم شرع يشرح القضيـــة لهم .. وانهم لا يفهمون كيف يتصرفـون ..

« قال اليشكري (احد الرجلين) : ارأيت رجـــلا ولي قوماً واموالهم .. فعدل فيها .. ثم صيرها بعده إلى رجل غير مأمون .. اتراه ادى الحق الذي يلزمه لله عز وجل .. او تراه قد سلم ؟

« قال : لا .

« قال : افتسلم هذا الأمر إلى يزيد من بعدك وانت تعرف انه لا يقوم فيه بالحق » ؟

منخنق آخر .. يقذف الرجل بعمر بن عبد العزيز اليه .

صحيح انك تقوم بالعدل يا عمر .. ولكن كيف تسلم هـذا الأمر إلى يزيد من بعدك وانت مسئول عن ذلك .

« قال : إنما ولاه غيري .. والمسلمون اولى بما يكون منهم فيـــه بعدي .

« قال اقترى ذلك من صنع من ولاه حقاً ؟

« فبكى عمر

« وقال : انظراني ثلاثاً . » !

عمر يبكي .. حين احس .. انه مسئول فعـلاً .. إن أقر بولاية العهد من بعده ليزيد ، حتى ولو كان سليمان بن عبد الملك هـو

الذي ولاه ..

ولكنه يمكنه ان يبطل هذا ، فلماذا يتردد ؟

انظراني ثلاثاً ..

اعطوني مهلة ثلاثة ايام !

الخليفة يطلب مهلة .. تأملي يا دنيا ..

« فخرجا من عنده

« ثم عادا اليه .. فقال عاصم : اشهد انك على حق

« فقال عمر للشكري : ما تقول انت ؟

« قال : ما احسن ما وصفت .. ولكني لا افتات على المسلمين بأمر .. اعرض عليهم ما قلت .. واعلم ما حجتهم ؟

« فأما عاصم فأقام عند عمر

« فأمر له عمر بالعطاء

« فتوفي بعد خمسة عشر يوماً .

« فكان عمر بن عبد العزيز يقول : اهلكني امر يزيد .. وخصمت فيه .. فاستغفر الله .

« فخاف بنو امية ان يخرج ما بأيديهم من الأموال .. وان يخلع يزيد من ولاية العهد ..

« فوضعوا على عمر من سقاه سماً

« فلم يلبث بعد ذلك الا ثلاثاً

« حتى مرض ومات !

« ومحمد بن جرير مقابل الخوارج لا يتعرض اليهم ولا يتعرضون اليــــه

« كل منهم ينتظر عود الرسل من عند عمر بن عبد العزيز.

« فتوفي والأمر على ذلك » !

هذه هي المناظرة الخالدة ..

التي دارت بين عمر ، قائد الثورة العامة ، ثورة «التجديد» ، كما كانوا يسمونهـا في عصره ..

وبين مندوبي بسطام قائد ثورة الخوارج ..

مناظرة جديرة بالتحليل والتفصيل ، وان يجلس منهـا العلماء مجلس التلاميذ ..

ليتعلموا من عالم العلماء عمر بن عبد العزيز ..

وان من اعظم مكارم عمر فيها ..

هو قوله

« اهلكني امر يزيد وُخصِمتُ فيه .. »

اي ُغلبتُ في المناظرة في امره ..

اي انــني مسئول :

لمـــاذا لا أُبطل ولاية عهـده .. وقد علمت انه سوف لا يعدل اذا تولى ؟

ولقد كلفه رأيه هذا حياته ..

فكانت المؤامرة .. ووضعوا له .. مَن سقاه سُمّاً !

هؤلاء جبابرة..

ولا أحب مثلهم!

ويل للجبابرة ..

من عمر بن عبد العزيز !

إنهم يواجهون عملاقاً رهيباً .. يطاردهم اينما كانوا .. ومهما كانوا !

قال ابن الأثير :

« ثم دخلت سنة مائة ..

« .. القبض على .. يزيد بن المهلّب ..

« في هذه السنة كتب عمر بن عبد العزيز الى عديّ بن أرطاة

« يأمره بانفاذ يزيد بن المهلب اليه موثقاً » !

أمر من امـــير المؤمنين .. يقبض فوراً على « يزيد بن المهلّب » .. ويحضر الينا . وفي يديه الأغلال !

« وكان عمر قد كتب اليه ان يستخلف على عمله ويُقبل اليه

« فاستخلف مخلداً ابنه

« وقدم من خراسان .. ونزل واسطاً .. ثم ركب السفن يريد البصرة

« فبعث عدي بن أرطاة .. موسى بن الوجيه الحميري .. فلحقه في نهر مَعقل عند الجسر

« فأوثقه .. وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز » !

وجاء الجبار .. » يزيد » .. والاغلال في يديه ..

جاء حاكم خراسان .. اي ملك من ملوك عصرنا هـذا .. وفي يديه القيد !

« فدعا به عمر

« وكان يبغضُ « يزيد » وأهل بيته

« ويقول : هؤلاء جبابرة .. ولا أحب مثلهم » !

هذا هو سبب بغضه الشديد لهـذا الوالي المسمى يزيد بن المهلّب .. يبغضه لأنه جبّار .. ظالم .. وموجة عمر تنفر وتشمئز اوتوماتيكياً من موجة يزيد ..

والعكس صحيح .. موجة يزيد تنفر من موجة عمر ..

« وكان يزيد يبغض عمر

« ويقول : إنّه مُراء » !

أرأيت .. طرفا نقيض .. النور يبغض الظلام .. والظـلام

يبغض النور .

وهذا العُتلّ المسمى يزيد .. رشق عمر في زهده ، وقال إنه مُراءِ !.

اي ان عمر يزهد هذا الزهد كله .. رياء الناس .. ليقولوا عنه زاهد !

تباغض الموجات المتضادة .. إنه ناموس لا يتبدل !

« فلما ولي عمرَ .. عرف يزيد أنه بعيدٌ من الرياء

« ولما دعا عمرُ يزيد سأله عن الأموال التي كتب بها الى سليمان

« فقال : كنتُ من سليمان بالمكان الذي قد رأيت

« وإنما كتبتُ إلى سليمان لأسمع الناس به

« وقد علمتُ ان سليمان لم يكن ليأخذني به

« فقال له : لا أجد في امرك إلا حبسك

« فاتق الله .. وأدّ ما قِبلك .. فانها حقوق المسلمين .. ولا يسعني تركُها . » !

هذا موقف خالد .. من عمر بن عبد العزيز ..

يسجن ملكاً من الملوك .. حتى يؤدي إلى الخزانة العامة أموال الشعب التي نهبها !

« وحبسه بحصن حلب

« وبعث الجرّاح بن عبد الله الحَكَميّ .. فسرّحه إلى خُراسان اميراً عليها » !

عَزْل .. ثم سجن .. كل ذلك ليؤدبه ويجعله عبرة لغيره من الولاة !

وليس هذا وحده .. وإنما يشهّر به امام الشعب .. فكيف كان ذلك ؟

« فلما ابى يزيد ان يؤدّي إلى عمر شيئاً

« البسه جبّةَ صوف

« وحمله على جمل

« وقال سيروا به إلى دهلك .

« فلما خرج ومرّوا به على الناس اخذ يقول : امــا لي عشيرة ؟

« إنما يذهب الى دهلك الفاسق واللصّ .

« فدخل سلامة بن نُعَيم الخولاني على عمر فقال : يا امير المؤمنين اردد يزيد إلى محبسه .. فاني اخاف إن امضيتهُ ان ينتزعه قومهُ ، فانهم قد غضبوا له .

« فردّه الى محبسه .. » !

إنه ينفي يزيد إلى منفى اللصوص ..

ويأمر ان يـذهب اليها في منظر اليم ، منظر اللصوص يرحلون إلى المنفى !

ثلاث عقوبات .. عزله من الإمارة ، القبض عليه باعتبـــاره مجرم .. ترحيله والقيد في يديه ، ثم سجنه . ثم نفيــه ..

عزل .. وسجن .. ونفي إلى منفى اللصوص !

هذا فعل واحد من افاعيل عمر .. بطغـاة الولاة !

انه جبّار على الجبـابرة ..

لا يبالي بهم .. ولا يخشى لهم بأساً ..

هؤلاء جبابرة .. ولا احب مثلهم ؟

ان الله بعث محمدا داعياً ..

ولم يبعثه خائناً ..

قال ابن الأثير :

« كتب عمر الى الجراح :

« انظر مَن صلى قبلك إلى القبلة

« فضع عنه الجزية . » !

عمر .. يُوجه حاكم خراسان الجديد .. بعد عزل يزيد ..

« فسارع الناسُ الى الاسلام

« فقيل للجراح ان الناس قد سارعوا الى الاسلام نفوراً من الجزية ، فامتحنهم بالختان .

« فكتب الجراح بذلك الى عمر

« فكتب عمر اليه : ان الله بعث محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، داعياً ولم يبعثه خاتناً » !

توجيه رفيع .. اقبلوا من الناس ظاهر اسلامهم وضعوا عنهم الجزية .

اما ان تمتحنوهم بالختان ، فمن لم يختتن انكشف أمره ، فلا تفعلوا ..

ان الله بعث محمداً .. صلى الله عليه وسلم .. داعياً .. إلى الله ..

ولم يبعثه خاتناً .. المهم هو توجه الناس الى ربهم ، اما هذه التفاهات المظهرية .. فإنهم اذا اسلموا اخذوا بها من تلقاء انفسهم !

هذا توجيه رفيع .. وتوجيه آخر أعلى من اخيه ..

« وكان الجراح كتب الى عمر :

« اني قدمتُ خراسان فوجدتْ قوماً قد ابطرتهم الفتنة

« فأحب الأمور اليهم ان يعودوا ليمنعوا حق الله عليهم

« فليس يكفهم الا السيف والسوط

« فكرهتُ الاقدام على ذلك الا باذنك . » !

امير خراسان الجديد ، يعرض طبيعة الشعب الخراساني .. وانهم طغاة واهل فتنة وعناد ، لا يكفهم عن اجرامهم الا السيف والسوط .. الا القتل والجلْد .. الا انه يخاف ان يفعل ذلك كما كان يفعله من قباه يزيد بن المهلب ، حتى يستأذن عمر !

ما معنى هذا ؟ معناه ان الولاة .. او الملوك .. الذين تحت يده لا يجرءون على الاقدام على البطش الا باذن عمر ..

فماذا كان جواب امير المؤمنين ؟

« فكتب اليه عمر :

« يا ابن ام الجراح

« انت احرص على الفتنة منهم

« لا تضربن مؤمناً .. ولا معاهداً .. سوطاً .. الا في الحق ..

« واحذر القصاص

« فانك صائر الى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور

« وتقرأ كتاباً : (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها) . »

هذه أوامر عمر .. الى ملك خراسان ..

وكفّ عمر بطش الجرّاح .. عن اهل خراسان بأوامره الخالدة ..

لا تضربن مؤمناً .. ولا معاهدا ..

ممنوع منعاً باتاً .. جلد مسلم .. او غير مسلم ..

سوطاً ؟

جلدة واحدة ممنوعة ..

الا في الحق .. الا اذا نصت الشريعة على الجلد !

واحذر القصاص ؟

احذر يا جراح .. ان يقتص الله منك .. اذا خالفت عن ذلك !

ملوك الهند

يتدفقون الى الاسلام..

ان اعظم دعاية

لأي فكرة عالية .. ان يكون اصحابها .. مثالاً لما فيها من مزايا ..

وقد كان عمر بن عبد العزيز .. الخليفة الراشد .. حقاً وصدقاً ..

تناقل العالم كله . اقاصيص عدله ، وزهده .

فازداد المؤمنون إيماناً ..

وبدأ الذين لم يدخلوا في الاسلام .. يفكرون في عظمة الاسلام ..

إذا كان الاسلام يخرج رجالاً ، مثل عمر بن عبد العزيز .. فلا بد أن هذا الدين حقّ ..

وإذا كان هذا الدين .. يخرج أمة كأمة عمر بن عبد العزيز .. فلا بد انه دين عظيم لأنه اخرج امة عظيمة !

وبينما الذين لم يدخلوا في الاسلام يفكرون في الدخول فيه .. لينعموا بنعيم عدل عمر بن عبد العزيز ..

كان عمر ، يفكر في دعوتهم إلى الاسلام !

قال ابن الاثير .. في احداث سنة مائة :

« وفيها كتب عمر بن عبد العزيز
« الى ملوك السند
« يدعوهم الى الاسلام
« على ان يملكهم بلادهم
« ولهم ما للمسلمين
« وعليهم ما على المسلمين .. » !

رجل دعوة إلى الله .. من الطراز الأعظم !

فهو نموذج صحيح للاسلام ..

مؤسس على دعامتيه .. كتاب الله .. وسُنَّة رسول الله !

يُطبق الكتاب والسُنة .. تطبيقاً صحيحاً .. لا التواء فيه ..

على نفسه أولاً .. فأخرج للعالم ، نموذج شخصية الحاكم المسلم وكيف يكون ؟

وعلى الدولة .. فأخرج للعالم نموذج الدولة الاسلامية .. وكيف تكون ؟

وعلى الشعب .. فاخرج للدنيا ، نموذج الأمة الاسلامية ، وكيف تسعد بهذا الاسلام ؟

فكان عمر بن عبد العزيز .. المثال الأعظم .. للداعية إلى الله ..

شخصيته ، بشمائلها الرفيعة ..

دولته ، بعدلها الشامل ..

شعبه ، بنعيمه وسعادته بالإسلام ..

إذاً لا تعجب إذا رأيت ملوك الهند والسند ، يتدفقون عن طواعية إلى الإسلام .

فما ان كتب اليهم .. حتى جاءوا اليه يهرعون !

« وقد كانت سيرته بلغتهم » !

هذا هو المغناطيس .. الذي استقطب هؤلاء الملوك ، وجذبهم إلى الاسلام .

سيرته .. بلغتهم !

العالم كله .. يتحدث عن عدل عمر بن عبد العزيز !

فما لهم لا يستجيبون ؟

أما المُلْك .. فسيبقى بأيديهم .. إنهم ملوك كما كانوا ..

وأما الحقوق والواجبات ..

لهم ما للمسلمين .. وعليهم ما على المسلمين !

مساواة تامة .. بين الجميع !

فماذا حدث ؟

« فأسلم جيشبة بن ذاهر

« والملوك تسموا له بأسماء العرب

« وكان عمر قد استعمل على ذلك الثغر .. عمرو بن مسلم .. اخا قتيبة بن مسلم

« فغزا بعد الهند

« فظفر

« وبقي ملوك السند مسلمين على بلادهم ايام عمر .. ويزيد بن عبد الملك ..

« فلما كان ايام هشام ارتدوا عن الاسلام .. » !

لأن عدل عمر الذي جذبهم ، قد ذهب ، واصبحوا في مظـالم وظلمات !

لقد كان عمر . داعية اكبر للإسلام ..

يدعو بالقول .. كما رأينـــا في كتبه التي كتبها إلى ملوك السند ..

ويدعو بالعمل ، فينزع الطغاة من الولايات ، ويعين بدلاً منهم ولاة يخافون الله ..

« وفيها استعمل عمر بن عبد العزيز عمر بن هبيرة الفزاري على الجزيرة .. عاملا عليها

« وفيها استعمل عمر بن عبد العزيز .. اسماعيل بن عبدالله .. على افريقية

« واستعمل السمح بن مالك الخولاني على الاندلس

« وكان قد رأى منه امانة وديانة

« عند الوليد بن عبد الملك فاستعمله » !

أمانة .. وديانة ؟

هذا هو اساس اختيار الولاة .. او الحكام ، او الملوك ، عند عمر بن عبد العزيز !

فهو داعيــة إلى الله ..

بالقول .. وبالعمل ..

بالكلمة .. وبالتطبيق !

فجعل الاسلام .. يتمدد في ايامه .. كما يتشعشع شعـاع الشمس إذا اشرقت على الأرض بنور ربها !

عظة عبد الملك

ابن عمر بن عبد العزيز ..

الولد .. سر .. أبيه !

وكان عبد الملك .. سرّ ابيه .. عمر بن عبد العزيز !

رَوَوا عنه العجائب ..

وكان له مع أبيه .. مواقف .. لا تصدر إلا عن الصدّيقين !

قال ابن كثير :

« وكان له من الأولاد جماعة

« وكان ابنه .. عبد الملك .. أجلهم

« فمات في حياته

« زمن خلافته

« حتى يقال .. إنه كان خيراً من ابيه

« فلما مات .. لم يظهر عليه حزن

« وقال : أمر .. رضيه الله .. فلا اكرهه .. » ؟!

إن الفتى عبد الملك .. هذا جدير .. ان يخصص له كتاب وحده .

ولكن هذا الكتاب عن أبيه ، وهذا يحملنا أن نشير اليـــه إشارات عابرات ، رغم ضخامة مواقفه ، ونفاسة معدنه !

قـــالوا اولاد عمر بن عبد العزيز .. هم : عبد الملك ، وعبد العزيز ، وعبـــدالله ، وإبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، وبكر ، وموسى ، والوليد ، وعاصم ، ويزيد ، وزيان ..

وكان له من البنـــات .. أمينـــة ، وأم عـمار ، وأم عبدالله .

الا أن التاريخ لم يخلد الا عبد الملك ..

فلماذا ؟

لعظمة الفتى ، وعظمة مواقفه من أبيه !

موقف .. « من لك أن تعيش الى الظهر » ؟

قال ابن كثير :

« ثم ذهب يتبوأ مقيلا

« فأتاه ابنه عبـد الملك

« فقال : يا امير المؤمنين ، ماذا تريد ان تصنع ؟

« قال : يا ُبني ، اقيل

قال : تقيل .. ولا تردَ المظالم الى أهلها ؟

« فقال : اني سهرت البارحة في أمر سليمان .. فاذا صليت الظهر ، رددت المظالم

« فقال له ابنه :

ومن لك .. ان تعيش إلى الظهر ؟!

« قال : ادنُ مني ، اي ْبني ..

« فدنا

« فقبّل بين عينيه

« وقال : الحمد لله .. الذي اخرج من ُصلبي ، مَن يعينني على ديني

« ثم قام .. وخرج .. وترك القائلة

« وأمر مناديه ، فنادى :

« ألا من كانت له مظلمة فليرفعها .. »

ما هذا .. اغلام هذا ام صديق ؟

فتى .. في الخامسة عشرة .. او اقل .. يصدر عنه مثل هـــذا ؟

ويأخذ عمر بتوجيه ابنه .. ويترك القائلة .. وينادي .. الا من كانت له مظلمة فليرفعها !

عبد الملك هنا .. فاق أباه ..

أبوه يريد أن يستريح قليلا ..

وهو يتفوق بقوله الخالد . من لك ان تعيش الى الظهر ؟!

ومو قف اخلد ، واكبر .. من الفتى الخالد :

موقف .. « بئس وزير الخليفة أنت » ؟

قال ابن الأثير :

« قال عمر بن عبد العزيز لمولاه مُزاحم: انّ اهلي اقطعوني ما لم يكن الي أن آخذه ، ولا لهم ان يعطونيه ، واني قد هممتُ برده على اربابه .

« قال : فكيف تصنع بولدك ؟

« فجرتْ دموعه وقـال : اكلهم الى الله .

« فخرج مُزاحم حتى دخل على .. عبــد الملك .. بن عمر

فقـال له :

« ان امير المؤمنين قد عزم على كذا وكذا ، وهذا أمر يضركم وقد نهيتُهُ عنه .

« فقال عبد الملك بئس وزير الخليفة انت !

« ثم قام فدخل على أبيه وقال له : انّ مزاحماً أخبرني بكذا فما رأيك ؟

« قال : اني اريد ان اقوم به العشية .

« قال : عجله .. فما يؤمنك ان يحدث لك حدث .. او يحدث بقلبك حدث ؟!

« فرفع عمر يديه وقال : الحمد لله الذي جعل من ذريتي مَن يعينني على دينــي

« ثم قام به من ساعته في الناس وردَّها . » ؟

وفاق الفتى عبد الملك .. اباه .. مرة اخرى !

عجله ؟!

لا تنتظر حتى المساء .. لماذا !

ان يحدث لك حدث يمنعك من التنفيذ .. ربما تموت ..

او يحدث بقلبك حدَث ؟

فتى .. في هذه السن .. يقول مثل هذا ؟

ان صفات عمر بن الخطاب العليا .. ظهرت في عمر بن عبد العزيز ..

ثم ظهرت في عبد الملك بن عمر !

وكما كان في الموقف الأول سبباً في تعجيل ردّ المظالم الى اهلها ..

كان هنا سبباً في تعجيل ردّ اموال عمر بن عبد العزيز الى اهلها !

غلام عظيم ..

ابن رجل عظيم !

وثالثة أخرى ..

أعظم واعظم ؟

قال ابن الأثير :

« ولما مرض أبنه عبد الملك .. مرض موته

« وكان من اشد اعوانه على العدل

« دخل عليه عمر فقال له :

« يا ُبني .. كيف تجدك ؟

« قال : اجدني في الحق »

حلوة .. حلاوة عليا !

أجدني .. في الحق .

افهم منها ما شئت، فإنها فوق مستوانا .

« قال : يا ُبني .. ان تكون في ميزاني .. احب الي .. من ان اكون في ميزانك .. » !

هل فهمت شيئاً ؟

انها لغة الاشارة .. صِدّيق .. يتكلم مع صدّيق .. فليبتعد الصعاليك .

« فقال ابنه : يا أبتاه .. لأن يكون ما تحب .. احب الي .. من ان يكون ما احب .. » !

سألتك بالله .. هل فهمتَ ؟

هؤلاء عمالقة المعرفة .. فانى ُيفهمون ؟

« فمات في مرضه

« وله سبعة عشرة سنة » !

ورابعة أخرى .. أبهج وأعلى .

موقف .. « ما تقولُ لربك إذا أتيته » ؟

« وقال عبد الملك لأبيه عمر :

« يا امير المؤمنين .. ما تقول لربك .. إذا اتيته .. وقد تركت حقاً لم تُحيه .. وباطلا لم تمته ؟!

« فقال : يا بني .. إن أباك واجدادك قـــد دعوا الناس عن الحق

«فانتهت الامور الي

«وقد اقبل شرها

« وأدبر خيرها

« ولكن .. اليس حسناً وجميلاً .. الا تطلع الشمس علي في يوم .. إلا أحييتُ فيه حقاً .. وامت فيه باطلا

« حتى يأتيني الموت

« فأنا على ذلك ؟

« وقال له أيضاً :

« يا امير المؤمنين .. انفذ لأمر الله .. وإن جـــاشت بي وبك القدور !

« فقال : يا بني .. إن بادهتُ الناسَ بما تقول احوجوني الى السيف

« ولا خير ، في خير .. لا يحيا الا بالسيف

« فكرر ذلك » ؟!

ذلك .. عبد الملك .. ابن عمر !

ذلك هو الغلام الخالد ..

ولد خـالد ..

من والد خالد ..

انه يريد من أبيه .. أن يقيم الحق كله ، فوراً ..

اندفاع الشباب الطاهر ، وهو الاندفاع المقدس ..

وأبوه .. في حكمة التجربة ، يبين له ، انه إذا فعل ذلك ، لا يستطيع إلا بالقوة ، إلا بالسيف .. وليس هذا من الحكمة ، فإن ما اقيم بالقوة .. يسقط إذا أسقطت هذه القوة ..

« لا خير في خير .. لا يحيا الا بالسيف » !

وإنما الحكمة ان يكون ذلك خطوة خطوة ، فإن المجتمع بعُـد بعداً شديداً عن الحقّ ، فاذا اضطررته إلى الحق مرّة واحدة .. التوت عليك الأمور ، ولكن شيئاً فشيئاً ..

ثم ينطق الوالد الخالد ، نُطقه الحكم الخالد :

« اليس حسناً وجميلا .. الا تطلع الشمس علي في يوم .. الا احييت فيه حقاً . وامت فيه باطلا » !

نعم .. يا سيدي عمر ..

إنه ، حسنٌ وجميل ..

ما تشرق شمس يوم .. إلا أحييت حقـــاً .. وأمتّ باطــلاً !

وهكذا ، ومع مرور الأيام ، يتم إحياء الحقوق كلهـا ، والغاء الأباطيل كلها !

وقد كان ، ودار الزمان ..

سنتان .. اثنتان .. حقق عمر فيها ، ما كان يحب ابنـــه الخالد ، أن يحققه فوراً !

والد عظيم ..

ووَلد عظيم ..

وصدق الله العظيم . حين اقسم :

« ووالد وما ولد ! »

ليل ..

عمر بن عبد العزيز ..

أما النهار .. فكما رأينا ..

رد للمظالم . أو إماتة باطل ، أو إحياء حقّ ..

فكيف كان العملاق في الليل ؟

أما النساء .. فقــد هجرهن .. فلا فراغ له منذ ولى الخلافة ..

فماذا كان يصنع في الليل ؟

بكاء .. ودمـوع . وانتفــاض كما ينتفض العصفور في المـاء !

لماذا هذا ايها الراشد العظيم ؟

لأن هذا هو نهج الراشدين ..

قال ابن كثير :

« عن سعيد بن المسيب أنه قال :

« الخلفاء أبو بكر والعُمران

« فقيل له : ابو بكر وعمر قد عرفناهما .. فمن عمر الآخر ؟

« قال : يوشك إن عشت ان تعرفه

« — يريد عمر بن عبد العزيز — . » !

هل كان في بيته ثريات تتدلى ؟

« قالوا : وكان سراج بيته .. على ثلاث قصبات في رأسهن طين . » !

هذه هي وسيلة الاضاءة في بيت الرجل .. الذي يحكم العالم ؟

فهل وقف عند هذا المستوى من الزهد ؟ كلا إنه ارتفع إلى ما هو أعلى ..

« قالوا : وكان له سراج يكتب عليه حوائجه

« وسراج لبيت المال يكتب عليه مصالح المسلمين

« لا يكتب على ضوئه لنفسه حرفاً » ؟

سراج ، رسمي .. يكتب على ضوئه المكاتبات الرسمية .

وسراج .. خاص على حسابه الخاص ، يكتب عليه حوائجه

الخـاصة ..

أمـــا السراج الرسمي .. فلا يكتب على ضوئـه لنفسه حرفـاً !

تنزه عجيب !

كيف يكتب حرفاً على ضوء مصباح الدولة ؟

وهذا المقـــام وحده .. يرفـع عمر بن عبد العزيز إلى أعلى عليـين !

بل ذهب يرقى إلى ما هو أعلى .

« قال رجاء بن حياة :

« سمرت عند عمر بن عبد العزيز ذات ليلة

« فغشي السراج

« فقلت : يا أمير المؤمنين .. ألا أنبه هذا الغلام يصلحه ؟

« فقال : لا .. دعه ينام .. لا احب ان اجمع عليه عملين

« فقلت . افلا اقوم اصلحه ؟

« قال . لا .. ليس من المروءة استخدام الضيف !

« ثم قام بنفسه .. فأصلحه

« وصب فيه زيتاً

« وقال : قمت وانا عمر بن عبد العزيز .. وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز . » !

فصعد عمر بفعلته هذه .. إلى مـــا هو أعلى .. من عليـين ! .

صاحب هذه المقامات العُلى .. لا يرى نفسه شيئاً !

« وقال له رجل : كيف أصبحت يا امير المؤمنين ؟

« فقال اصبحت بطيئاً .. بطيناً .. متلوثاً بالخطـايا .. اتمـنى على الله عز وجل » ؟!

هذه هي اضاءة عمر بن عبد العزيز ، إذا دخـــل عليه الليـــل !

فهل كان ينام نوماً هادئاً عميقاً ، بعد ان قطع نهاره في اقـــامة العدل ، وحلّ مشاكل الشعوب ؟

« وقال مرة لرجل من جلسائه : لقد ارقت الليلة مفكراً

« قال : وفيم يا امير المؤمنين ؟

« قال : في القبر وساكنه

« إنك لو رأيت الميت بعد ثلاث في قبره وما صار اليه

« لاستوحشت من قربه

« بعد طول الانس منك بناحيته

« ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام

« وتخترق فيه الديدان

« ويجري فيه الصديد

« مع تغير الريح

« وبلى الأكفان

« بعد حسن الهيئة .. وطيب الريح .. ونقاء الثوب

« .. ثم شهق شهقة

« وخرّ مغشياً عليه .. » ؟!

هذا هو نوم ، عمر .. الذي يتربع على عرش الدنيا ..

نم سيدي .. نوماً هادئاً ، نم .. ولا تخف فانك عدلت ما استطعت إلى العدل سبيلاً ..

هذا منطقنا نحن اهل الدنيا ..

ولكن عمر ، وراء هذا المنطق .

إنه ينظر بالعين الكلية ..

على ان الدنيا والآخرة ، موضوع واحد ..

فماذا يُفيد إذا ارتفع في الدنيا ، وانخفض في الآخرة ؟

وما جدوى زينة الدنيا ومتعتها ، إذا كان هـــذا مصيره في ظلمات القبور ؟

ماذا أفيد إذا متعتني ساعات ، ثم أنتنتني في قبري مليون

سنة ؟

من هنا كان ارقه ، وفكره طيلة ليله ، في هـــذا المصير الرهيب !

ورووا لهذا المشهد الرهيب تتمة فقالوا :

« فقالت فاطمة : ويحك يا مُزاحم .. أخرج هذا الرجـل عنا .. فقد نغص علينا امير المؤمنين الحياة منذ ولي .. فليتـــه لم يـل

« فخرج الرجل ، وجاءت فاطمة ..

« فجعلت تصب على وجهه الماء وتبكي

« حتى أفاق من غشيته

« فرآها تبكي

« فقال : يا فاطمة .. ما يبكيك ؟

« قالت : يا أمير المؤمنين .. رأيت مصرعك بين أيدينــــا ، فذكرت مصرعك بين يدي الله للموت ، وتخليك من الدنيــــا ، وفراقك لها ، فذاك الذي ابكاني

« قال : حسبك يا فاطمة .. فقد أبلغت

« ثم مال ليسقط

« فضمته الى صدرها

« وقالت : بابي انت وأمي يا امـير المؤمنين ، ما نستطيـع أن نكلمك بكل ما نجد لك في قلوبنا

« فلم يزل على حاله تلك

« حتى حضرت الصلاة

« فصبت على وجهه ماء

« ثم نادته : الصلاة يا امير المؤمنين

« وافاق فزعاً . » ؟

هذه ليلة ، من ليالي ، عمر بن عبد العزيز !

ثم شهق شهقة !

وخرّ مغشياً عليه !

ثم انتبه قليلاً !

ثم مال ليسقط !

ثم صبّت على وجهه ماء !

ثم نادته : الصلاة يا امير المؤمنين ..

فافاق فزعاً .

ما هذا ؟ كل لحظة ، من ذلك المشهد الخالد ، مقـــام ، من مقامات عمر بن عبد العزيز .

وهذه المقامات .. اذواق ، لا تـذاق ، الا ممن كانوا في مثـل مقاماته ..

ونحن في المقامات الدون .. فلا سبيل لنا الى ذوقها .

وانما ننظر ونتعجب .

« قال مقاتل بن حيان :

« صليت وراء عمر بن عبد العزيز

« فقرأ : (وقِفوهم إنهم مسئولون)

« فجعل يكررها

« وما يستطيع ان يتجاوزها » !

أي من البكاء .. البكاء يمنعـــه ان ينتقل الى الآية التي بعدها ..

انه يفكر حين يُسأل ؟

ثم ماذا من عجائب .. ليل .. عمر بن عبد العزيز ؟

« وقالت إمرأته فاطمة :

« ما رأيت احداً .. اكثر صلاة وصياماً منه

« ولا احداً اشد فرقا من ربه منه

« كان يصلي العشاء

« ثم يجلس يبكي

« حتى تغلبه عيناه

« ثم ينتبه

« فلا يزال يبكي .. حتى تغلبه عيناه !

« قالت : ولقد كان يكون معي في الفراش

« فيذكر الشيء من امر الآخرة

« فينتفض كما ينتفض العصفور في الماء

« ويجلس يبكي

« فاطرح عليه اللحاف رحمة له

« وأنا اقول : يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين

« فوالله ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها » ؟!

ينتفض .. كما ينتفض العصفور في الماء ؟

هذا ليل .. عمر بن عبـد العزيز ..

هذه سهرات .. حاكم الدنيا ..

فاين هذا ، من ليالي الملوك .. وما يجري فيها .

« **قال علي بن زيد :**

« **ما رأيت رجلين كأن النار لم تخلق إلا لهما**

« **مثل الحسن وعمر بن عبد العزيز »** !

بل وما هو وراء الخيال .،

« **قال بعضهم :**

« **رايته بكى**

« **حتى بكى دما »** !

فماذا كان يفعل .. اذا أوى الى فراشه .

« **قالوا : وكان إذا اوى إلى فراشه**

« **قرأ : (إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة ايام) الآية**

« **ويقرأ : (افامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون)**

« **ونحو هذه الأيات . »** !

انه يفزع .. ان يفاجأ في نومتـــه هذه بالموت .. « وهم نائمون » ..

ثم ماذا كان سمر ، حاكم الدنيا ، كل ليلة .. ما هي الحفلات التي يقيمها في قصره ..

« وكان يجمع كل ليلة
« اليه اصحابه من الفقهاء
« فلا يذكرون إلا الموت والآخرة
» ثم يبكون
« حتى كأن بينهم جنازة » ؟!

هذا برنامج الخليفة اليومي .. كل ليلة ..

« وذكروا انه امر جارية .. تروحه حتى ينام .. فروحته
« فنامت هي
« فأخذ المروحة من يدها
« وجعل يروحها
« ويقول : اصابك من الحر ما اصابني . » ؟!

أخلاق رفيعة .. ومستوى تحار فيه العقول ..

« ويقال إنه كان يلبس تحت ثيابه .. مسحاً غليظاً .. من شعر

« ويضع في رقبته ُغلاً

« إذا قام .. يصلي من الليل

« ثم اذا اصبح .. وضعه في مكانٍ

« وختم عليه

« ثلا يشعر به احد !

« كانوا يظنونه .. مالاً او جوهراً .. من حرصه عليه

« فلما مات .. فتحوا ذلك المكان

« فاذا فيه .. ُغلّ ... ومسح . »

وَضع في رقبته ُغلاً ؟

لماذا .. كان اذا فتر في العبادة .. او ذكر بعض ذنوبه .. وضعها في رقبته .. وربما كان يضعها اذا نعس لئلا ينام .

هذا شيء قليل ، عن ليل .. عمر بن عبدالعزيز ..

فهل كان ليلاً .. ام بكاء .. ام صلاة .. أم فِكراً .. ام أرَقا .. أم انتفاضاً .. ام اغماء .. ام شهقة .. ام ماذا ؟

لا يعلم هؤلاء الا الله !

« وكنا بهِ عالمينَ » !

عجوز سوداء من مصر..

تستغيث بعمر ؟

عمالقة العباقرة

تتلألأ عظمتهم .. في صغائر المكارم .. اشد من ظهورها في كبائر الأمور ..

قالوا :

« إمرأة من اهل مصر .. تسمى « فرتولة »

« مسكينة فقيرة سوداء

« وكان لها بيت صغير متواضع تهدم بعض جوانبه

« وكانت لها دجاجات تربيها لتستعين بها على حياتها

« ولكن اللصوص كانوا يعتدون عليها

« ويسرقون منها دجاجها بسبب تهدم جدران بيتها

« فكتبت خطاباً إلى عمر .. تشرح فيه قصتها .. وترجوه أن يحصن لها بيتها .. لأنها لا تستطيع ذلك .. وأن يحميها من اللصوص الذين يفجعونها في دجاجها !

« وبعثت بهذا الخطاب إلى عمر .. مع بريد مصر .. الذاهب الى

الخليفة في دمشق بالشام .. » !

إن فرتونة تستغيث بعمر بن عبد العزيز ..

وتعلم علم اليقين انها تستغيث بالقطب الغوث !

« فكتب عمر

« إلى أيوب بن شرحبيل .. واليه على مصر ..

« كتاباً عمرياً خليفياً يقول فيه :

« من عبدالله .. عمر .. امير المؤمنين

« إلى أيوب بن شرحبيل ..

« أمـــا بعد .. فان فرتونة .. مولاة ذي اصبح .. كتبت إليّ .. تذكر قصر حائطها .. وأنه يسرق منه دجاجها .. وتسأل تحصينه لها ..

« فاذا جاءك كتابي هذا ..

« فاركب انت بنفسك اليه .. حتى تحصنه لها » !

حاكم العالم ، الذي ليس عنده دقيقة واحدة من فراغ ، يكتب بنفسه .. إلى واليه ، ملك مصر .. ويأمره أن يذهب بنفسه .. ليبني ما تهدم من بيت فرتونة !

حادث فذّ .. فيه دلالات كثيرة جداً ، من دلائل عظمة عمر !

« فلما جاء الكتاب إلى أيوب ..

« ركب بنفسه .. حتى بلغ الجيزة ..

« وهو يسأل عن « فرتونة » ، حتى وجدها ..

« وإذا هي سوداء مسكينة ..

« فاخبرها بكتاب امير المؤمنين ..

« وحصن لها بيتها .. » !

كيف كان وقع هذا الفعل الجميل ، عند فرتونة السوداء التي لا يأبه بها أحد ؟

ثم ما منبع هذا التصرف من عمر !

منبعه « **إلا ابتغاء وجه ربه الاعلى** » !

إن هؤلاء يتحركون ويسكنون .. لله ..

فبقيت اعمالهم ، على مدى التاريخ .. يفوح عطرها ابداً !

فاطمة بنت عبد الملك ..

تدبر مؤامرة « حب »

حول عمر بن عبد العزيز ..

قال ابن الأثير :

« ولما ولي الخلافة

« قال لامرأته وجواريه .. إنه قد شغل بما في عنقه عن النساء ..

« وخيرهن .. بين ان يقمن عنده .. أو يفارقنه

« فبكين .. واخترن المقام معه .. » !

هذا هو الموقف باختصار ..

رجل ينزل عن جميع حقوقه الجنسية ، وهو في اوج الشباب والسلطة .. حيث وليَ الخلافة في نحو السابعة والثلاثين .

عدد من الزوجات الجميلات وعلى رأسهن فاطمة بنت عبد الملك ..

وعدد من الجواري الجميلات .. كل اولئك ينزل عن حقه في الاستمتاع بهنّ !

ثم ما هو اعجب ، فما هو هذا الأعجب ؟

قال ابن كثير :

« وقالت زوجته : ما جامع .. ولا احتلم وهو خليفة . » ؟

وهذا هو الأمر العجيب !

لا اتيان للنساء .. ولا حتى رغبة باطنة تدفعه إلى الاحتـلام وهو نائم !

اي أنه .. استأصل من إحساسه مجرد التفكير في الجنس !

وهو في اوج الشباب .

قوة إرادة خارقة ..

مُلك .. سُلطة .. شباب .. نساء جميـلات ينتظرن إشارة منــــه ..

ولكن لا التفات منه اليهن !

فدبرت فـــاطمة بنت عبد الملك .. مؤامرة « حُبّ » .. وأحكمت تدبيرها .. وهي على يقين تام أنها لن تفشل هـــذه المرة !

قال ابن كثير

« وذكر ابن عساكر في تاريخه

« أن عمر بن عبد العزيز كان يعجبه جارية من جواري .. زوجته فاطمة بنت عبد الملك

« فكان يسالها إياها .. إما بيعاً وإما هبة

« فكانت تأبى عليه ذلك » !

كان ذلك قبل الخلافة ، وطبيعي ان ترفض فاطمة ، تمكينه من تلك الجارية الحسناء اللعوب .. فإنها قد تستولي على قلبه .. فتصبح منافساً خطيراً لها .

فلما وليَ الخلافة

« البستها .. وطيبتها .. واهدتها اليه .. ووهبتها له » !

هذه فرصة ، يحقق فيها عمر .. ما كان يشتهي ، وزوجته هي التي قدمت له الجارية بنفسها ..

فماذا كان من العملاق ؟

« فلما أخلتها به ..

« أعرض عنها ..

« فتعرضت له ..

« فصدف عنها .. » !

حاولت الحسناء إغراءه .. بكل ما تملك المرأة من اساليب الإغراء ..

ولكن لا فائدة .

فانفجرت الحسناء ، ثائرة لكرامتها التي اهدرت :

« فقالت له

« يا سيدي .. فأين ما كان يظهر لي من محبتك إياي ؟! » ..

أين الحبّ .. الذي كان مشتعلاً يا سيدي ؟

« فقال :

« والله .. إن محبتك لباقية كما هي ..

« ولكن لا حاجة لي في النساء ..

« فقد جاءني امر شغلني عنك .. وعن غيرك . ! »

حُبّكِ .. كما هو ..

ولكن لا حاجة لي في النساء !

ونزل عمر بن عبد العزيز عن حُبّه .. وآثر عليه مصالح الشعوب .

فقد جاءني امر .. شغلني عنك .. وعن غيرك !

ولو ان صعلوكاً من صعاليك الملوك ، وقف مثل هذا الموقف لسال لعابه .. ولاحتواها بين ذراعيه لفوره ..

فإن قيل له في ذلك .. رفع عقيرته : هذا حقي ، هذا شيء

احله الله لي !

ولكن عمر .. فوق هذه المرتبة .

إنه يريد دائماً .. ما هو أعلى !

فكم ربحت الشعوب .. حين فعل عمر ما فعل ؟

ربحت كثيراً .. نعمت بالعدل .. وذاقت نعمة الامان ..

وتلك هي العظمة .. من هؤلاء العظماء !

فهل انتهى المشهد ، عند إعراضه عن الحسناء .. كلا فإليك ما هو أعجب !

« ثم سالها عن اصلها .. ومن أين جلبوها ؟

« فقالت : يا امير المؤمنين ..

« ان أبي اصاب جناية ببلاد المغرب

« فصادره موسى بن نصير

« فاخذت في الجناية

« وبعث بي الى الوليد

« فوهبني الوليد .. الى اخته فاطمة .. زوجتك

« فأهدتني اليك .. » !

إذاً هي فتاة من حسناوات الشمال الافريقي .. من أصل كريم ..

بعثوها إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك ..

فوهبها إلى اخته ، فاطمة بنت عبد الملك .. زوجـة عمر ابن عبد العزيز .

فتاة تضارع فاطمة في الجمال وزيادة ..

ومن هنا كانت تمانع دائماً ، أن تمكن لعمر منها ..

ولكن فاطمة تنازلت عن كبريائها .. وزجت بهـا إلى عمر ، لعلها تفلح في استمالته إلى النساء ..

« فقال عمر :

« انا لله وانا اليه راجعون ..

« كدنا والله نفتضح ونهلك ..

« ثم امر بردها .. مكرمة .. الى بلادها واهلها .. » !

وظفرت الحسناء بحريتها .. وعـادت مكرمة الى بلادها بالمغرب .. وكانت مفاجأة لأهلها جميعاً .

وفي رواية :

« قالت : كنت جارية من البربر ..

« حتى أتى حسان ، فهرب من موسى بن نصير .. عـامل عبد الملك على افريقية ..

« فأخذني موسى بن نصير ، فبعثني الى عبد الملك .

« فوهبني عبد الملك لفاطمة ..

« فارسلت بي اليك ..

« فقال : كدنا والله نفتضح ..

« فجهزها ، وأرسل بها الى أهلها .. »

وفي رواية ثالثة :

« فقالت الجارية : فاين موحدتك بي يا أمير المؤمنين .. وأين محبتك لي .

« فقال : انها لعلى حالها ..

« ولقد ازدادت .

« فلم تزل الجارية ، في نفس عمر .. حتى مات » .

الخطير في هذه الرواية ، هو هذه الفقرة .. لقد ازدادت ..

حبُّه لها ، قد ازداد ، قد اشتعل ..

فالرجل له عواطف نحوها ، ولكنه ينزل عنها .. ابتغاء وجه ربه الأعلى .

قـال الراوي :

فلم تزل الجارية ، في نفس عمر ، حتى مـات .

نعم .. انه يحبها ، حتى الموت ..

انه بَشر .. يُحبُّ ..

ولكن مقام ..

« ابتغاء وجه ربه الأعلى » ..

غَلَب .. مقام النفس ، وما تهوى ..

ويحك، انه يتيم ..

وقد افزعتموه !

قال ابن كثير :

« وخرج ابن له .. وهو صغير .. يلعب مع الغلمان

« فشجه صبي منهم

« فاحتملوا الصبي الذي شج ابنه

« وجاءوا به الى عمر

« فسمع الجلبة فخرج اليهم

« فاذا مرينة تقول : انه ابني .. وانه يتيم .

فقال لها عمر : هوني عليك .

« ثم قال لها عمر : آله عطاء في الديوان ؟

« قالت : لا .

« قال : فاكتبوه في الذرية !

« فقالت زوجته فاطمة : اتفعل هذا به .. وقد شجّ ابنك ؟! . فعل الله به وفعل .. المرة الأخرى يشج ابنك ثانية !

« فقال : ويحك .. انه يتيم .. وقد افزعتموه . » !

بديعة .. من بدائع عمر !

بدلاً من أن يؤدب الغلام المعتدي .. كافاه ، ففرض له عطاء ثابتاً في عطايا الذرية !

إنه .. يتيم افزعتموه ؟

إنه يحاذر ، ان يقهر يتيماً .. أو يفزعه ، والفزع نوع من القهر ..

فقه رفيع ، لا يتشعشع إلا من هؤلاء !

وأخرى أعلى وأغلى ..

« وكلمه رجل يوماً حتى أغضبه

« فهم به عمر

« ثم أمسك نفسه !

« ثم قال للرجل : أردت أن يستفزني الشيطان بعزة السلطان ، فأنال منك ما تناله مني غداً ..

« قم .. عافاك الله .

« لا حاجة لنا في مقاومتك » ؟

الرجل الذي بيده جميع السلطات العليا والدنيا .. في العالم ..

لا يستعمل هذه السلطة للانتصار لنفسه ، وإنما ليحق بها حقاً ، او يميت بها باطلاً ..

فهو لا يغضب لنفسه . وإنما يغضب لله !

خُلُق ، تعلمه من رسول الله .. صلى الله عليه وسلم !

ولو شاء .. لأشار باصبعه .. فطارت رءوس عن اعناقها !

« وكان اذا اراد ان يعاقب رجلاً

« حبسه ثلاثة ايام

« فاذا اراد بعد ذلك ان يعاقبه عاقبه

« كراهة ان يعجل عليه في اول غضبه .. » ؟!

ضوابط عجيبة .. يأخذ نفسه بها .. حتى لا يقع في ظُلم !

واخرى اكبر من اختها ..

« قال ميمون بن مهران : ولاني عمر بن عبد العزيز عمالة

« فقال لي : اذا جاءك كتاب مني .. على غير الحق .. فاضرب به الأرض .. » ؟!

تربية رفيعة ، لنفسه .. ثم لعُماله .. لا وزن لأوامري إذا كانت على غير الحق !

وأخرى تهتز جمالاً وحُسناً ..

« وكتب الى بعض عماله

« اذا دعتك قدرتك على الناس الى مظلمة

« فاذكر قدرة الله عليك

« ونفاد ما تأتي اليهم

« وبقاء ما يأتون اليك » !

ليت عمر بن عبد العزيز .. حقق أمنيته فسطر لنـا دستور للحُكم .. على غرار الدساتير الحديثة ، فإنه كان اهـلاً لذلك ، فهو مجدد المائة الأولى .. التي هي خير القرون !

« كتب عمر بن عبد العزيز

« الى عدي بن عدي :

« ان للاسلام سُنناً وفرائض وشرائع

« فمن استكملها استكمل الايمان

« ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان

« فان اعش ابينها لكم

« لتعملوا بها

« وان امت .. فما انا على صحبتكم بحريص .. » ؟

كان ينوي .. ان يضع دستوراً .. ليته فعل !

« وقال : من علم ان كلامه من عمله .. قلّ كلامه .. إلا فـيما يعنيه وينفعه ..

« ومن اكثر ذكر الموت .. اجتزأ من الدنيا باليسير .

« وقال : من لم يعد كلامه من عمله ، كثرت خطاياه .

« ومَن عبدَ الله .. بغير علم .. كان ما يفسده ، اكثر مما يصلحه . »

جواهر .. كل فقرة منها .. يمكن تاليف كتـــاب كبير في شرحهـا !

إن هؤلاء الأكابر ، يندر ان ينطقوا باطـلاً ..

« وكان يقول : إن احب الأمـــور الى الله .. القصد في الجد ..

« والعفو في المقدرة ..

« والرفق في الولاية

« ومـــا رفق عبد بعبد في الدنيا . الا رفق الله به يوم القيـامة . »

لكني نكحت المتنعمات

فاطمة بنت عبد الملك .

قال ابن كثير :

« وبلغ عمر بن عبد العزيز

« عن ابي سلام الاسود

« انه يحدث عن ثوبان بحديث الحوض

« فبعث اليه فأحضره على البريد

« وقال له كالمتوجع له : يا ابا سلام .. ما اردنا المشقة عليك

« ولكن اردت ان تشافهني بالحديث مشافهة

« فقال : سمعت ثوبان يقول :

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« حوضي ما بين عدن الى عمان البلقاء

« ماؤه اشد بياضاً من اللبن

« وأحلى من العسل

« واكوابه عدد نجوم السماء

« من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابداً

« واول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين

« الشعث رءوساً[1]

« الدنس ثياباً

« الذين لا ينكحون المتنعمات

« ولا تفتح لهم السدد[2] . »

« فقال عمر : لكني .. نكحت المتنعمات ، فاطمة بنت عبد الملك . فلا جرم لا اغسل رأسي حتى يشعث ، ولا القى ثوبي حتى يتسخ . »

انه يريد ان يحقق من نفسه صفات اول الناس وروداً على حوض النبي .. صلى الله عليه وسلم ..

ان عينيه دائماً على الآخرة ..

يبحث عن اي شيء يؤهله .. للمقامات العُلى !

---

(١) الذين تفرق شعرهم وانتشر .

(٢) جمع سدة . وهي أبواب الحكام والأمراء .

يا عمر بن عبد العزيز ..

تمسك بما انت عليه!

قال ابن كثير :

« عن فاطمة بنت عبد الملك قالت :

« انتبه عمر ذات ليلة وهو يقول :

« لقد رأيت الليلة رؤيا عجيبة .

« فقلت : اخبرني بها

« فقال : حتى نصبح .

« فلما صلى بالمسلمين دخل فسألته فقال :

« رأيت كاني دُفعت الى ارض خضراء واسعة

« كانها بساط اخضر

« واذ فيها قصر كأنه الفضة

« فخرج منه خارج فنادى : أين محمد بن عبد الله .. أين رسول الله ؟

« اذ اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم .. حتى دخل ذلك القصر

« ثم خرج آخر فنادى : أين أبو بكر الصديق ؟

« فاقبل .. فدخل

« ثم خرج آخر فنادى : أين عمر بن الخطاب ؟

« فاقبل .. فدخل

« ثم خرج آخر فنادى : أين عثمان بن عفان ؟

« فاقبل .. فدخل

« ثم خرج آخر فنادى : أين علي بن أبي طالب ؟

« فاقبل .. فدخل

« ثم خرح آخر فنادى : أين عمر بن عبد العزيز ؟

« فقمت .. فدخلت

« فجلست الى جانب عمر بن الخطـاب

« وهو عن يسار رسول الله صلى الله عليـه وسلم

« وأبو بكر عن يمينه

« وبينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل

« فقلت لأبي بكر : من هذا ؟

« قال : هذا عيسى بن مريم

« ثم سمعت هاتفاً يهتف.. بيني وبينه .. نور لا أراه ، وهو

يقـــول :

« يا عمر بن عبد العزيز .. تمسك بما انت عليه ، واثبت على ما انت عليه .

« ثم كانه أذن لي في الخروج فخرجت

« فالتفت فاذا عثمان بن عفان وهو خـارج من القصر ، وهو يقول : الحمد لله الذي نصرني ربي

« واذا عليّ في اثره ، وهو يقول : الحمـد لله الذي غفر لي ربي . »

هذه رؤيا رآها عمر بن عبد العزيز ..

وهي لا تحتاج الى تأويل ..

لقد هتف به هاتف : يا عمر بن عبد العزيز .. تمسك بمـــا انت عليه .. واثبت على ما انت عليه ..

أعني أنه على الحق .. فعليه أن يثبت على الحق ..

ولقد ثبت .. ووَفى !

وغابت شمس

عمر بن عبد العزيز ..

قال ابن الأثير :

« ثم دخلت سنة إحدى ومائة

« .. توفي عمر بن عبد العزيز .. في رجب .. سنة إحدى ومائة

« وكانت شكواه عشرين يوماً

« ولما مرض قيل له : لو تداويت ؟

« قال : لو كان دوائي في مسح اذني ما مسحتُها .. نعمَ المذهوب اليه ربي .

« وكان موته بدير سمعان .. ودُفن بدير سمعان

« وكانت خلافته .. سنتين وخمسة اشهر ..

« وكان عمره تسعاً وثلاثين سنة وأشهراً .. » !

وغابت شمس عمر بن عبد العزيز !

قال ابن كثير :

« ذكر سبب وفاته ..

« كان سببها السل

« وقيل سببها أن مولى له سمه في طعام او شراب

« واعطي على ذلك الف دينار

« فحصل له بسبب ذلك مرض

« فأخبر انه مسموم

« فقال : لقد علمت يوم سقيت السم .

« ثم استدعى مولاه الذي سقاه

« فقال له : ويحك !

« ما حملك على ما صنعت ؟

« فقال : الف دينار أعطيتها .

« فقال : هاتها .

« فأحضرها

« فوضعها في بيت المال !

« ثم قال له : اذهب حيث لا يراك أحد فتهلك » !

أحوال عجيبة .. رجل مسموم ، يأتيه مَن سقاه السم .. ويعترف له بجريمته .. فيأخذ منه الألف دينار ويردها إلى الخزانة العامة .. ثم ينصحه أن يهرب .. حتى لا يقع في أيديهم

ويقتلوه !

أما كونه مسموماً ، واما التفكير في العلاج ، او في معاقبة الجاني ، فشيء لا يفكر فيه !

« ثم قيل لعمر : تدارك نفسك

« فقال : والله .. لو ان شفائي أن أمس شحمة أذني ، او اوتي بطيب فاشمه .. ما فعلت » ..

لماذا ؟ نعم المذهوب اليه ربي ..

إن الرجل يتعجل الذهاب إلى ربه .. وهذه فرصة كان يرتقبها !

« فقيل له : هؤلاء بنوك ـ وكانوا اثني عشر ـ ألا توصي لهم بشيء .. فإنهم فقراء ؟

« فقال : إنّ وليّي اللهُ الذي نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين .

« والله .. لا اعطيهم حق أحد

« وهم بين رجلين .. إما صالح فالله يتولى الصالحين ، وإما غير صالح فما كنت لأعينه على فسقه

« وفي رواية : فلا أبالي في أي واد هلك .

« وفي رواية : افادع له ما يستعين به على معصية الله ، فأكون

شريكه فيما يعمل بعد الموت ؟ ما كنت لأفعل !

« ثم استدعى اولاده فـودعهم

« وعزاهم بهذا

« وأوصاهم بهذا الكلام

« ثم قال : انصرفوا .. عصمكم الله .. وأحسن الخلافة عليكم . »

مقـــام عزيز .. لا يرتفع اليه .. إلا مثل عمر بن عبد العزيز !

راشد .. حتى في موته !

وفي رواية :

« إن اباكم (خُيّر) بين امرين : بين ان تستغنوا ويدخـــل ابوكم النار .. او تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة ، فكان ان تفتقروا ويدخل الجنة .. أحب اليه من ان تستغنوا ويدخل النار ، قوموا عصمكم الله »

« قيل لعمر بن عبد العزيز :

« يا امير المؤمنين .. لو اتيت المدينة .. فان قضى الله موتاً .. دُفنت في القبر الرابع .. مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وأبي بكر وعمر ؟

« فقال : والله .. لأن يعذبني الله بكل عذاب - إلا النار فانه لا صبر لي عليهـــا - احب إلي من أن يعلم الله من قلبي أني لذلك الموضع اهل .. » !

مقام آخر أعلى وأعلى .

إنه يرتجف ان يخطر بقلبه مثل هذا التفكير !

مَن هو .. ومَن يكون .. ليدفن إلى جوار رسول اللـه صلى الله عليه وسلم .. وصاحبيه ؟

وقد اشترى عمر قبره من راهب .. لأن موضع قـــبره في دير سمعان كان تابعاً لدير هناك .. قيل اشتراه بدينارين !

« قالوا : وكان مرضه بدير سمعان .. من قرى حمص

« وكانت مدة مرضه عشرين يوماً » !

والسبب الحقيقي في مرضه هو .. الهم بالناس ، وخشية الله ..

« قالت زوجته حينما سئلت عن مرضه : (ارى جـــل ذلك ـ بدأه ـ الخوف)

« ولما سالها الطبيب : هل رأيت بوله اليوم ؟

« قالت : ما ببوله من باس إلا الهمّ بأمر الناس

« وقال ابن لهيعة : (وجدوا في بعض الكتب : تقتله خشية

الله عزّ وجل ـ يعني عمر) .

اشتد خوفه من الله ، وهمه بالناس .. فكان ذلك سبب إصابته بالسل ..

ثم ازداد الأمر عليه ، حين دسوا له السم ..

ثم ازداد عليه ، حين أبى ان يتداوى .

« ولما احتضر الموت قال :

« أجلسوني

« فأجلسوه

« فقال : إلهي .. أنا الذي امرتني .. فقصرت ! ونهيتني .. فعصيت !

« (ثلاثا)

« ولكن .. لا إله إلا الله » !

عمر .. يحتضر ..

الشمس .. تغيب !

« ثم رفع رأسه

« فاحد النظر

« فقالوا : إنك لتنظر نظراً شديداً .. يا امير المؤمنين .

« فقال : إني لأرى حضرة ، ما هم بانس ولا جان

« ثم قبض لساعته » .

الملائكة من حوله .. ما هم بإنس ولا جان !

« وفي رواية ، انه قال لأهله :

« اخرجـوا عني

« فخرجوا

« وجلس على الباب مسلمة بن عبد الملك

« واختـه فاطمة

« فسمعوه يقول : مرحباً بهذه الوجوه .. التي ليست بوجوه إنس ولا جان

« ثم قرأ (تلكَ الدارُ الآخرةُ نجعَلُها للذين لا يُريدونَ علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبةُ للمتقين) .

« ثم هدأ الصوت

« فدخلوا عليه

« فوجدوه قد غمض

« وسوى إلى القبلة

« وقبض . »

مشهد خالد .. من مشاهد الرجل الخالد !

« عن عبد العزيز بن ابي سلمة

« ان عمر بن عبـد العزيز

« لما وضع عند قبره

« هبت ريح شديدة

« فسقطت صحيفة بأحسن كتاب

« قرءوها فإذا فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم .. براءة من الله .. لعمر بن عبد العزيز من النار

« فادخلوها بين اكفانه

« ودفنوها معه . »

كرامة .. أكرمه الله بها !

« وقال رجاء بن حياة :

« كان عمر بن عبد العزيز قد اوصى اليّ ان اغسله واكفنه ، فاذا حللت عقد الكفن .. ان انظر في وجهه فأدلى

« ففعلت .. فاذا وجهه مثل القراطيس بياضاً

« وكان قد اخبرني انه نظر في وجه كل من دفنه قبلـه من الخلفاء .. وكان يحل عن وجوههم .. فاذا هي مسودة »..

وجهه مثل القراطيس بياضا ؟

وجهه يتلألأ نوراً .. كرامة أخرى ؟

« قالوا : وكانت وفاته بدير سمعـان .. من ارض حمص .. يوم الخميس .. لعشر بقين من رجب .. سنة احدى ومائة ..

« وصلى عليه .. ابن عمه مسلمة بن عبد الملك ..

« وكان عمره يوم مات .. تسعـاً وثلاثين سنة ، واشهراً

« وكانت خلافتـــه ، سنتين ، وخمسة اشهر .. واربعة أيام ..

« وقيل سنتين ونصف ..

« وكان رحمه الله ، اسمر ، دقيـق الوجـه ، حسنه ، نحيف الجسم ، حسن اللحية ، غائر العينين ، بجبهته اثر شجّة ، وكان قد شاب وخضب .. »

وغابت .. شمس .. عمر بن عبد العزيز ؟

حقيقة

عمر بن عبد العزيز ..

« فلما تجلى ربه للجبل

« جعله دكا

« وخرّ موسى صعقاً .. » ؟

هذه آثار تجلى الجلال ..

صَعْق ، فناء .

ومن موجة موسى .. او ، مثل موجة موسى ، او يشبـــه موجه موسى

موجة عمر بن الخطّاب ..

« مثلك يا عمر .. مثل موسى » !

أي انك تشبه موسى ..

موجتك .. موجة موسوية ..

ومن موجة عمر بن الخطاب .. كانت موجـــة .. عمر بن عبد العزيز !

تجلى ، ربه ، عليه بالجلال ..

فخر .. عمر بن عبد العزيز ، صعقاً ؟

تجلى .. عليه ، بالجلال ، فأفناه ..

ثم أبقاه .. بعد أن افناه .

« فلمّا أفاقَ

« قالَ سُبحانكَ ..

« تُبتُ اليكَ ..

« وأنا أوّلُ المؤمنينَ » !

هذه هي حقيقة .. عمر بن عبد العزيز !

عبدٌ .. تجلى عليه ربه ، بالجلال ..

فأفناه .. عن هواه ..

ثم بعثه ، « فلما افاق » .. ثم أبقاه . ليجعله انقـــاذاً للعالمين !

هذا هو جُماع حقيقته ..

تجلى عليه ، بجلاله ..

فأفناه ، في كل أحواله

وآثار تجلى الجلال ..

هي البكاء الدائم ، والخوف الدائم ، والزهد في كل شيء ، حتى في البقاء في الحياة .. وحتى الزوجة ، وحتى الأولاد ، وحتى الخلافة ، وحتى الأموال ، وحتى نفسه التي بين جنبيه ..

وآثار الجلال ، ان يكون نظره على الموت ، وعلى القبور ..

لا يرغب في طعام .. ولا يرغب في شراب .. ولا يرغب في شهوات ..

وهذا هو المفتاح الرهيب ، لكل تصرف عجيب ، كان من عمر بن عبد العزيز !

« أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير

« فبلغ أمه . فأرسلت اليه ..

« فقالت : ما يبكيك ؟

« قال : ذكرت الموت ..

« فبكت امه » ؟

انظر .. يبكي وهو غلام ، ويذكر الموت وهو غلام .. إذاً تجلى عليه بجلاله ، من صغره ، وليس بعد الخلافة كما يتوهم الكثير .. وإنما الخلافة اظهرت التجلي للناس اكثر واكثر !

« إن أول ما استبين من رشد عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ورغبته في الأدب .. » !

من صغره ، يرغب في العلم ، والعلم ثقيل جداً ، لا يناسب ميول الغلمان ..

وهذا دليل على وقوع تجلي الجلال عليه منذ كان غلاماً !

« قلت لعمر بن عبد العزيز : ما كان بدء إنابتك ؟

« قال : أردت ضرب غلام لي .. قال لي : اذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة ! »

فرُعب هنالك عمر ، إنه تجلي الجلال ، وهو في شبابه !

وتجلي الجلال ، يجعل صاحبه شديد الخوف من الله ..

« لما وقف سليمان وعمر بعرفة .. ورأى سليمان كثرة الناس .. قال له عمر : هؤلاء رعيتك اليوم .. وانت مسئول عنهم غداً ؟

شدة الخوف من الله ، ومن السؤال !

وتجلي الجلال .. يجعل صاحبه أصلح الناس ، للعدل بين الناس ..

« ان ابن عمر يقول : ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر ، في وجهه علامة ، يملأ الأرض عدلاً . » !

وتجلي الجلال .. يجعل صاحبه ، مغتماً مهموماً ، لا يفرح بشيء ..

« .. واستقرت الخلافة باسمه

« انقلب وهو مغتم مهموم » ؟

هو دائماً في خوف من الله !

وتجلي الجلال .. يجعـــل صاحبـه لا يرغب في شهوة او متـــاع ..

« ثم إنه خير إمرأته .. ان تقيم معه على أنه لا فراغ له اليهـا .. وبين ان تلحق بأهلها .. » !

مجرد تعايش ، ولكن لا متعة ولا شهوات !

وتجلي الجلال ، يجتـذب إلى صاحبه أهـل الخوف من الله .. ويطرد عنه اهل الدنيـا ..

« فانقشع عنه الشعراء .. وثبت معه الفقهاء والزهاد » !

وتجلي الجلال ، يورث صاحبه حزناً طويلاً ..

« إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر

« تسر قليلا وتحزن طويلا » ؟

هذا إحساسه نحو الحياة ، حزن طويـل !

وتجلي الجلال ، يورث صاحبه بكاء دائماً ، وذكراً للموت والفناء دائمـــاً ..

« فاتقوا الله قبل القضاء

« وراقبوه قبل نزول الموت بكم ..

« ثم وضع طرف ردائه على وجهه .. فبكى وأبكى من حوله ..

« فما عاد لمجلسه حتى مات .. » ؟

بكاء دائم .. وذكر للموت دائم .. ذكر للفناء ، لأنه في مقـام الفنـاء !

وتجلي الجلال ، يجعل صاحبه ميّالاً لاعتزال الخلق ، ولا يرغب في معاشرتهم .

« لتدعني .. وإلا ذهبت إلى مكة .. فنزلت عن هذا الأمر لأحق الناس به » ؟

رغبة في الاعتزال ، وزهد في منصب الخلافة ، لأنه يضطره إلى مخالطة الناس

وتجلي الجلال ، يجعل صاحبه لا يرى لنفسه وجوداً ..

« إذا جاءك كتاب مني على غير الحق فاضرب به الأرض » ؟

لأنه صادر عن معدوم ، لا وجـود له اصلاً !

وتجلي الجلال ، يجعل صاحبـــه ، لا يمدن عينيه إلى زهرة الحياة الدنيا .

« من اكثر ذكر الموت .. اجتزأ من الدنيا باليسير » !

إذا كان هو نفسه سيفنى ، فلماذا يجمع ؟

« ودخل علي إمراته يوماً ... فسألها ان تقرضه درهماً يشتري له بها عنباً

« فلم يجد عندها شيئاً

« فقالت له : انت امير المؤمنين .. وليس في خزائنك ما تشتري به عنباً ؟

« فقال : هذا ايسر من معالجة الأغلال والأنكال غـــداً في نار جهنم » ؟

وهذا الأثر خطير جداً ، في براهين تجلي الجلال ، لا يملك درهماً من الدنيا .. وشديد الخوف من النار !

وتجلى الجلال ، يورث صاحبه إحساساً دائماً بالفناء ، وان الفناء يلاحقه اينما كان ..

« الا وإن لكل امرىء منكم حفرة لا بد والله ان يسدها

« إن الله عز وجل لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب ...وعلى اهلها بالفناء .. » ؟

هكذا دائم الاحساس ، بالخراب ، والفناء !

وتجلى الجلال ، يعمق احساس صاحبه بالمسئولية امام الله ..

« صليت وراء عمر بن عبد العزيز

« فقرأ (وقفوهم إنهم مسئولون)

« فجعل يكررها .. وما يستطيع ان يتجاوزها .. » ؟

الخوف من المسئولية يملأ عليه إحساسه !

« ما رايت رجلين .. كأن النار لم تخلق الا لهما مثل الحسن وعمر ابن عبد العزيز » ؟!

إنه تجلى الجلال .. شديد الخوف من عذاب النار ، وهو ما هو .. ولكن سلطان الجلال هو الغالب عليه !

« ومن شعره :

« انا ميت وعز من لا يموت

قد تيقنت انني سأموت

ليس ملك يزيله الموت ملكاً

إنما الملك ملك من لا يموت » ؟

وتجلي الجلال ، يورث صاحبه خوفا شديداً من الله .. ينتقل منه إلى مَن سواه ، من شدة إشعاعه ..

« وقد كان يكتب الموعظة إلى العامل من عماله فينخلع منها

« وربما عزل بعضهم نفسه عن العمالة .. وطوى البلاد من شدة ما تقع موعظته منه .. » ؟

الا ان حقيقة عمر بن عبد العزيز .. قد استبانت لكل ذي عينين !

عبدٌ .. تجلى .. ربه .. عليه .. بجلاله ..

فأفناه .. عن هواه ..

ليتخصص .. لمولاه ..

« قال عمر بن عبد العزيز :

« الدنيا عدوة اولياء الله

« وولية اعداء الله

« اما الأولياء فغمتهم واحزنتهم

« واما الأعداء فغرتهم وشتتتهم وابعدتهم عن الله . »

« وعن مولى لعمر بن عبد العزيز انه قال :

« يا بُني ..

« ليس الخير ان يسمع لك ويطاع

« إنما الخير ان تكون قد عقلت عن ربك عز وجل ثم اطعته

« يا بُني .. لا تأذن اليوم لأحد حتى اصبح ويرتفع النهار

« فاني اخاف الا اعقل عن الناس ولا يفهموا عني .

« فقال له مولاه رأيتك البارحة بكيت بكاء مـــا رأيتك بكيت مثله ؟!

« قال : فبكى

« ثم قال .

« يا بُنيّ ..

« اني والله ذكرت الوقوف بين يدي الله عز وجل .

« قال ثم غشي عليه .

« فلم يفق حتى علا النهار .

« قال : فما رأيته بعد ذلك مبتسما

« حتى مات . » ؟!

حتى مات ..

لم يفق .. من تجلي الجلال .. حتى مات

شخصية ..

عمر بن عبد العزيز ..

اقسم بالله العظيم

أن عمر بن عبد العزيز ..

كان أمـة ..

عشت هذا الاحساس ، وانا اكتب عنه ..

فوجدتني اسبح ، في بحر لُجي ، من فوقه موج ، من فوقـه سحـاب ..

لا أدري له اول من آخر ..

كلما مسست منه نوراً ، انفجر منه نور اكبر ..

وكلما شعشعت منه شعاعاً ، تشعشع منه اشعـاع اعظم ..

فخفت ان احترق ، ولا اعود .

ما سرّ هؤلاء النـاس ؟

يقولون .. الخلفاء خمسة : ابو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وعمر بن عبد العزيز ..

فما سرّ هؤلاء الكبار ؟

ما سرّ علو مقامـاتهم ؟

أما الأربعة الكبار ، فلا مساس ..

فإنهم معلومون ، للجميـع ..

وإنما نمس هنا خامسهم .. عمر بن عبد العزيز ..

لماذا ألحقوه بهم ، وما سرّ هذا الشرف العظيم ؟

« الخلفـــاء خمسة .. ابو بكر .. وعمر .. وعثمان .. وعلي .. وعمر بن عبد العزيز » !

ولماذا « اجمع العلماء قاطبة .. على انه .. من ائمة العدل .. واحد الخلفاء الراشدين .. والائمة المهديين » ؟

واجماع هؤلاء العلماء الأقطاب ، ليس أمراً هيناً ، بل انه لأمر عظيم ..

وقفت من هذه القضية موقف مَن يريد ان يتثبت ..

حتى غصت في بحره ، فايقنت يقيناً لا يتزلزل ، انه حقـــاً وصدقاً .. احد الخلفاء الراشدين

ثم تاملت طويـلاً .

شاب يلي الخلافة ، في السابعة والثلاثين ، ويغادرها في التاسعة والثلاثين واشهر ..

دخل الخلافة شاباً ، وغادرها شاباً ..

والشباب نزوات وشهوات ..

ولكن هذا الشاب ، لا نزوة ، ولا شهوة ؟

ليس عن عجز ، فهو يجلس على اكبر عرش في زمانه .

ُملك يمتد من الصين ، الى الأندلس ..

ومن القوقاز ، الى مجاهل افريقيا ..

يجلس على عرش الدولة الأعظم ، المنفردة بالسيادة الدولية على العالم ..

وهو في اوج الشباب ..

كل إغراءات الطغيان بين يديه ..

الصبا ، والجمال ، والسلطة واي ُسلطة ؟ والنساء ..

فاعرض الشاب عمر بن عبد العزيز ، عن كل هذا .

ليس اعراض ِكبر .. وانما ، وهو يبكي ، ويبكي .. ليلاً ونهاراً .

« تناظر ابو سليمان الداراني

« وابو صفوان

« في عمر بن عبد العزيز

« واويس القرني

« فقال ابو سليمان : كان عمر بن عبد العزيز ازهد من أويس .

« قال ابو صفوان : ولم ؟!

« قال : لأن عمر ملك الدنيا فزهد فيها .

« فقال ابو صفوان : واويس لو ملكها لزهد فيها مثل ما فعل عمر

« فقال ابو سليمان : لا تجعل من جرب كمن لم يجرب

« إن من جرت الدنيا علي يديه .. ليس لها في قلبه موقع .. افضل ممن لم تجر على يديه .. وان لم يكن لها في قلبه موضع . » ؟

نعم .. ونِعْم الرأي .

لأن عمر .. مَلَك الدنيا ، فزهد فيها .

ليس زُهد اخلاق ، اي لا رغبة له في متاعها ..

وانما زهد اذواق .. اي لا وجود للدنيا في قلبه ؟

وشتان .. ثم شتان .. بين زهد الأخلاق ، وزهد الأذواق ؟

ها هنا عظمة عملاقة ، من عظائم عمر بن عبد العزيز .

ان يكون شاباً .. يملك العالم .. ولا وجود للدنيا في قلبه ..

اي قلبه مخصص ، لصاحبه .. لربه .

ثم تأملت فيما هو أعجب من شخصيته ..

جاء على رأس المائة الأولى ..

اي يبعد عن عصر النبوة نحو مائة عام ..

تغير فيها كل شيء .

انقرض الصحابـة

انتشرت البدع والانحرافات .

امتلأت الأرض ظلماً ، ويكفي مظالم الحجاج ، على مدى عشرين عاماً بالعراق ؟

فهو يفترش مجتمعاً شاب فيه ناب الفساد ..

ويبعد عن عصر النبوة مائة عام ..

فاي تفكير في إصلاح ما فسد ، او الثورة على الأوضاع .. ومحاولة ردّها إلى ما كانت عليه في عهد عمر بن الخطاب ..

إنما يكون مجرد جنون وخبـال ..

ولكن عمر بن عبد العزيز .. فعل هذا المحال !

وها هنا عظمة جديدة ، من عظائم عمر بن عبد العزيز !

لماذا ؟ لأنه صاحب عبقرية منفردة . ينفرد بها عن الخلفـاء الأربعة الراشدين ..

فان ابا بكر ، افترش مجتمع .. رسول الله .. صلى الله عليـه

وسلم ، وهذا يعينه على الخير .

وعمر افترش مجتمع ابي بكر ، وهذا يعينه على الخير ..

وعثمان افترش مجتمع عمر ، وهذا يعينه على الخير ، ومع هذا حدث ما حدث من الفتن ..

وعليّ افترش مجتمع عثمان ، وهذا يعينه على الخير ، ومع هذا استفحلت الأحداث .

إلا عمر بن عبد العزيز .. فإنه افترش مجتمعاً ، كل شيء فيه قد تلوّى .

وكان على بُعد مائة عام من هؤلاء ..

ومع هذا صاح صيحته الكبرى ..

واعلن ثورته العظمى .

وانتفض ، وحده .. عملاقاً رهيباً .. فلوَى عنق التاريخ إلى حيث يشاء !

ليس هذا تفضيلاً لعمر بن عبد العزيز .. على الخلفاء الأربعة ..

كلا .. فما يقول بذلك عاقل ..

وإنما تسجيل لانفراده ، بتلك الظاهرة .

فانهم اولئك الأربعة العظام .

تسلسلوا .. احدهم وراء أخيـه .. كل منهم يستلم من راشد قد سبقه .. وهذا عون كبـير لهم ..

أمـــا صاحبنا . فقد جاء وحده ، تجربة فريدة منفردة بخصائصها العجيبة !

سجل هذا « سالم » حفيد عمر بن الخطـاب ..

قال ابن كثير :

« وروينا انه قال

« لسالم بن عبد الله بن عمر

« اكتب لي .. سيرة عمر .. حتي اعمل بها .

« فقال له سالم :

« انك لا تستطيع ذلك .

« قال : ولم ؟

« قال : انك ان عملت بها .. كنت افضل من عمر

« لأنه كان يجد على الخير اعوانا

« وانت لا تجد من يعينك على الخير . » !

والمعجز من أمر عمر بن عبد العزيز .. انه استطاع ؟

وهذه هي الظاهرة التي ينفرد بها ، من بين الخلفاء الخمسة الراشدين !

لقد كان صرخة ، في ظلمات .

وصوتاً يجلجل ، في عفونات .

ورأت فيه الدنيا ، لأول مرة حاكماً يحكمها كلها ، بكتاب الله ، وسُنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بميزان ادق من موازين الذرّ !

فتعجبت الدنيا .. مَن هذا الذي ملأ الأرض عدلاً ، بعد أن ملئت جوراً ؟

ثم تأملتُ فيما هو اغرب من شخصية الرجل ..

فانفتح لي في هذا التأمل سرّ من أسرار عمر بن عبد العزيز !

هذا السر ، ان الله قد اعطاه ، كرامة .. الطيّ !

طَوَى له الزمان .

وطَوَى له المكان .

فكيف كان ذلك الإكرام ؟

ومعنى طيّ الزمان .. ان يكون في الزمن القليل ، العمل الكثير ..

ومعنى طيّ المكان ، ان تصل في لحظة إلى ابعد مكان .

باختصار ، طي الزمان ، هو الغاء الزمان .

وطي المكان ، هو الغاء المسافات والمكان .

فكيف تحقق هذا لعمر بن عبد العزيز ؟

مدة خلافته .. سنتان ، وخمسة أشهر .

حقق فيها ، من احياء الحق ، وإماتة الباطل ، ما لا يمكن تحقيقه في قرون .

فكيف يمكن هـذا ؟

هذا هو طيّ الزمان ، لعمر بن عبد العزيز .

ان يقع في سنتين .. اصلاح العالم كله .. وإقـامته على العـدل .

واصلاح العـالم ، يستحيل ان يقع إلا في قرون ، كما فسد في قرون .

بل إن الاصلاح بطيء ، والافساد سريع .

وهذا يجعل ما حدث من عمر ، أمراً مستحيـلاً ، إلا إذا فسرناه بقانون ، طيّ الزمان

ولكن كيف طُـوي له المكان ؟

تحولت عجائب افعاله ، الى أحاديث يتناقلها الناس في انحاء العالم ، ولا يكفون عن ترديدها ، بل المغالاة في تصويرها ..

فبينما عمر ، في دمشق لم يغادرها ، إذاً حقيقة عمر ، تتشعشع في قلوب الناس جميعاً .

وهذا هو طيّ المكان لعمر ، فقد كان في عصر الخيل والإبل ، لا اذاعات ولا تليفيزيون ينقل فوراً ، ومع هذا يتناقل الناس في العالم .. أعاجيب افعاله فور صدورها !

ذلكم ، هو طيّ الزمان والمكان .. لعمر ..

كرامة اكرمه الله بها ، ورفعه بها فوق العالمين !

واخرى هزتني هزّاً .. من عجائب شخصيته العظمى .

ان الرجل كان جبّاراً على الجبابرة .

يجنـــدلهم أينما كانوا ، ومهما كانوا .

أعضاء أسرة مالكة .. وُلاة ، ملوك ، قادة ، اغنيـــاء ، أقـارب ..

كل اولئك لا وزن لهم عنـــده ..

يطيح بهم بكلمة ، ويدمرهم بأمر ..

فيسقطون عن عروشهم ، لا يستطيعون له مقـاومة !

والأمثلة على هذا الخُلق العظيم منه ، لا تحصى ..

وحسبك حين جاءوه ، بعمته فاطمة بنت مروان ، عميـدة بيوتات الخلافة ، لتشفع لهم عنـده ، ان يكف يده عن مصادرة اموالهم ، فنهاها .. فلمـــا هددته :

« انهم يحذرونك يوماً من ايامهم » ..

غضب ، وانهاهـا !

وفي نفس الوقت ، الذي هو فيه جبار على الظالمين في الأرض ، فإنه رحمةٌ للفقراء والمساكين واليتامى !

وتلك هي سمات العظمة الحقيقية .

ان تكون جباراً على الظـــالمين .

رحيمـــاً بالمساكين .

وحسبك في هذا حين جاءوه بصبي يتيم شجّ ابنه ، فقال :

« انه يتيم افزعتموه » ..

وما القى بالاً الى زوجته وهي تولول !

ثم تأملتُ ، وطال التأمـل .

في كونه مجدد المائة الأولى !

واجماعهم على ذلك !

اي ، هو مُفجر الثورة الكبرى ، ضد كل ما خالف الكتاب والسنّـة .

وهذا النوع من الثورات هو اشق واعنف الثـــورات على الاطلاق !

فقد تكون هناك ثورة اقتصادية ضد الرأسماليـــين ، كالثورة الشيوعية

وقد تكون هناك ثورة ضد الاستعباد وتنادي بالحريات كالثورة الفرنسيـة

إلا ان هذه الثورات جميعاً .. رغم وصفها بالثورات العـالمية ، إنما هي ثورات في اتجاهات محدودة من الحياة ..

أما ثورة عمر بن عبد العزيز .. فإنها اشمل واكمـل واوسع وأعظم ..

اشمل واكمل .. لأنها تنادي بشمولية كتاب الله الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها .. وتنـــادي بكمال الاصلاح على مستوى جميع الأجناس وجميع العصور ..

وأوسع .. لأنها على مستوى الدنيا والآخرة ، بينما تلك الثورات أقصى همها إصلاح جانب من الدنيا .

وأعظم .. لأنها اعظم عند الله ، وما كان عند الله عظيماً ،

فهو العظيم ، وما كان عنده خالداً فهو الخالد .

فالثورة الفرنسية التي تتغنى بها الأجيال ، قطرة من الثورة التي أعلنها عمر بن عبد العزيز .

والثورة الشيوعية ، التي اعلنهـا الشيوعيون .. قطرة من بحر ثورة عمر بن عبد العزيز .

إلا أن هذه الأخيرة ، تعتبر ثورة مضادة .. لأنهـا تهدر الأديان .. وتتمركز على إصلاح الاقتصاد .. ثورة إظـلام وظـلام ..

فثورة عمر التي اعلنها ، فوق ما هي اشمل واكمل وأوسع وأعظـم ..

انما هي ثورة ، نور ..

تريد إقامة الناس ، على التوازن الصحيح ، في الحياة ، والموقف الصحيح للعباد من الله !

ثورة هذا بعض شانها ..

أعلنها عمر ، على رأس المائة الأولى ..

أعلنها ، رغم أن مقتضيات المنصب الأعلى الذي يشغـله يحتم عليه أن يؤجلها حتى لا تشتعل الفتن من حوله ..

ولكن .. لا ..

وهتف العبقري الخالد .. هتافه الخالد :

« والله .. لو اقمت فيكم خمسين عاماً

« ما أقمت فيكم إلا ما أريد من العدل .. » !

كما يتفوق عمر بن عبد العزيز في ثورته ، على تلك الثورات ، من زاوية اخرى .

إن هاتيك الثورات ما استطاعت أن تقوم إلا على بحار من الدماء .. دماء أعدائها .

أما عمر .. فاستطاع ان يقيم أعنف ثورة ، بغير قطرة من دماء !

وكانت فلسفته الكبرى ، في هذا السبيل :

« يا بني ..

« إن بادهت الناس بما تقول

« أحوجوني إلى السيف

« ولا خير .. في خير .. لا يحيا إلا بالسيف » !

ما جاء بالقوة . يسقط إذا سقطت القوة التي جاءت به !

ثم تأملتُ ، في علم الرجل .

وقولهم أنه كان عالم العلماء .

فوجدته حقاً .. امام الأئمة في زمانه .. بل وبعد زمانه ..

وإنما يزيد علمه عظمة ، انه نظري وعملي .

يرى الرأي ، ويطبقه فوراً ، على مستوى العالم كله .

فهو ليس مجتهداً نظرياً ، يضع القواعد العلمية ، ولا عليه بعد ذلك ..

وإنما هو مجتهد .. ويطبق ما يراه ، بقوة السلطان الذي في يديه ..

« إن عمر بن عبد العزيز كان على رأس المائة الأولى

« وان كان هو أولى من دخل في ذلك وأحق

« لامامته .. وعموم ولايته

« وقيامه .. واجتهاده في تنفيذ الحق

« فقد كانت سيرته شبيهة بسيرة عمر بن الخطاب

« وكان كثيراً ما تشبه به » !

فعلم الرجل علم ُمحيط ، كلي ..

علم جمع بين الظاهر ، والباطن ..

وهذا هو الرُشد الكامل .

حتى قالوا فيــه :

« ما التمسنا علم شيء

« إلا وجدنا عمر بن عبد العزيز

» أعلم الناس بأصله وفرعه

« وما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذة » !

وهذه عظمة ، من عظائم شخصية الرجل العظمى .

قائد ثورة ، اكبر واشمل ثورة .

ثم هو عالم العلماء ، خبير بأصول وفروع فكرة ثورته .

وهو بهذا يتفوق تفوقاً ساحقاً ، على كثير من قادة الثورات في التاريخ .. حيث كان منهم الجهـــال الذين دفعهم الجوع إلى اعلان ثوراتهم .. فجاءت ثورات حقد وتدمير تعبر عن أحاسيسهم السفـلى ..

اما عمر بن عبد العزيز .. فصاحب فكرة ، أعلى واكمل واشمل فكرة ..

يمسك بيمينه كتاب الله ، وبيساره سُنة رسول الله .

وهو يعلمها ، اجمالاً وتفصيلاً .

ويجتهد فيهما ، بما لا يستطيع ان يصل اليه في عصره سواه ..

فهو قائد ثورة عظمى .

على علم بثورته، وعلى دراية بأهدافها .

يدعو إلى الله ، على بصيرة ..

وها هنا ينفجر ، عنصر خطير ، من عناصر شخصية الرجل الخطير ، فما هو هذا العنصر ؟

كان عمر بن عبد العزيز ..

قُطب .. زمانه ؟

وإنما نستنبط ذلك ، من التأمل والتفكر ، في كل أحواله ، وكل مقاماته .

رجل ، هو الخليفة الراشد الخامس ..

أوتي ، علم الظاهر .. الشريعة ..

وأوتي ، علم الباطن .. الحقيقة ..

اكتمل له الهدى ، ظاهراً وباطناً ..

واكتملت له مقدرات السلطان ..

فهو بيده اليمنى القرآن ، وبيده السلطان ..

ورجل أجمع الجميع .. على انه مهدي ..

وأن جميع من استعملهم ثقات ..

وأنه ما اخطأ في حُكم حَكمه قط ..

وأنه .. وانه ..

فمن يكون القطب في زمانه ، إن لم يكن هو ؟

في أثر .. فيه اشارة الى ذلك عجيبة :

« خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة

« وشيخ متوكىء على يده

« فقلت في نفسي : إن هذا الشيخ جاف

« فلما صلى ودخل لحقته

« فقلت : اصلح الله الأمير .. من هذا الشيخ الذي اتكأتــه يدك ؟

« فقال : يا رياح .. ارأيته ؟

« قلت : نعم .

« قال : ما احسبك يا رياح إلا رجلا صالحا

« ذاك أخي الخضر

« اتاني .. فأعلمني اني سألي امر هذه الأمة

« واني ساعدل فيها » !

أثر خطير .. قليل النظير ..

يؤكد ان عمر بن عبد العزيز .. كان قُطب زمانه!

وقد جاءه الخضر .. يبشره بذلك!

وهذا المقام مقام إشارة .

لا مجال فيه للعبـارة !

وهذا يفسر لك ما غمض من بعض كراماته .. التي ذهب البعض الى انكارها .. لأنهم لم يفهموها ..

« عن موسى بن اعين .. الراعي - وكان يرعى الغنم لمحمد بن عيينة — قال :

« كانت الأسد والغنم والوحوش

« ترعى في خلافة عمر بن عبد العزيز

« في موضع واحد

« فعرض ذات يوم لشاة منها ذئب

« فقلت إنا لله . ما ارى الرجل الصالح الا قد هلك ؟

« قال : فحسبناه .. فوجدناه .. قد هلك في تلك الليلة » !

ان اهل الحجاب ، يرفضون مثل هذه الآثار ..

كيف يمكن ان الأسد ، والغنم .. والوحـــوش ، ترعى في مكان واحد .

كيف يتآنس الذئب والشاة .. وهما عدوان لدودان ؟

ونقول : لعل هذه الكرامة .. كانت في مدة خـلافة عمر بن عبد العزيز ..

اشارة الى اقامة العدل في الأرض .

وانتظام الناس ، مع الناموس العام للوجود ، وهو .. العبودية لله ..

فلما مات عمر ، عادت الوحوش إلى طبيعتها المفترسة للأغنام !

وسواء عليهم اقروا بهذه الكرامة ام انكروا ، فـــإن سجل الكرامات التي لعمر بن عبد العزيز حافل بما هو أعظم ..

وفي رأيي أن اعظم كراماته .. هو ما سماه :

« ردّ المظالم » ..

هو ما عبر عنه لابنه عبد الملك فقال :

« يا بُني .. إن أباك واجدادك قد دعوا الناس عن الحقّ

« فانتهت الأمورُ اليّ

« وقد اقبل شرّها وادبر خيرها

« ولكن .. اليس حسناً وجميلاً

« الا تطلع الشمس عليّ في يوم إلا احييتُ فيه حقاً وأمتُ فيه باطلاً

« حتى يأتيني الموت فأنا على ذلك . » ؟

هذه هي الكرامة الكبرى .. لعمر بن عبد العزيز ..

له في كل يوم ، ثورة جديدة ، ضد الظلم ..

« الا .. تطلع الشمس عليّ في يوم .. إلا أحييتُ فيه حقاً .. وامتُ فيه باطلا » !

هذه هي اكبر كراماته ..

كرامة تتجدد مع شروق الشمس ..

وينعم بنعيمها العالم كله .

فانظر إلى أي مدى .. كان تمدد تلك الكرامة ؟

إن لحظة من يوم الخليفة عمر بن عبد العزيز ، خير من قرون تخلو من حاكم مثله !

إن أجمل ما يُجمل الحياة ، أن يقوم فيها العدل ..

لأن اقامة العدل يعطي الحياة جمالاً ، ينعكس في نفوس الشعوب ..

فالشعب المظلوم .. إذا نظرت إلى وجوه أفراده ، وجدتها كئيبة مكتئبة ، حزينة يائسة ، وهذه الآثار في الوجوه ، دليل على ان هؤلاء قوم مظلومون .

وإن اقبح ما تكون الحياة .. إذا كان الحق فيها ضائعاً ، والباطل فيها سائداً !

إنها لا تساوي ، حتى مجرد الاستمرار فيها !

وإن أجمل ما في الحياة .. واجمل ما تكون الحياة ، إذا كان الحق قائماً .. والباطل زاهقاً !

فكيف إذا كان الحاكم الأعلى .. في الكرة الأرضية .. هو الرجل الذي يقيم بنفسه كل يوم في الأرض .. هذا المعنى المقدس الشريف ؟

لقد اكرم الله ، سكان العالم كله ، على مدى سنتين ونصف .. حين اقام فيهم .. الخليفة الراشد .. عمر بن عبد العزيز ..

فما تطلع الشمس على الكرة الأرضية ..

إلا وطاب صباح سكانها جميعاً .. فإن على رأسهم حاكماً يقيم العدل بينهم !

وعظمت نعمة الله على عباده ، حين كان ذلك على مستوى العالم كله ، حيث كان يحكمه عمر بن عبد العزيز !

تلكم هي كرامته العظمى ..

أكرمه الله بها .

فأكرم به الناس جميعاً !

وأخرى .. اكبر ، واعظم ، من عناصر شخصيته الكبرى ..

ان قيامهُ .. على رأس العالم .. شفى صدور المظلومين ..

لقد استلم الحكم ، وهناك ملايين مظلومة ..

تتجرع آلام الظلم ولا مغيث ..

« فانتهت الأمور الي

« وقد اقبل شرها .. وأدبر خيرها » !

ملايين تتلوّى ظهراً لبطن ، وبطناً لظهر .. من الظُلم ..

فجاء عمر بن عبد العزيز ، فقصم ظهور الظالمين ، ورفع رءوس المظلومين ..

فكان .. سيف الله المسلول ، في الأرض ، في زمانه ..

فتنفس كل مظلوم ، وقال الحمد لله ..

وذلّ كل ظالم . وقال يا ويلاه !

وهذه وحدها .. نعمة وأي نعمة أن تُغيث مَن لا

مغيث له !

إذاً .. كان عمر .. غوثاً ..

أي .. كان القُطب .. الغوث !

كم كان وقع فعلته الجميلة ، حين الغى سب امير المؤمنين عليّ بن أبي طالب من على المنابر ؟

لقد ازاح بذلك كابوساً يجثم على صدور الجماهير !

وإن اعظم الظلم ، الذي يورث اعظم الحزن .. ان تُرغم من حثالة حاكمة ، على سبّ أشرف الناس ، وأكرمهم على الله !

وآية اخرى ، من آياته الكبرى .

أن قيامه في المنصب الاعظم ، وهو على تلك الصورة ، من التجرد التام .

ثوب واحد .. سراج واحد ..

طعامه العدس ، لا يجد درهماً يشتري به عنباً .. ليله بكاء وتفكر في العاري واليتيم والأرملة والمسكين ..

نهاره كدح متواصل في العدل بين الناس ، سُماره الزُهاد .. وحاشيته الفقهاء .

هذا التجرد التام .. وهو فوق عرش الدنيا كلها ، له وقع

رهيب .. في قلوب المحرومين ، والمظلومـــين ، والمتكسرين .. والمستضعفين .

ينظرون اليه ، فيجدونه ، اكثر منهم حرماناً ، واعظم منهم ظلماً لنفسه ، واشد منهم انكساراً ..

هنالك تهدأ نفوسهم ، وتنشرح صدورهم ، لان بلسم القدوة الحسنة ، من عمر بن عبد العزيز .. كان لهم عزاء !

فهو يؤدي في عصره مـــا يشبه الدور الذي يؤديه الرسل في عصورهم ..

ولا عجب ..

فهو خليفة ، رسول الله .. صلى الله عليه وسلم !

واخرى ، ابهج .. وأعلى .

ان عمر بن عبد العزيز ، كان يمثـــل في عصره ، صورة البطل العـــالمي الاسطوري ، بالنسبة إلى كل النـــاس ، وكل الاعمار !

وهذه نعمة عظمى .. نعمَ بها كل فرد في عصره ..

كان .. فتى عصره ..

الأطفال ، يرون فيه .. مثالهم الذي يخيلوه للبطـولة ، وزيادة وراء خيالهم !

وحسبك واقعة :

« إنه . يتيم .. افزعتموه » ..

وأثرها في اطفال العالم حين تصل إلى اسماعهم ، إن لكل طفل عند عمر .. حقاً يصل اليه !

الشباب .. يرى فيه ، البطل الذي يحلم به الشباب ..

فهو خليفة شاب ، في السابعة والثلاثين .. ويرقى إلى ما لا يرقى اليه عظماء الشيوخ !

الشيوخ .. يرون فيه ، البطل الذي يحلم به الشيوخ ، الوقار ، الحكمة .. العلم .. الزهد .. كل اولئك كان فيه مسطوراً .. وزيادة !

فكيف إذا كان البطل .. هو الحاكم .. فجمع إلى البطولة .. مهابة السلطة .. وزادها حُسناً .. استعمالها في احقاق الحق !

العلماء .. الفقهاء .. يرون فيه صورة البطل الذي يحلمون بظهوره .

وقد ظهر ، كما كانوا يحلمون وزيادة ..

فهو عالم العلماء ، وهم عنده تلامذة ..

وهو استاذ الاجتهاد في عصره .. وهم يتطلعون اليه في إعجـاب !

حتى الذين يحلمون بظهور المهدي .. ليملأ الأرض عـدلاً ، بعد أن يئسوا من العدل في الارض .

يرون فيه تحقيق خيالهم ، وزيادة !

« قال الامام احمد

« عن عبد الرازق عن أبيه

« عن وهب بن منبه ، انه قال :

« إن كان في هذه الأمة مهدي

« فهو عمر بن عبد العزيز » !

وإن من اعظم النِعَم .. ان تعيش في عصر .. فيه بطل يُرضي خيالك ويحقق أمانيك !

فكان ظهور عمر بن عبد العزيز .. في صورة البطـل العالمي الاعظم .. نعمة اسعدت كل فرد في عصره في العالم !

بل .. امتدت بطولته ، بعد موته ، فكانت اعظم من بطولته حيـــاً !

« قال رجاء بن حياة :

« لما مات أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

« وقام يزيد بن عبد الملك بعده في الخلافة

« اتاه عمر بن الوليد بن عبد الملك

« فقال ليزيد يا امير المؤمنين .. وان هذا المرائي يعني عمر بن عبد العزيز

« قد خان من المسلمين .. كل ما قدر عليه .. من جوهر نفيس .. ودرّ ثمين .. في بيتين في دار مملوءين .. وهما مقفولان على ذلك الدر والجوهر » ؟

امير من أمراء البيت المالك .. اكتشف خيانة عظمى ، من عمر ابن عبد العزيز !

والمجرم ، يرى الناس مجرمين !

لان طبيعته الظلمانية .. تجعله يرى كل شيء ظلاماً !

إن هذا المرائي ؟ تعبير حقير .. وإن صدر من امير !

« فأرسل يزيد الى اخته فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر : بلغني ان عمر خلف جوهراً ودراً في بيتين مقفولين !

« فأرسلت اليه : يا اخي .. ما ترك عمر من سبد ولا لبـــد (اي قليل ولا كثير) إلا ما في هذا المنديل !

« وارسلت اليه به

« فحله .. فوجد فيه قميصاً غليظاً مرقوعاً .. ورداء قشباً (قديماً) وجبة محشوة غليظة واهية البطانة .. » !

هذه مخلفـــات حاكم العالم .. خِرَق بالية .. لا تساوي شيئاً !

فاي بطولة انت فيها بعد موتك يا عمر ؟

« فقال يزيد للرسول : قل لها : ليس عن هذا اسأل .. ولا هذا اريد : إنما اسأل عما في البيتين .

« فارسلت تقول له : والذي فجعني بك يا أمير المؤمنين .. مـــا دخلت هذين البيتين .. منذ وليَ الخلافة .. لعلمي بكراهته لذلك .. وهــــذه مفاتيحهما .. فتعال .. فحول ما فيهما لبيت مالك .. »

ايه .. يا عمر ؟

إن الله يريد ان ينشر بطولتك العظمى بعد موتك !

فاشهدي يا دنيا ، ماذا وجدوا في البيتين ؟

« فركب يزيد .. ومعه عمر بن الوليد

« حتى دخل الدار

« ففتح احد البيتين

« فاذا فيه كرسي من ادم (جلد)

« واربع آجرات مبسوطات عند الكرسي

« وقعم .. » ؟

يا عين .. الا تبكين من عظمة عمر بن عبد العزيز !

« فقال عمر بن الوليد : استغفر الله » !

نعم .. استغفر .. أو لا تستغفر .. فقد ظلمتَ عمر !

وإن ذلك عند الله عظيم !

إن الله .. يغار .. لاوليائه !

« ثم فتح البيت الثاني

« فوجد فيه مسجداً مفروشاً بالحصا

« وسلسلة معلقة بسقف البيت

« فيها كهيئة الطوق .. بقدر ما يدخل الانسان رأسه فيها .. الى ان تبلغ العنق .

« كان اذا افتر في العبادة .. او ذكر بعض ذنوبه .. وضعهـا في رقبته .. وربما كان يضعها اذا نعس لئلا ينام .

« ووجدوا صندوقاً مقفلا

« ففتح .. فوجدوا فيه سفطاً (شوال)

« ففتحه فـاذا فيه دراعـة .. وتبان .. كل ذلك من مسوح

غليظ .

« فبكى يزيد ومن معه

« وقال : يرحمك الله يا اخي

« ان كنت لنقي السريرة .. نقي العلانية

« وخرج عمر بن الوليد .. وهو مخذول ..

« وهو يقول : استغفر الله .. انما قلتُ ما قيل لي » !

هل شهدتِ .. يا دنيـــا .. مخلفات .. مَن كان يجلس على عرشك ؟

وهل سمعتِ .. مِن بعده .. مَن كان في مثل حاله ؟

ونشر الله .. بطولة عمر بن عبد العزيز .. بعد موته .. اكثر من نشرها في حياته ..

شخصية .. جامعة .. مانعة ..

صاعدة .. ابداً ..

مسسنا .. شيئاً من عناصرها ..

وعجزنا .. عن الإحاطة بعجائبها ..

اللهم .. إني اسالك .. بعمر بن عبد العزيز ..

أن تتقبل مني .. « حياة عمر بن عبد العزيز » !

وان تغفر .. لي .. عجزي .. عن الاحاطة بشخصيته !

إنك .. به .. عليم !

— تم —

الفهرس

صفحة

صفحة

صفحة

ماذا في هذا الكتاب ؟!

فيه حياة الرجل .. الذي حكم مشارق الارض ومغاربها .. فملأها عدلاً .. بعد أن ملئت ظلماً !

فيه عجائب الرجل .. الذي كانت مدة خلافته سنتين اثنتين .. واستطاع فيها ان يصحح ما يحتاج تصحيحه إلى قرون !

فيه خوارق البطل .. الذي دمر الجبابرة !

فيه بدائع من قالوا عنه : ولم يكن له سوى قميص واحـد .. فكـان إذا غسلوه جلس في المنزل حتى ييبس !

فيه .. حياة .. عمر بن عبد العزيز ؟!!

